

تحفة الملوڪ  
في  
التربية والسلوك

تأليف

د. عدنان حسن باحارث

القسم الثاني

**عنوان المؤلف:**

د.عدنان حسن باحارث

مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

ص ب ٦٥٢٥

البريد الإلكتروني

Adnan3456@hotmail .com

الموقع على الإنترنت

[www.bahareth.org](http://www.bahareth.org)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، خير نبي أرسله بالهدى والنور، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فإن المساجد بيوت الله تعالى ، رفع قدرها ، وعظم شأنها ، ونسبها إليه سبحانه وتعالى تشريفاً وتكريماً لها ، وإعلاماً لأمة محمد ﷺ بمكانتها وفضلها، حتى ترتبط بها قلوبهم ، وتتعلق بها نفوسهم ، ففي المساجد تُقام أعظم شعائر الله تعالى ، يجتمع فيها المسلمون خمس مرات في اليوم واللييلة ، يركعون ويسجدون لله رب العالمين ، ويذكرونه — سبحانه وتعالى — بكرة وعشية .

ولقد كان المسجد على عهد رسول الله ﷺ والخلفاء من بعده : قلب الأمة النابض بالحياة ، يجتمع فيه المسلمون للعبادة ، ولما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم ، فقد أسس رسول الله ﷺ دولته الإسلامية الأولى على أن يكون المسجد قاعدة الانطلاقة الإسلامية، فلم يؤخر قرار بناء المسجد يوماً واحداً بعد وصوله إلى المدينة ، فدل ذلك على أن المسجد أساس الدولة الإسلامية الأول .

لقد استوعب المسجد في عهد رسول الله ﷺ والخلفاء من بعده : جلّ حاجات المسلمين ، وأنشطتهم المختلفة ، حتى أصبح المسجد جزءاً أساساً من

حياة المسلم اليومية ، حتى المنافق في ذلك العصر ، لم يجد بدأً من حضور المسجد مع عامة المسلمين حين ارتبطت مصالح الناس به .

لقد كان المسجد زمن النبي ﷺ مورد المسلم الروحي ، ففيه الصلاة ، والاعتكاف ، والذكر ، يتزود المسلم من المسجد زاده الروحي ، الذي به تحيا القلوب ، وتعمر الصدور .

وفي المسجد كانت جامعة الصحابة للتربية والتعليم ، ينهلون من علوم الوحي المبارك ، على يد خير معلم ومرب ﷺ أفضل العلوم ، وأحسن المعارف ، فتخرج من هذه الجامعة المباركة علماء الصحابة ، ورواد المعرفة ، من أمثال أبي بكر ، وعمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وابن عمر ، وعائشة ، وغيرهم كثير رضي الله عنهم أجمعين .

ولقد كان المسجد في عهده عليه الصلاة والسلام : دار الفتوى ، ومحكمة القضاء ، ومأوى المحتاجين والفقراء ، وموضع البيعة ، ومكان الشورى ، واستقبال الوفود ، ومازال المسجد منذ ذلك الزمن يضعف مكانه في نفوس المسلمين شيئاً فشيئاً ، حتى كان العصر الحديث ، الذي تحوّل فيه المسجد إلى مجرد موضع لصلاة ركعتين يوم الجمعة ، يحضرها جمع من المسلمين ، ليس لغالبهم همّ سوى أداء الفرض الذي لا بد منه .

ولقد انحصر دور المسجد - في كثير من بلاد المسلمين - في إقامة صلاة الجمعة ؛ إذ لا تزال طائفة من المسلمين تحرص على حضور صلاة الجمعة دون باقي الفروض الخمسة ، وهذا الوضع يفرض على الخطيب الاستفادة القصوى من الخطبة ومضمونها ، وأسلوبها في التأثير الإيجابي على المصلين ،

الذين يغيبون عنه طول الأسبوع ، ولا ينقادون له إلا في يوم الجمعة ، ولا شك أنها فرصة قصيرة محدودة ، يصعب فيها توجيه الناس الوجهة الإسلامية الكاملة ، إلا أن الخطيب الحاذق يحرص على مناسبة يوم الجمعة - على قصرها - في توجيه الناس نحو الخير ، وتعديل اتجاهاتهم السلبية ، وربطهم بالمساجد ، فكم من خطبة قصيرة وجيزة : وقعت موقعها من نفس السامع ، فعُدلت سلوكه نحو الخير ، وغيّرت اتجاهه نحو الصلاح ، وما زالت خطبة الجمعة - مع كل ما انتابها في هذا الزمن - موضع احترام المصلين وتقديرهم؛ إذ تُعتبر عند كثير منهم مورده العلمي ، ومصدر ثقافته الإسلامية ، وهذا يفرض على الخطيب مزيد جهد وعناية بإعداد خطبته ، والتهيؤ لها نفسياً وروحياً وعلمياً، ولا يعدم الخطيب أثراً صالحاً يتركه على المصلين ، ولو كان يسيراً .

وبين يدي القارئ الكريم في هذا القسم من كتاب : ( تحفة الملوك في التربية والسلوك ) : مائة خطبة جمعة متنوعة، شملت ثلاثة عشر ميداناً من الثقافة الإسلامية ، قد تم ترتيبها وتصنيفها ضمن جوانب التربية الإسلامية ، رجاء أن تحمل شيئاً جديداً للإخوة الخطباء ، وللمعدّي الدروس من الأساتذة والدعاة .

وقد اقتصر إعداد الخطبة على المادة العلمية دون المقدمة والخاتمة ، كما تم ترتيب العناصر في الخطبة بطريقة منطقية متسلسلة، يستطيع الخطيب أن يقتصر عليها ، أو يُضيف ويحذف حسب ما يقتضيه المقام .

وأما الأحاديث والآثار فقد أخذت بنصوصها من المصادر المعتمدة، ولم

يُعتمد فيها على مجرد الذاكرة، وليس من بينها- إن شاء الله تعالى - حديث موضوع.

ولن يعدم الناظر في هذا القسم : فائدة ثقافية، أو موعظة تربوية ، أو معلومة علمية ، يمكن أن تكون مادة مفيدة للخطيب ، والواعظ ، والمعلم، والمربي في العموم ، لاسيما وأن الخطبة معدة في الغالب بطريقة غير تقليدية ، تراعي الواقع القائم ، والأحداث الجارية ، وتعالج الموضوعات بنظرة تربوية شرعية ، تتلمس المشكلة ، وتشخص الداء ، وتقرح العلاج ، ومع كل ذلك يبقى للقصور البشري دوره في إضعاف المقصود ، وتأخر البيان ، واختلال العبارة ، وقلة الاستيعاب للمادة العلمية، إلا أن المسلم يجد عند أخيه العذر إذا قصر ، والصفح إذا أخطأ.

اللهم وفقنا لهذا، واجعل عملنا في رضاك ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

د.عدنان حسن باحارث

إمام وخطيب جامع الأميرة الجوهرة

في مكة المكرمة- المملكة العربية السعودية

ص ب ٦٥٢٥

البريد الإلكتروني

Adnan3456@hotmail.com

الموقع على الإنترنت

[www.bahareth.org](http://www.bahareth.org)



- أولاً : التربية الإيمانية
- ثانياً : التربية التعبُّدية
- ثالثاً : التربية الأخلاقية
- رابعاً : التربية الاجتماعية
- خامساً : التربية الزوجية
- سادساً : التربية العقلية
- سابعاً : التربية الصحية
- ثامناً : التربية الجهادية
- تاسعاً : التربية الاقتصادية
- عاشراً : التربية السياسية
- حادي عشر : التربية الدعوية
- ثاني عشر : السيرة النبوية
- ثالث عشر : التراجم والشخصيات



## أولاً : التربية الإيمانية :

- ١ - ضرورة الإيمان برسول الله ﷺ والتأسي به.
- ٢ - محبة الرسول ﷺ.
- ٣ - قصة الإنسان على الأرض من البداية إلى النهاية.
- ٤ - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون.
- ٥ - المشغولون عن الآخرة.
- ٦ - المصير المحتوم.
- ٧ - القبر أول منازل الآخرة.
- ٨ - قيمة الوقت عند أهل القبور.
- ٩ - ضرورة التوبة.
- ١٠ - التعامل مع المصائب.
- ١١ - مقام التوكل على الله.
- ١٢ - عالم الجن والشياطين.
- ١٣ - السحر والشعوذة.
- ١٤ - ظاهرة النفاق في تاريخ الأمة المسلمة وخطرها.
- ١٥ - تعامل المنافقين مع التطرف الديني.



## ١ - ضرورة الإيمان برسول الله ﷺ والتأسي به

- أيها الإخوة : لقد تقرر عند جميع المسلمين أنه لا فلاح ولا هداية ولا سعادة إلا باتباع سيد المرسلين محمد ﷺ.
- فطريقه هو الطريق الوحيد إلى رضوان الله تعالى والجنة ، وصراطه هو الصراط المستقيم إلى الله تعالى.
- فكل البشرية منذ بعثته عليه السلام ، حتى آخر إنسان يُولد في الأرض هو ملزم بالإيمان به واتباعه .
- وكل البشرية في حاجة ملحة إلى بعثته عليه الصلاة والسلام ، وهي أعظم لهم من طعامهم وشرابهم ومساكنهم ، والدنيا وما فيها .
- فما قيمة ألف عام يعيشها الإنسان في هذه الدنيا على الكفر ، ثم تكون عاقبته إلى نار جهنم .
- إن خسارة الدنيا شيء مؤلم ، ولكن أعظم منها خسارة الآخرة ، حين يكون الإنسان في عذاب الله تعالى .
- ﴿ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾.
- فالدنيا بكل ما فيها متاع زائل هش ، توشك أن تنجلي عن أمر عظيم ، وأما الآخرة فمتاعها دائم كامل لا ينقطع.
- فكيف يسوغ للعاقل أن يقدم الزائل على الباقي ، والعاجل على الدائم ؟.
- أيها الإخوة : النبي محمد ﷺ هو معجزة الله تعالى للناس ، وآية من آياته

- العظيمة ، وبرهان من براهين الحق الكبرى .
- فكل آية من الآيات التي نصبها الله تعالى ليعرفه الناس بها تأتي في الدرجة الثانية بعد الآية الحمديّة الكبرى .
- فالآيات التي خلقها الله في الكون تدل عليه سبحانه ، كالشمس والقمر والحيوان والنبات ، وأعظم الآيات على الإطلاق : محمد ﷺ .
- فهو المثال الكامل للإنسان الكامل ، الذي خلقه الله تعالى وصنعه ، وأعدّه ، وهياه كما يريد ويجب سبحانه وتعالى .
- قد يشبهه بعض الناس في صفاته الخلقية والجسمية ، ولكن أئى لبشر أن يشبهه في كمال خلقه وشمائله وسلوكه .
- لقد بلغ النبي محمد ﷺ الكمال البشري المطلق في شخصه الكريم ، حتى أسرت شخصيته العظيمة المحبين والكارهين .
- حتى قال أحد المهتمدين من النصارى وهو الدكتور دوراني : « أخذت أدرس حياة محمد ﷺ ، فأيقنت أن من أعظم الآثام أن نتنكر لذلك الرجل الرباني ، الذي أقام مملكة لله بين أقوام كانوا من قبل متحاربين ، لا يحكمهم قانون ، يعبدون الوثن ، ويقتربون كل الأفعال المشينة » ، إلى أن قال : « أستطيع أن أقول بكل قوة : إنه لا يوجد مسلم جديد واحد لا يحمل في نفسه العرفان بالجميل لسيدنا محمد ﷺ ، فهو القدوة الطيبة التي أرسلها الله رحمة لنا ، وحباً بنا » .
- أيها الإخوة : لقد ضعف الإيمان برسول الله في نفوسنا ، حتى أصبح باهت

- اللون ، لا معالم له ولا تأثير .
- لم تعد - للأسف - شخصيته - عليه الصلاة والسلام - تملك علينا تفكيرنا ومشاعرنا ، كما كانت تملك على الصحابة مشاعرهم وتفكيرهم .
- يعيش أحدهم دهره كله حتى يموت ، لا يعرف عن شخص رسول الله ﷺ إلا القليل المتناثر من أخباره وأحاديثه .
- كم هم الذين يعيشون بيننا ، لا يرون في شخص رسول الله ﷺ أكثر من رجل صالح محبوب ، وُلد في مكة ، ومات في المدينة .
- لا يقتفي أثره ، ولا يستنُّ بسنته ، ولا يحكِّم شريعته ، لا يُميِّزه شيء عن القوم الضالين إلا اسمه في بطاقته .
- وربما اكتفى بعضنا بذكرى مولده ، يرددها كلَّ عام ، دون أن يكون لشخص رسول الله ﷺ تأثير فاعل في حياته وأخلاقه وسلوكه .
- أيها الإخوة : لنسأل كم هو نصيب رسول الله ﷺ من كلامنا وسلوكنا ووقتنا ؟ كم أعطيناه من حياتنا ومن نفوسنا ؟.
- إن المحبَّ من أصحاب رسول الله ﷺ يتمنى أن يُقَطَّعَ ، ولا يُشاك رسول الله ﷺ بشوكة ، فهل يظن الذي تنكَّر لسنته ﷺ ، وأعرض عن هديه أنه بهذه المنزلة من المحبة؟
- يخطئ من يظن أن شخصية رسول الله ﷺ قد أعطت مداها في السابق ، ولم يبق ما تقدّمه هذه الشخصية للأجيال المعاصرة والقادمة .
- إن شخصيته - عليه الصلاة والسلام - بحرٌ زاخرٌ من العطاء العام

- والشامل، الذي لا ينضب ولا ينتهي، يرتوي كلُّ جيلٍ من معاني شخصيته - جمالاً وكمالاً - بما يفتح الله به عليهم .
- فما تزال الأجيال المتعاقبة تنظر إلى جديد من معاني شخصيته العظيمة ، يلهمهم الله بجانب من جوانب الكمال المحمدي الذي خفيَ على غيرهم .
- أيها الإخوة : قد يبرز شخص في جانب من جوانب الشخصية ويتألق ، ولكن من المستحيل أن يبرز في كل الجوانب ، وتكتمل شخصيته من كل وجه غير رسول الله ﷺ .
- لقد كان محمد ﷺ هو الرسول المرتضى من رب العالمين في كل جوانب شخصيته ، فأينما جال البصر في شخصيته: وجد الكمال البشري المطلق .
- وصدق الله إذ يقول فيه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ .



- أيها الإخوة : إن حقوق رسول الله ﷺ عظيمة وكثيرة ، إلا أنه يمكن أن نُلحِّص في ثلاثة حقوق رئيسة:
- الأول : هو الإيمان الصادق برسول الله ﷺ ، وإجلال مقامه ، وصدق محبته، المحبة الراشدة لشخصه الكريم .
- الثاني : التعرف بعمق على شخصيته ودينه، الذي جاء في القرآن والسنة، والعمل به .



- الثالث : نشر رسالته على العالمين ، والدفاع عنها بالنفس والمال ، وتقديمها على كل غالٍ ونفيس .
- هذه حقوق رسول الله ﷺ علينا ، فليُنظر كل منا في نفسه ماذا حقق منها في واقع حياته .

## ٢ - محبة الرسول ﷺ

- خرج النبي ﷺ في سفرٍ، حتى إذا قضى حاجته من سفره عاد إلى المدينة ، وفي طريق عودته وقف عند بستان من بساتين بني النجار .
- فإذا في البستان جمل ثائر هائج ، لا يدخل أحدُ البستان إلا شدَّ عليه الجمل وهاجمه ، حتى أعياهم .
- وعندها أبلغوا النبي ﷺ خبر الجمل ، فجاء حتى دخل البستان فدعا الجمل ، فجاء واضعاً شفثيه على الأرض .
- ثم برك الجمل بين يديه أذلّ ما كان ، ثم دعا بخطام فخطمه ، ودفعه إلى صاحبه، ثم التفت إلى أصحابه وقد ملأهم التعجب فقال : « إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أنني رسول الله ، إلا عاصي الجن والإنس » .
- وشكى مرة بعض أصحاب النبي ﷺ جملاً آخر قد استعصى على أهله لا يسقي لهم، وقد عطشوا ، وليس لهم جمل آخر .
- فقام النبي ﷺ إليه ، فخافوا عليه من هيجان الجمل ، فقال : « ليس عليّ منه بأس » .
- فلما نظر الجمل وأبصر الرسول ﷺ : أقبل نحوه ، وخرَّ ساجداً بين يديه ، فأخذه الرسول ﷺ من ناصيته أذلّ ما كانت، ثم أدخله في عمله ليسقي أهله .
- يروي سفينة رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال : « ركبت البحر ،

فانكسرت سفينتي التي كنت فيها ، فركبت لوحاً من ألواحها ، فطرحني اللوح في أجمة (وهي الغابة الصغيرة) فيها أسد ، فأقبل إلى يريديني ، فقلت : يا أباالحارث أنا مولى رسول الله ﷺ ، فطأ رأسه وأقبل إلي ، فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة ، وأوقفني على الطريق ، ثم همهم ، فظننت أنه يودّعي ، فكان ذلك آخر عهدي به».

- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « كنا مع النبي ﷺ في سفر ، فأقبل أعرابي ، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ أين تريد ؟ قال : إلى أهلي ، قال هل لك إلى خير ؟ قال : ماهو؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، قال : هل من شاهد على ما تقول ؟ قال ﷺ : هذه الشجرة ، فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي ، فأقبلت تحذُّ الأرض خدأً ، حتى كانت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه كما قال ، ثم رجعت إلى منبتها ، ورجع الأعرابي إلى قومه ، وقال: إن يتبعوني أتيتك بهم ، وإلا رجعت إليك فكنت معك ».

- وعن يعلى بن مرة الثقفي رضي الله عنه قال : بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ : نزلنا فنام النبي ﷺ فجاءت شجرة تشقُّ الأرض حتى غشيتها ، ثم رجعت إلى مكانها ، فلما استيقظ ذكرت له ذلك فقال : هي شجرة استأذنت ربها عز وجل في أن تسلّم عليّ فأذن لها ».

- وقال الرسول ﷺ : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن ».

- عن علي رضي الله عنه قال : « كنا مع النبي ﷺ بمكة ، فخرجنا معه في بعض نواحيها فمررنا بين الجبال والشجر ، فلم نمر بشجرة ولا جبل إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . »

- قال عروة بن مسعود لقريش بعد أن لقي النبي ﷺ في الحديبية قبل فتح مكة : « أي قوم ، لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت مليكاً قط يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمد محمداً ، فوالله ما تنحّم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم ، فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفصوا أصواتهم عنده ، وما يحدثون إليه النظر تعظيماً له . »

- وعن جحيفة رضي الله عنه قال : « رأيت بلالاً أخذ وضوء رسول الله ﷺ ، ورأيت الناس يتدرون ذلك الوضوء ، فمن أصاب منه شيئاً تمسح به ، ومن لم يصب منه شيئاً أخذ من بلل يد صاحبه . »

- وعن أنس رضي الله عنه قال : « لقد رأيت رسول ﷺ والحلاق يخلقه ، وأطاف به أصحابه ، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل . »

- وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : « ما كان أحب إليّ من رسول الله ﷺ ، ولا أجلّ في عيني منه ، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ، ولو سئلت أن أصفه ما أطق ، لأنني لم أكن أملأ عيني منه . »

- أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .



- أيها المسلمون : إن من الحقائق الكبرى أن كلَّ ما في هذا الكون مخلوق من مخلوقات الله ، في ملكه وتحت سلطانه ، ويسير بنظامه وتدبيره ، لا يخرج شيء من ذلك عن مشيئته وتصريفه وقدرته .

- ثم إنَّ كلَّ ما في هذا الكون يقوم بحق العبودية لله تعالى والخضوع له ، ولا يشدُّ عن ذلك إلا عصاة الإنس والجن .

- ثم إن ما يجري في الكون من الأحداث الصغيرة والكبيرة ، إنما تجري بقضاء وتدبير سابق ، قد قدر الله كلَّ ذلك في الأزل .

- والله جعل في هذا الكون خواصاً من الأزمنة والأمكنة والأشخاص ، يرفع منها ما يشاء ، ويحطُّ منها ما يشاء ، وليس للمؤمن في ذلك إلا الإيمان والطاعة والاتباع .

- ومن هنا فقد فضَّلَ اللهُ تعالى محمداً ﷺ على سائر مخلوقاته ، وألزم الأنبياء وأقوامهم الإيمان به ، وطاعته واتباعه عند بعثته ، وعرف المخلوقات من الحيوان والنبات والجماد فضله ومكانته ونبوته ، فأمن به الجميع وأحبوه ،

إلا عصاة الإنس والجن .

- يقول رسول ﷺ : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » .

- وقال : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » .

- وقال : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة » .

- وقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة » .

- وقال أيضاً : « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين » .

- أيها الإخوة : إنها المحبة الراشدة ، التي تغلغت في القلوب ، فأثمرت الإيمان والافتداء والشوق .

- الكل قد عرف رسول الله ﷺ وآمن به وأحبه ، كلُّ من في السموات والأرض فما يضير رسول ﷺ أن كفر به شرذمة من فجار الجن والإنس ، عمَّا قليل يُساقون ذليلين حقيرين إلا جهنم وبئس المصير ، حينها يشفي الله صدور المؤمنين بعذاب خصومهم من الكافرين .

- فاصبروا أيها المسلمون ، فإن موعدكم الحوض مع رسول الله ﷺ ، تغدون عليه مؤمنين غير منافقين ، متبعين غير مبتدعين .

- ينظر أحدكم إليه بين جموع المؤمنين عند الحوض ، يسقي هذا ، ويحتضن هذا ، ويصافح هذا ، الكل يريد أن يرى رسول الله ﷺ .

- فإياك أخي المسلم أن يُذاد بك عن حوضه، ويُؤخذ بك بعيداً عنه، قد خنت العهد ، وبدلت وغيرت.

- اللهم اجعلنا من حزب رسول الله ﷺ ، اللهم أوردنا حوضه ، واسقنا بيده الشريفة شربة لا نظماً بعدها أبداً ، يا أرحم الراحمين .

### ٣- قصة الإنسان على الأرض من البداية إلى النهاية

- كان الله تعالى ولم يكن قبله شيء ، ثم خلق القلم فقال : اكتب ، فكتب القلم بأمر الله ما يكون إلى يوم القيامة .
- ومما كتب الله وقدره : أن يخلق بشراً من طين ، فكان آدم وزوجه ، فاسكنهما جنته ، وامتنحهما بالشجرة فحرّمها عليهما ، دون سائر نعم الجنة .
- ولما ابتلي آدم وزوجه فأكلا من الشجرة : أمر الله فأهبطاً إلى الأرض ، لتكون لهما ، ولمن يأتي من نسلهما مستقراً ، ومتاعاً إلى حين .
- فتكاثر الخلق على هذه الأرض من ذرية آدم ، وأصبحوا شعوباً وقبائل ، فمازال الله تعالى يكلّوهم بوحيه المبارك ، ويرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين .
- فكان الصراع بين الحق والباطل ، فمر على الحياة الإنسانية أجيال من البشر ، منهم المؤمن ومنهم الكافر ، وجمع هائل من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .
- حتى إذا أذن الله بفناء الدنيا ، وانقطاع الوحي : بعث محمداً ﷺ خاتماً للأنبياء والمرسلين ، وعلامة شاهدة على قرب الساعة .
- فعمّ الخير ببعثته ، وازدهرت الدنيا ، وكثر أتباعه ، ودخل الناس في الإسلام أفواجا ، وانتشر سلطان المسلمين وبلغ الآفاق كلّها .



- حتى إذا كمل البناء وتمّ ونضج : بدأ النقص ، ودبّ في الأمة المسلمة داء الأمم قبلها من : البغضاء والشحناء والحسد ، وحبّ الدنيا وكرهية الموت .

- وبدأت الفرقة في المسلمين ، فأصبحوا شيعاً وأحزاباً ، ودولاً متباغضة متناحرة ، فتسلط عليهم أعداؤهم ، وتداعوا عليهم من كل صوب .

- فذاقت الأمة ويلات الظلم والطغيان من أعدائها ومن فسقة أبنائها ، حتى إذا أراد الله التخفيف عن الأمة : ألهما رشدها بالعودة إلى دينها ، فكان الدعاة والمصلحون ، يرشدون الأمة ، ويعظونها .

- فما تزال أمة الإسلام - في آخر الزمان - في تقدّم وتقهقر ، ومدّ وجزر ، يبتليها الله بالفتن السود التي تجعل الحلّيم حيران ، حتى يتمنى الرجل الموت من شدة الفتن : ظلم ، وجوع ، وفساد ، وطغيان ، ومع ذلك تكثر الزلازل ، ويقلّ المطر ، وينقص الماء ، ويذهب الخير .

- حتى إذا بلغت الفتنة منتهاها : تتوجت بجروج الأعور الدجال ، فلا تكون فتنة أعظم منه ولا أشد على الناس ، لاسيما على المؤمنين ، الذين يعرفون حقيقته .

- حتى إذا أهلك الدجال الناس بأذاه وطغيانه : نصر الله المؤمنين الصابرين بعيسى ابن مريم والمهدي عليهما السلام ، فيهلك الدجال .

- فإذا ارتاح المؤمنون من أذى الدجال : خرج يأجوج ومأجوج ، خلق بغيض خبيث عنيف ، لا يقدر عليهم إلا الله ، فيعيشون في الأرض فساداً .

- فيهرب المؤمنون في الجبال والكهوف ، ويفقدون الطعام ، حتى يكون طعامهم التسييح والذكر .
- ثم يهلك الله بقدرته يأجوج ومأجوج ، ويُطهر الأرض من فتنهم وفسادهم ، ثم يعود الخير والصلاح والبركة على المؤمنين زمناً يسيراً .
- ثم يدبُّ الشرُّ في حياة الناس ، ويعمُّ الضلال من جديد ، ويظهر الشرك والفساد ، وعندها يأذن الله بريح طيبة تقبض أرواح المؤمنين .
- حتى إذا لم يبق في الأرض مؤمن يقول : « الله الله » : أذن الله لصاحب القرن أن ينفخ ليصعق من في السموات والأرض ، إلا من شاء الله .
- ثم يترك الله الخلق في موات ما شاء أن يتركهم ، ثم يأمر الملك فينفخ فيه أخرى ، فإذا هم قيام ينظرون .
- فإذا بهم على أرض منبسطة لا جبل فيها ولا علم ، يُساقون إلى محشرهم ، الإنس والجن والوحوش والطيور ، كما خلقهم الله أول مرة .
- حتى إذا ازدحم الخلق ، وحُشر الناس ، والتفت الساق بالساق : دنت الشمس من رؤوس الناس ، على قدر ميل ، فيأخذهم العرق ، حتى يغوص في الأرض أربعين ذراعاً .
- فيقوم الناس لرب العالمين في ذلك المقام العظيم العسير أربعين عاماً ، قد أضناهم الجوع والعطش ، إلا أولياء الله المتقين ، فهم في ظل عرش الرحمن ، على منابر من نور .
- حتى إذا بلغ الكرب منتهاه : استشفع أهل الموقف بالأنبياء فيعتذرون ، حتى

إذا استشفعوا بمحمد ﷺ قال : « أنا لها » ، فيسجد تحت العرش ، ويحمد الله  
بمحامد لم يكن يعرفها من قبل .

- ثم يقبل الله شفاعته في الخلق ، ويُعلي من مقامه بين الناس ، فيأذن بفصل  
القضاء : فتنصبُ الموازين ، وتتطير الصحف ، ويُضرب الصراط على متن  
جهنم .

- فيقضي الله بين الوحش والدواب بعظيم عدله : ﴿ لا ظلمَ اليومَ ﴾ ، حتى  
إذا فرغ منها قال لها : « كوني تراباً » ، فتكون تراباً .

- ثم يكون القضاء بين الناس ، حتى يُنادي : هذا فلان ابن فلان ، من كانت  
له مظلمة عنده فليأت ، فيأتي المظلوم ليأخذ من حسناته ، وربما طرح عليه  
من سيئاته .

- فيتعلقُ الناسُ بعضهم ببعض ، ويكثر الجدال والخصام ، ويتبرأ المتبوع من  
التابع ، كلٌّ يقول : نفسي نفسي .

- حتى إذا أخذ الكفار إلى الجحيم : نُصب الصراط على متن جهنم ، قد  
أوتي بها لها سبعون ألف زمام ، مع كلِّ زمام سبعون ألف ملك يجرونها .

- فالناس على الصراط على حسب أعمالهم : ناجٍ آمن ، ومخدوش ناجٍ ،  
ومكردس في نار جهنم .

- ثم يُطهر الله المؤمنين مما في صدورهم من غلٍ ، حتى يأذن لهم في جواره  
الكرِيم ، في جنات النعيم ، ثمَّ يدخلونها ، يعرف أحدهم بيته من الجنة  
كما يعرفه في الدنيا .

- فما يزال المؤمنون في إلحاحِ عَلَى ربهم حتى يخرج من النار إخوانهم من أهل الإيمان فيخرجون ، حتى يكون آخرهم من جهينة ، له مثل الدنيا وعشر أمثالها .

- حتى إذا اكتمل أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار ، أتى بالموت على صورة كبش ، فذبح بين الجنة والنار والكل ينظر ، وقيل : يا أهل النار خلود فلا موت ، ويا أهل الجنة خلود فلا موت ، وعندها يزداد أهل الجنة فرحاً وسروراً ، ويزداد أهل النار حزناً وبؤساً .

- أيها المسلمون : هذه قصة الإنسان من بدايتها إلى نهايتها : ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ .



- أيها المسلمون : إن الإنسان حين يموت ينتقل إلى مرحلة جديدة من هذا الوجود ، قد أخبرنا الله تعالى عنها ، وبيّن لنا سبل النجاة منها .

- إنه ينتقل إلى عالم جديد ، قد انقسم إلى قسمين ، قسم سعيد ملؤه البهجة والسرور ، وقسم تعيس ملؤه الحزن والهموم .

- إن ما مضى من الدنيا أكثر بكثير مما بقي ، وما أماننا من الأهوال شيء عظيم وفظيع ، ولكن الله حسبنا وهو وليّنا .

- قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن ، وحنى جبهته يستمع متى يؤمر فينفخ ، فقال أصحاب محمد ﷺ كيف نقول ؟ قال : قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا » .

## ٤- وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون

- أيها المسلمون : حينما يعرض أحدنا نفسه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يجد نفسه بعيداً بعداً شاسعاً عن المقام المطلوب ، والمعيار الصحيح .
- لقد افتضحنا أمام موازين الكتاب ، ومعايير السنة ، حتى إن أحدنا لا يجد نفسه شيئاً ، كأنه صورة بلا حقيقة ولا وزن .
- لقد وصف الله في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ : أنموذج المؤمن الحق ، في إيمانه وأخلاقه ، فأين نحن من هذا الأنموذج ؟.
- أيها الإخوة : لقد عرض السلف الصالح أنفسهم على الكتاب والسنة ، فلم يجدوا أنفسهم شيئاً ، فماذا ترون يقول من بعدهم ، من أمثالنا وأضرابنا .
- إن الموازين التي تُوزن بها أعمال أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، هي عين الموازين التي تُوزن بها أعمال غيرهم من الناس .
- فأبي مصيبة تلحق أحدنا حين تثقل سيئاته ، وتُخفُّ حسناته ، قد غلبت أحادُهُ عشراته ، فأبي مصيبة أشدُّ من هذه ؟
- إنه الخزي الأكبر حينما يقف أحدنا يوم القيامة مثقلاً بالسيئات ، فقيراً من الحسنات ، قد خاب سعيه ، وضاع جهده .
- ينظر عن يمينه وعن يساره فلا يرى إلا قبائح أعماله ، قد أحاطت به سيئاته من كل مكان .
- وإذا بالنار تلقاء وجهه ، تطلبه للعذاب ، وقد ملكها الغيظ من قبح صنيعه في الدنيا .

- يصيح أحدهم في موقف القيامة بالشفعاء ليشفَعوا له ، فلا يجيبه أحد ، الكَلُّ قد خذله في يوم اضطراره .
- حتى سيد الخلق ، رسول الله ﷺ ، لا يجيبه إلا بما يزيد من ألمه وحسرتة : «سحقاً سحقاً» ، « بعداً بعداً» .
- ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ، وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ، فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .
- ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَازِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ .
- أيها الإخوة : إنه موقف عصيب ، لا يأمنه أحد منا ، فمن هذا الذي يعتقد أنه ناج يوم القيامة ؟ من يجروء على القول بسلامته ؟
- وإنما يرجو المؤمن رحمة ربه ، ويخاف أن تفوته ، فالمؤمن يموت وهو متعلق بالرجاء ، يتمنى رحمة ربه ، ويخاف عذابه .
- إن الرجل ليعمل الأعمال الصالحة الكثيرة ، حتى إذا لقي الله بها جعلها هباءً منثوراً ؛ لشيء ما بينه وبين الله .
- وإن الرجل ليسرف على نفسه في المعاصي ، فيلقى الله بها ، فيغفرها له ، والله أعلم بعباده ، يفعل بهم ما يشاء .
- ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ .
- ولا يصح أن يفهم أحدنا : أن الأعمال الصالحة لا تنفع أصحابها ، وأن السيئات لا تضر أهلها ، فهذا خطأ فاحش .

- فقد تواترت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية : على أن الله يثيب على الحسنات ، ويعاقب على السيئات.  
- فهذا هو الأصل الأصيل الذي قام عليه العدل الإلهي، وجاءت الرسل بيانه.

- ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ .  
- ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .  
- ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .  
- إنَّ الله يُريد منا أن نحيا بين الخوف والرجاء ، ونخاف ذنوبنا مهما كانت صغيرة، ولا نعتد على أعمالنا مهما كانت عظيمة ، ونرجو عفو ربنا مهما عظمت ذنوبنا ، فإن الله يغفر الذنوب جميعاً.

- سألت السيدة عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن قوله تعالى :  
﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ ، « هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر ، وهو يخاف الله عز وجل ؟ قال : لا يا بنت الصديق ، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق ، وهو يخاف الله عز وجل » ، وفي رواية : « ولكنهم الذين يُصلون ويصومون ويتصدقون ، وهم يخافون إلا يُتقبل منهم ، أولئك يسارعون في الخيرات ».

\* \* \*

- أيها المسلمون : إن لقاء الله شيء عظيم ، وخطب جليل ، يُسأل فيه أحدنا عن عمره وشبابه وعلمه وماله ، ما صنع في كل ذلك في حياته .
- يعيش أحدهم دهره بأفكار مغلوطة ، يظن أن الله لا بد أن يغفر له ؛ لأنه قام ببعض الأعمال الصالحة ، أو لأنه يعيش في البلد الحرام ، أو لأنه من ذرية قوم صالحين ، أو لأنه حفظ القرآن وتعلم العلم الشرعي ، وقد نسي هؤلاء أنه : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ، وهذا وصف يصعب أن يدعيه المسلم لنفسه ، وإنما يعمل الصالحات ، فيرجو ربه ويخافه .
- وإنما يأمن عقوبة الله من لا خلاق له في الآخرة ، فقد كان السلف مع عظيم بلائهم في الإسلام : لا يذكرون أنفسهم بل يخافون ولا يأمنون .
- فهذا سيدُّ الناس رسول الله ﷺ ، تحكي عنه السيدة عائشة رضي الله عنها تقول : « ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعا ضاحكا - يعني مستغرقا في الضحك - حتى أرى منه لهوته - يعني أرى منه آخر حلقة - وإنما كان يتبسّم » .
- وهذه عائشة رضي الله عنها تقول : « والله لوددت أني كنت نسياً منسياً » ، يعني لا خلقت ، ولا عرفت شيئاً .
- وكان عبد الله بن شداد رحمه الله ، يتقلّب في فراشه لا يأتيه النوم ، فيقول : « اللهم إن النار أذهبت مني النوم » ، فيقوم يصلي .
- وكان بعضهم يدخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فيراه ينتفض من شدة الخوف ، حتى قال الطبيب : « غلب على قلبه الخوف » .



- وكان عطاء السُّلمي رحمه الله من شدة خوفه لا يسأل الله الجنة ، وإنما يسأله العفو ، وكان من شدة خوفه أنه نَسِيَ القرآن .
- وكان سفيان الثوري رحمه الله كثير البكاء ، فسُئِلَ عن ذلك فقال: « أَتَخَوَّفُ أن أكون في أم الكتاب شقيّاً » .
- وكان إذا نام في بعض الأحيان يستيقظ مرعوباً ، يصيح : « النار النار » .
- وكان علي بن الفضيل بن عياض رحمه الله من العبّاد على نهج أبيه ، فبكى يوماً ، فقال له أبوه الفضيل : ما يبكيك ؟ قال : « أخاف ألا تجمعنا القيامة » ، يعني تفرق القيامة بينهما .
- لما حضرت الوفاة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في آخر أيامه ، وقد مرض مرض الموت : بال دماً ، فلما رآه الطبيب قالَ : « هذا رجل قد فتت الغم والخوف جوفه » .
- وكان العابد أبو بكر سيّد حمْدُويه رحمه الله ، لا يسند ظهره إذا جلس ، ولا يمدّ رجله هيبةً لله تعالى .
- يقول الجنيد رحمه الله: « إن كنت تأملهُ ، فلا تأمنهُ » ، يعني إن كنت ترجو الله فلا تأمن من مكره .
- يقول الذهبي رحمه الله : « كلُّ من لم يخش أن يكون في النار : فهو مغرور ، قد أمن مكر الله به » .
- اللهم نرجو رحمتك ، ونخشى عذابك ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

## ٥- المشغولون عن الآخرة

- أيها المسلمون : تُخيم المادية المقيتة بظلالها السوداء القائمة على حياة الإنسان المعاصر ، وتُسيغ على حياته قسوة وغلظة وجفافاً.
- وتحاصره مشاغل الدنيا وحاجاتها الكثيرة ، فلا يكاد يخرج من شأن إلا وقع فيما هو أشد ، يسير في دائرة مفرغة لانهاية لها .
- لقد أغرقته الحياة المادية بمشاغل لا حصر لها ، وأعمال لا تنتهي ، حتى إنه من فرط انشغاله لا يلتفت إلى نفسه.
- لقد شغلته وظيفته عن نفسه ، يعمل في الصباح والمساء ، بكل جد ونشاط ، يبتغي بذلك رضا رؤسائه .
- ولقد شغلته زوجته بطلباتها التي لا تنقطع ، وأهله بدلالها الذي لا ينتهي ، استهلكته في خدمتها ورضاها .
- وأما الأولاد فقد شغلوه بحاجاتهم الكثيرة ، فهذا يحتاج إلى من يراجع معه دروسه ، وهذا لا بد أن يذهب به إلى الطبيب ، وهذا يطالب بالنزهة ، وهكذا .
- وأما والداه ، فكلاهما في حاجة إلى رعايته ، وشيء من وقته يبذله في خدمتهما ، ورعاية شؤونهما .
- وأما الأقارب ، فهذا مريض لا بد من زيارته ، وهذا زواج لا بد من حضوره ، وهذا عزاء لا بد من مواساة أهله .
- وأما السيارة والشقة ، فكلاهما يحتاج إلى صيانة ، إضافة إلى المعاملات

- الحكومية التي تحتاج إلى مراجعة ومتابعة.
- فما أن تحلَّ نهاية الشهر ، وينزل الراتب في الحساب ، حتى يبدأ الديانة بالخصم منه ، أقساط وفواتير لا تنتهي .
  - فإذا هو في هذه الدوامه إلى الستين من عمره ، قد زوج الأولاد والبنات ، وتقاعد من عمله ، يزعم أنه يتفرغ لنفسه .
  - فإذا بأمراض العصر تحيط به : الضغط والسكري ، والجلطات والهزال ، فإذا به يخوض دوامة جديدة من المشاغل المرضية والعلاجية.
  - ينتقل من مصحَّة إلى أخرى ، ومن طبيب إلى طبيب ، قد استهلك ما بقي من ثروته على صحته وعلاجه .
  - حتى إذا أعياه المرض ، وأصبح طريح الفراش ، أسير المقعد المتحرك ، وقد خارت قواه عن القيام بالأعمال ، لم يعد قادراً على شيء : حينها تعمل الذاكرة عملها في نفسه.
  - فأخذ يتذكر ماذا فعلت به الحياة المادية بمشاغلها ؟ كم من صلاة ضيعها ؟ وكم من جمعة فوتها ؟
  - لم يجتم المصحف في حياته إلا مرة أو مرتين ، لقد نسي نفسه فلم يحج ولم يعتمر ، حتى الزكاة لا يدري كم بقيَ عليه منها ، لم يخرجه للمستحقين.
  - وأما رمضان فقد مرت عليه في شبابه أشهر لم يصمها ، وأفطر أياماً بسبب العمل لم يقضها ، وأما النذور فكثيرة لا يذكرها .
  - كم مرة حلف على زوجته بالطلاق ، وكم مرة ألقاه عليها ، ومع ذلك فهي لاتزال معه ، لم يسأل ، ولم يستفت .

- له رحم قد قطعها بسبب حطام الدنيا ، وله جار قد هجره منذ سنوات طويلة ، لا يُلقي عليه حتى السلام .
  - لقد أهته الدنيا بمشاغلها ، وغرّه الشباب بقوته ، فلم يستعدّ لما أمامه من كرب الآخرة .
  - كيف يستدرك ما فاته ؟ لقد خارت قواه عن القيام بالأعمال الصالحة ، حتى الصلاة لا يستطيع أن يقوم لها .
  - له أولاد لا يطاوعونه ، إذا أراد الصدقة ثبّطوه ، وإذا أراد أن يقف شيئاً من أملاكه منعه ، لم يعد الأمر بيده .
  - لقد فاته زمن الاختيار ، أما الآن فهو في زمن الإجماع ، لا يشعر بمشاعره أحد ، ولا يحسُّ بإحساسه أحد .
  - لقد أصبح كالغريب بين أهله وأولاده وأحفاده ، كالتائه في وسطهم ، إذا تكلموا لا يسمعون لثقل سمعه ، وإذا تكلم لا يفهمونه لثقل لسانه .
  - ينتظر مودّتهم ورحمتهم به ، وهم ينتظرون ساعته التي يتخلّصون فيها منه ، يتمنى ساعة من ساعات الشباب يعمل فيها لله تعالى .
  - كيف يقدم على الآخرة بصحائف بلا أعمال ، وذنوب بلا استغفار ، وحقوق بلا أداء .
  - حتى إذا حانت ساعة الفراق ، فأدبرت الدنيا بملذاتها ، وأقبلت الآخرة بكرباتها : جاء الموت ، وختمت الصحائف ، وقضى الأمر .
  - وصدق الشاعر إذ يقول :
- لعمرك ما يُغنى الثراء ولا الغنى إذا حشّرت يوماً وضاق بها الصدر

- وأصدق من هذا قول الله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .
- أيها الإخوة : هذا مصير كل واحد منا ، إلا من تخطئته المنيا قبل ذلك ، فلم يُمهّل ليستدرك ما فاته ؟
- ليس من كبير ولا صغير ، ولا عظيم ولا حقير ، ولا ذكر ولا أنثى إلا و ينتظر ساعة مصرعه ، إن أجلاً أو عاجلاً .
- إلا أن العاقل يستفيد من فترة شبابه وقوته بعمل الصالحات ، والإكثار من الطاعات ، وتجنب المحرمات .
- وهذا لا يتحقق حين يستسلم المسلم للحياة المادية ، وللشواغل التي لا تنتهي ، فالإنسان كلما كبر زادت مشاغله .
- فالعاقل يقطع وقتاً من ساعته ، ومن يومه ، ومن شهره ، ومن سنته ، يقطع وقتاً يجعله لله تعالى خالصاً ، قربة لله تعالى ، يتقرب بها إليه في عمل صالح .
- يصلي أو يصوم ، يذكر الله تعالى ، يقرأ القرآن ، يتصدق على المساكين ، يصل الأرحام ، يصلح بين اثنين ، ينصر مظلوماً .
- يعزم على ترك المعاصي ، فلا يعصي الله بلسانه ، ولا بنظره ، ولا بسمعه ، ولا يمنع حقوق الناس ، فإذا قصر وأخطأ : عاد إلى ربه فتاب وأتاب .
- إن أبواب الخير كثيرة مشرعة ، وفضل الله واسع ، و ما من شيء يمنع الإنسان من الخير إلا شيطانه ، ونفسه الأمارة بالسوء .
- اللهم وفقنا لطاعتك ، واستخدمنا في رضاك يا أرحم الراحمين .

## ٦- المصير المحتوم

- أيها الإخوة : ينقسم الوجود إلى عالمين: عالم الغيب، وعالم الشهادة، فما وصلت إليه حواس الإنسان فهو من عالم الشهادة .
- وما حُجب عن الإنسان فهو من عالم الغيب ، ولا سبيل إليه إلا من خلال الوحي المنزل على الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام .
- وما زال الإنسان بفطرته المتعطّشة إلى المعرفة : يسعى جاهداً للكشف عما وراء الطبيعة من عوالم الغيب المحجوبة .
- يتلمّس خبر المستقبل ، ومصير الإنسان ، والقضاء والقدر ، يبحث عن الحقائق المستورة .
- ولقد جاء الوحي المبارك ليخبر الإنسان عن جانب من عالم الغيب المكنون؛ ليسكّن به نفسه ، ويهدئ به روعه .
- ويشبع نهمته الفطرية للمعرفة الغيبية ، بالقدر الذي يصلحه ، ويعينه على الاستقامة والهداية .
- ولقد اتفقت كلمة الرسل والأنبياء الكرام عليهم جميعاً الصلاة والسلام ، منذ آدم إلى محمد ﷺ : أن الناس يصيرون إلى دارين لا ثالث لهما .
- دار نعيم وسعادة وحبور ، اسمها الجنة ، ودار شقاء وتعاسة وألم ، اسمها النار، ولاشي غير هاتين الدارين.
- فليس من جنّي و لا إنسي ، إلا وهو صائر إلى إحدى هاتين الدارين ، إلى الجنة أو إلى النار : ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ .

- فأما أهل الجنة فيدخلون داراً لأنصب فيها ولا تعب ، بناؤها : لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة .
- وحبابؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، وطينها المسك ، وأنهارها : لبن وخر وعسل وماء .
- ظلها لا تنتهي ، وأنهارها لا تنقطع ، وطعامها لا يُمل ، من دخلها لا يفنى ولا يشيب ولا يئس .
- آيتهم من ذهب ، وأمشاطهم من ذهب ، لا يبولون ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ، رشحهم المسك .
- لقد أنشأهم الله نشأة أخرى ، على خلق أبيهم آدم ، ستون ذراعاً في السماء ، في عرض سبعة أذرع .
- لا تباغض بينهم ولا تحاسد ولا تنافس ، على قلب رجل واحد ، يتنازعون فيما بينهم كؤوس الخمر على الأسرة العالية الوثيرة .
- يتزاورون ويتلاقون ، يجمعهم سوق الجنة على كئبان المسك ، وأسرة الشرف ، ومنابر النور .
- يسعدون برؤية ربهم ، وينعمون برضوانه عليهم ، فلا سخط ، ولا غضب ، ولا عذاب .
- يقول الرسول ﷺ : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسروره ، مسيرة ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوةً وعشياً » .
- ويقول الرسول ﷺ : « خلق الله جنة عدن بيده ، ودلى فيها ثمارها ، وشقّ

- فيها أنهارها ، ثم نظر إليها فقال لها : تكلمي ، فقالت : قد أفلح المؤمنون»،  
نعم قد أفلح المؤمنون ، وأي فلاح أعظم من هذا ؟
- لقد أمرهم الله في الدنيا بالإيمان فأمنوا ، وأمرهم بالصلاة فصلوا ، وأمرهم بالزكاة فزكوا ، وأمرهم بالصيام فصاموا ، وأمرهم بالحج فحجوا ، وأمرهم بالحلل فالتزموا ، ونهاهم عن الحرام فانتهوا .
  - لقد عرفوا محارم الله فلم ينتهكوها ، وعلموا حدود الله فلم يتجاوزوها ، فهنيئاً لهم برحمة الله ورضوانه وجنته .
  - وأما أهل النار فيدخلون داراً سحيقة عميقة ، يُلقى الحجر من شفيرها فلا يصل إلى قعرها إلا بعد سبعين عاماً .
  - ليس فيها إلا السلاسل والأغلال ، وحمم اللهب والنيران ، يأكل بعضها بعضاً ، حرّها شديد ، وقعرها بعيد ، ومقامها حديد .
  - قد أوقد الله على النار ألف عام حتى احمرت ، ثم ألف عام حتى ابيضت ، ثم ألف عام حتى اسودّت ، فهي سوداء مظلمة .
  - أدنى أهلها عذاباً من له نعلان من نار : يغلي منهما دماغه ، لا يرى أن أحداً أشدّ منه عذاباً ، وإنه لأهونهم عذاباً .
  - ومنهم من يكونون في توايت من نار ، بعضها في داخل بعض ، ليس من عرق إلا فيه مسمار من نار ، لا يسمعون ولا يُسمعون .
  - يُؤتى بالنار يوم القيامة لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها .
  - تبعث بشرها في حجم الحصون والمدائن والقصور ، وما نار الدنيا إلا



- جزء من مائة جزءٍ من نار جهنم .
- يقول الرسول ﷺ : « والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، قالوا : وما رأيتم يا رسول الله ؟ قال : رأيتم الجنة والنار» .
- ومرّ رسول الله ﷺ مرة على بعض أصحابه وهم يضحكون ، فقال : «تضحكون وذكر الجنة والنار بين أظهركم ، فما رأي أحدٍ منهم ضاحكاً حتى مات» .
- سأل الرسول ﷺ جبريل عليه السلام : « مالي لا أرى ميكائيل ضاحكاً قط ؟ قال : ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار » .
- كثيراً ما كان الرسول ﷺ يحذّر من النار ، ويرغب في الجنة ، فيقول في بعض مواعظه : « أنذرتكم النار ، أنذرتكم النار » ، وربما قال : « لا تنسوا العظيمتين : الجنة والنار » .
- وربما قال عليه الصلاة والسلام : « ما رأيتم مثل النار نام هاربها ، ولا مثل الجنة نام طالبها » .
- وكثيراً ما كان يدعو بدعاء القرآن فيقول : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ .
- ولقد علّمنا رسول الله ﷺ أن نسأل الله الجنة ، وأن نستجير به من النار فقال : « ما استجار عبد من النار سبع مرات ، إلا قالت النار : يا رب إن عبدك فلاناً استجار مني فأجره ، ولا سأل عبد الجنة سبع مرات ، إلا قالت الجنة : يا رب إن عبدك فلاناً سألتني فأدخله الجنة » .
- اللهم إن نسألك الجنة، ونعوذ بك من النار .

## ٧- القبر أول منازل الآخرة

- أيها الإخوة : يُقرُّ العقلاء من كل دين وملة أن ما اطلع عليه الإنسان من حقائق الكون وعلومه وخفاياه ، منذ أوّل الخليقة حتى الآن هو شيء قليل ويسير .
- ومهما ادّعى الإنسان من العلم والمعرفة فإنه يسير قليل في مقابل ما خفي عليه من الحقائق والعلوم والمعارف الغيبية المحجوبة .
- أيها المسلمون : إن حقائق الكون وعلومه ومعارفه تنقسم إلى قسمين :
  - قسم مُتاح للإنسان في الحياة الدنيا ، يطلع عليه ويراه بقدر اجتهاده .
  - قسم آخر لا يمكن للإنسان الاطلاع عليه مهما حاول إلا بعد الممات .
  - إنه عالم الغيب ، بكل ما فيه من العجائب والغرائب ، من الخير والشر .
  - لقد حجب الله تعالى عنا عالم الغيب وأسراره ، وما ذلك إلا للاختبار والابتلاء .
  - وليس للإنسان وسيلة يتعرّف من خلالها على عالم الغيب غير الوحي المنزل .
- ولقد تحدّث القرآن الكريم والسنة المطهرة عن جانب من حقائق عالم الغيب ، الذي ينتظر الإنسان من حين موته حتى مستقره الأخير في الجنة أو النار.
- ولقد ثبت عند أهل السنة والجماعة أن أوّل منازل الآخرة هو القبر .
- القبر بما فيه من الخير أو الشر ، من النعيم أو الجحيم ، من الرضا أو الندم.

- يقول الرسول ﷺ : « إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه ، فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه » .
- ويقول ﷺ عن فتنة القبر : « إني أوحى إلي أنكم تُفتنون في قبوركم » .
- أيها المسلمون : استمعوا إلى هذه الرواية العظيمة التي يخبر فيها الرسول ﷺ عن الإنسان ، منذ لحظة خروج روحه حتى يرى مقعده من الجنة أو النار ، يقول : « إنَّ العبد المؤمن إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبال من الآخرة نزلَ إليه من السماء ملائكة بيضُ الوجوه ، كأن وجوههم الشمسُ ، معهم كفنٌ من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مدًّا البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلسَ عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة ، اخرجي إلى مغفرةٍ من الله ورضوانٍ ، فتخرجُ تسيلُ كما تسيلُ القطرة من في السقاء فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها ، فيجعلوها في ذلك الكفن في ذلك الحنوط ، ويخرجُ منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون على ملاءٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الطيبة ؟ فيقولون : فلانُ بن فلانٍ - بأحسنِ أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا - حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتحُ له ، فيُشيعُهُ من كل سماءٍ مُقربوها إلى السماء التي تليها ، حتى ينتهي إلى السماء السابعة ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابَ عبدي في عليين ، وأعيدوا عبدي إلى الأرض ، فأني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، فتعادُ روحه فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولون له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ،

فيقولون له : ما دينك ؟ فيقول: ديني الإسلام ، فيقولون له : ما هذا  
 الرجل الذي بُعثَ فيكم ؟ فيقول: هو رسول الله ، فيقولان له : وما  
 علمك ؟ فيقولُ : قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت ، فينادي منادٍ من  
 السماء : أن صدق فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً  
 إلى الجنة ، فيأتيه من رُوحها وطيبها ، ويُفسحُ له في قبره مدَّ بصره ، ويأتيه  
 رجلٌ حسنُ الوجه ، حسن الثياب ، طيبُ الريح فيقول : أبشر بالذي  
 يسرك ، هذا يومك الذي كنت توعدُ، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه  
 الذي يجيء بالخير، فيقول : أنا عمك الصالح ، فيقول : يا رب ، أقم  
 الساعة ، رب أقم الساعة ، حتى أرجع إلى أهلي ومالي ، وإن العبدَ الكافرَ  
 إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكةً  
 سودُّ الوجوه، معهم المسوحُ فيجلسون منه مدَّ البصرِ ، ثم يجيء ملكُ الموت  
 حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة ، اخرجي إلى سخطٍ من  
 الله وغضبٍ، فيفرقُ في جسده فينتزعها كما ينتزعُ السَّفودُ من الصوف  
 المبلولِ ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في  
 تلك المسوحِ ، ويخرجُ منها كأنَّ ريحَ جيفةٍ وجدت على وجه الأرض ،  
 فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملامٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروحُ  
 الخبيثُ ؟ فيقولون : فلانُ بن فلان - بأقبح أسمائه التي كانوا يسمونه بها  
 في الدنيا - حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحُ له فلا يفتح له ،  
 ثم قرأ : ﴿ لَأَنفُتَحُ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا  
 كتابه في سجينٍ في الأرض السفلى ، فتطرح روحه طرْحاً ، فتُعاد ، روحه  
 في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك؟ فيقول: هاه ،

هاه ، لا أدري ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول : هاه، هاه، لا أدري ، فينادي منادٍ من السماء : أن كذبَ عبدي ، فافرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرّها وسمومها ، ويُضيقُ عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجه ، قبيحُ الثياب ، منتنُ الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسوؤك ، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول : من أنت؟ فوجهك الوجهُ الذي يجيء بالشر، فيقول : أنا عملك الخبيثُ، فيقول: رب، لا تُقم الساعة .»

- أيها المسلمون : إنها الحقائق الكبرى التي تنتظرنا ، لقد مرَّ بها كلُّ من مات من أهلنا وأحبابنا ، وسوف نمرُّ بها نحن ، ولا بدَّ .

- فاستعينوا بالله ، وتعوذوا من عذاب القبر .

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ .

\*\*\*

- أيها الإخوة : يقول الرسول ﷺ عن عظيم فتنة القبر : « ما من شيء لم أكن رأيته إلا رأيته في مقامي هذا ، حتى الجنة والنار ، وقد أوحى إليَّ أنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريباً من فتنة المسيح الدجال » .

- ويقول أيضاً : « إن هذه الأمة تبتلَى في قبورها ، فلولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه » .

- ويقول الرسول ﷺ عن هول القبور : « ما رأيت منظرًا قطُّ إلا والقبورُ أفظعُ منه » .

- أيها المسلمون : إن من رحمة الله بنا أن حجب عنا أهوال عالم الغيب ، ولو اطلع الإنسان على شيء منها لفسدت عليه حياته ، وتعطلت أموره ، وما سعد بشيء ، وفي هذا يقول الرسول ﷺ : « لو يعلم المرء ما يأتيه بعد الموت : ما أكل أكلة ، ولا شربَ شربة : إلا وهو يبكي ، ويضرب على صدره » .
- إن من تمام نعيم المتنعمين في قبورهم ، ومن تمام عذاب المعدبين في قبورهم : أن تُعرض عليهم مقاعدُهم من الجنة أو النار ، فيزداد أهل الإيمان سروراً وفرحاً ، ويزداد أهل الفجور همماً وحزناً .
- يقول الرسول ﷺ : « إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغدادة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يُقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة » .
- أيها المسلمون : إن المخرج من هذا الهول محصور في الإيمان الصادق والعمل الصالح ، فقد جاء في الحديث : « إذا دخل الإنسان قبره حفاً به عمله الصالح : الصلاة والصيام ، فيأتيه الملك من نحو الصلاة فتردُّه ، ومن نحو الصيام فيردُّه » .
- وإن مما يعصم من عذاب القبر الكف عن الغيبة والنميمة ، والحرص على الطهارة من النجاسات ، وقراءة سورة الملك .
- واعلموا - أيها المسلمون - أن عذاب القبر للمؤمنين تخفيف وتكفير للسيئات ، وهو على الكافرين مزيد عذاب ونكال بهم .
- اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر ، وفتنة القبر ، ولا حول ولا قوة لنا إلا بك ، اللهم من كان من المؤمنين في عذاب فخفف عنه وارحمه ، ومن كان منهم في نعيم فزده من رحمتك وفضلك .

## ٨- قيمة الوقت عند أهل القبور

- أيها المسلمون : لقد أجمع العقلاء على أن أغلى وأهم وأجل ما يملكه الإنسان هو الوقت ، فهو رأس ماله ، بل هو حياته على الحقيقة .
- ولعل أعظم الناس إدراكاً لأهمية الوقت وعظمته هم أصحاب القبور ، الذين سلبوا الوقت ، فلم يعودوا يملكون منه شيئاً .
- إن للوقت عند أصحاب القبور معنى خاصاً ، فهم يعظمون الوقت ويحترمونه في كل جزئياته ، بدءاً من الثواني وحتى السنوات .
- فالثانية عند أهل القبور أعظم وأجل من الدنيا وما فيها ، فالثانية يمكن أن تكون موضعاً للتسبيح أو التهليل أو الاستغفار .
- وأما الدقيقة عندهم فهي أجل وأغلى من ذلك ، فهي زمن لقراءة آية ، أو سجدة تلاوة ، أو دعاء ، أو سلام يلقيه المسلم على أخيه .
- وأما الساعة عند أهل القبور فلا تقدر بثمن ، يقرأ فيها سورة ، أو يصلي فيها ، أو يصل رحماً ، أو يسعى على أرملة أو مسكين ، أو يأمر بمعروفٍ وينهى عن منكرٍ ، أو يزور أخاً له في الله ، أو يقرأ كتاباً نافعاً ، أو يجلس يتأمل ويتفكر في ملكوت الله تعالى .
- وأما اليوم عند أهل القبور فأهميته ومكانته أجل من أن تُوصف ، فمن الفجر حتى الشروق في المسجد يصلي ويذكر ويستغفر .
- ومن الضُّحى حتى ما بعد الظهر في عمله ، يعطي للناس حقوقهم ، ويتقن ويحسن ، يُيسر ولا يُعسر ، يبشر ولا ينفر .
- وأما العصر فتوجيهه للأولاد ، وبرُّ اللوالدين ، وزيارة مريض ، وخدمة

- قريب أو صديق ، حتى إذا كان الغروب استغفر وأناب .
- وإذا ما كان الليل ، فساعة لأهله يلاطفهم ويداعبهم ، ويقضي حاجتهم ، وساعة لجسمة يُريجه من عناء اليوم ، وساعة لربه يصلي ويتهجّد .
- أيها المسلمون : هذا هو برنامج أصحاب القبور ، ورعايتهم للوقت لو قدّر لهم أن يعودوا إلى الدنيا ، ولكن قد قضى الله تعالى أنهم إليها لا يرجعون أبداً ، فمن خرج من الدنيا لا يعود إليها أبداً .
- إنها أمنيّ أهل القبور لو رجعوا إلى الدنيا ، ﴿ ... رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ .
- ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ .
- إنها آمالٌ فارغة ، وأمنيّ طائرة ، لا حقيقة لها ، ولا واقع لها .
- أيها الإخوة : لو قدّر أن يخرج علينا رجل من أهل القبور ، قد مكث فيها ساعة واحدة ، وعاین حقيقتها ، ورأى آياتها .
- فماذا تراه يفعل ، وكيف سوف ينظر إلينا ، بل كيف ننظر نحن إليه ، هل سوف يشاركنا ونشاركه في الحياة والمعاش ، أم أنه سوف يكون شخصاً آخر ، قد ملكه الذهول ، وطاش منه العقل ، وتقطّع فؤاده لهول ما رأى وعاین ؟ .
- وكأنني به يسير في الشوارع يصبح ويجأر إلى الله تعالى ، لا يبالي بنظر الناس إليه ، ولا يلوي على شيء .
- لقد ذهلَ عن ماله وأهله وولده ، وكأنه لا يعرفهم ، ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ .



- لقد انعقد لسانه عن الحديث في الدنيا ، وزهدت نفسه عن كل ملذاتها ، فلا يشرب ولا يأكل ولا يلبس ولا ينام إلا عن ضرورة .
- إذا نظر إلى زهادنا تعجب من غفلتهم ، وإذا نظر إلى عبّادنا تعجب من كسلهم ، لا يكاد يعجبه شيء من أحوالنا .
- لا يفرّق بين الذهب والتراب ، والفقير والغني ، والشريف والوضيع ، وحتى النساء لا يُفرّق بين الجميلة والقيحة منهنّ .
- لقد استوى في حسّه كلُّ شيء ، حتى الظلم والإهانة والإساءة ، لا يلتفت لآلام ولا لأوجاع ، لا يبالي بشيء من ذلك يقع عليه ، قد رضي بكل ذلك ، فلا همّ له إلا رضى الله تعالى .
- لقد فعلت فيه ساعة القبر فعلها ، فلا تعجبوا أيها المسلمون من سلوكه ، إنه رجل من أهل القبور .



- أخي المسلم : توهم أنك هذا الرجل الذي مكث في القبر ساعة واحدة ، ثم أمهله الله تعالى ، وأعادته إلى الدنيا بعد أن عرف الحقيقة ورآها بأم عينه .
- فماذا تراك يا أخي تصنع ؟ فأما الصلاة فسوف تتقنها ، وأما الحقوق فسوف تؤديها ، والرحم فسوف تصلها ، والأخلاق فسوف تلتزم بها ، والقرآن فسوف تقرؤه وتتدبره ، والعلم فسوف تحرص عليه وتعمل به .
- فإذا كان الأمر كذلك فمن الآن أخي المسلم فاحرص على وقتك واملاؤه بالطاعات والصالحات ، وعدّ نفسك من أهل القبور ، قد أمهلك الله ، فما أنت صانع بوقتك ؟

- أيها المسلمون : إن الوقت عمار أو دمار ، عمار للفتناء الأكياس ، الذين يعرفون شرف الزمان ، وحرمة المكان ، ودمار على الأغبياء ، الذين استسلموا للصوص الأوقات ، من رفقاء السوء ، وقنوات الفساد ، وصلات الأسهم .
- إن المسلم الفطن يعلم أن لكل وقت فريضة لابد أن يؤديها ، ولكل زمان وظيفة لابد أن يقوم لها ، والأوقات في كل ذلك قليلة ، والوجبات كثيرة ، إلا أن المسلم يقارب ويسدّد ، ويستعين بالله ويجتهد ، والنبي ﷺ يقول : «سددوا وقاربوا ، واغدوا وروحوا ، وشيء من الدلجة ، والقصد القصد تبلغوا» .

## ٩- ضرورة التوبة

- أيها الإخوة : ليس أحد منا يمر عليه ليل أو نهار إلا ويقع في خطأ ، متعمداً أو ساهياً ، عالماً أو جاهلاً .
- لقد ارتبط الإنسان بطبيعته الفطرية بالأخطاء ، سواء الصغيرة منها أو الكبيرة ، وجلّ من لا يخطئ .
- والنبى ﷺ يقول : « كلُّ ابنِ آدمٍ خَطَّاءٌ » ، فليست المشكلة في مبدأ الوقوع في الخطأ ، وإنما المشكلة في الإصرار والإعراض عن التوبة .
- ولهذا يقول النبي ﷺ : « وخير الخطائين التوابون » ، يعني الذين يرجعون إلى الاستقامة كلما أخطأوا .
- جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : « يا رسول الله ، أهدنا يُذنب ، قال : فيكتب عليه ، قال : ثم يستغفر منه ويتوب ، قال : يُغفر له ويُتاب عليه ، قال : فيعود فيذنب ، قال : فيكتب عليه ، قال : ثم يستغفر منه ويتوب ، قال : يُغفر له يُتاب عليه ، ولا يملُ اللهُ حتى تملُّوا » .
- وفي الحديث القدسي ، قال الله تعالى : « يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » .
- ويقول الرسول ﷺ : « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ، ثم تبتم لتاب الله عليكم » .
- ويقول أيضاً ﷺ : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

- ويقول أيضاً : « التوبة تجب ما قبلها » .
- ويقول : « الندم توبة » .
- ويقول الرسول ﷺ عن إمهال الله العبد حتى يتوب : « إن صاحب الشمال -يعني الملك - ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ ، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها ، وإلا كتبت واحدة » .
- وفي الحديث القدسي ، قال الله تعالى : « يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم » .
- وفي الحديث القدسي أيضاً يقول الرب سبحانه وتعالى : « من علم أنني ذو قدرة على مغفرة الذنوب : غفرت له ولا أبالي ، ما لم يشرك بي شيئاً » .
- وأصدق من هذا كله وأرجى قول الله تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ .
- وقوله تعالى : ﴿ بُئِيَ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ .
- وقوله تعالى أيضاً : ﴿ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ .
- وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .
- وقوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ .
- أيها الإخوة : هذه رحمة الله ، وهذه مغفرته ، فما لنا نسوف ونؤخر ، ما لنا نُعرض ونستكبر ؟ .
- فماذا على أحدنا حين يخطئ فيذنب ، يقوم فيتوضأ ثم يصلي ، ثم يسأل

- الله تعالى المغفرة ، فماذا على أحدنا لو فعل هذا حين يعصي؟
- إن الأخطاء التي لا تتبعها توبة صادقة : تجثم على القلب ، حتى تحيط به من كل جانب ، فلا يبصر النور ، ولا يعرف الحق .
- فإذا تمادى في الأخطاء والمعاصي ، وغرق فيها : ختم الله على قلبه ، وحُرم التوبة ، حتى يقدم على ربه بذنوبه .
- أيها الإخوة : لتساءل من هذا الذي تاب فلم يقبل الله منه ، ومن هذا الذي سأله فلم يعطه ، ومن هذا الذي أقبل عليه فلم يقبله ؟
- ولا يقل أحدنا في نفسه : إنه أفضل من هذا الذي قتل مائة نفس ؛ فإن الله لو حاسب أولياءه بعدله لهلكوا .
- واعلموا أن الذنب بقدر ما يصغر في عيني أحدنا : يكبر عند الله ، ويقدر ما يكبر في عيني أحدنا يصغر عند الله تعالى .
- فبادروا أيها الإخوة بالتوبة الصادقة ولاسيما في الأيام الفاضلة ، والمناسبات الطيبة .
- ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

\* \* \*

- أيها المسلمون : إن الله غني عن تعذيب عباده ، غني عن إيلاهم وعقوبتهم، لقد أنقذهم من حفرة النار ، كما قال تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ ، فماذا يريد سبحانه وتعالى من إعادتهم فيها وقد أنقذهم منها ؟
- ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَنْتُمْ ﴾ ، ماذا يصنع الله بعذاب العباد إن هم آمنوا وشكروا ؟

- إن الله غني عن التنكيل بالعباد ، وإظهار القوة والبطش ، وإنما هو تهديد ووعيد للمعاندين المستكبرين الشاردين عن الله تعالى .
- أيها الإخوة : إذا كان الله تعالى الخالق المنشئ الرزاق المتفضل الغني : يشكر لعباده صلاحهم وإيمانهم واستقامتهم : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ ، فما بال العباد لا يشكرون ربهم ؟ .
- اللهم أوزعنا شكر نعمتك ، والاستقامة على طريقتك ، ووفقنا لتوبة صالحة قبل الموت يا رب العالمين .

## ١٠- التعامل مع المصائب

- أيها المسلمون : لقد اعتاد العقلاء ، من أهل الإحساس المرهف ، ممن لم تبدد مشاعرهم ، ولم تقس قلوبهم أنهم إذا نزل بهم أمر يكرهونه من : المصائب والنكبات ، من : الحروب والفتن والزلازل والأمراض ، أنهم يعودون إلى الله ، ويتوبون إليه ، ويستغفرونه ، فإن ما أصابهم إنما أصابهم بذنوبهم وأخطائهم .
- كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ .
- وكما قال تعالى أيضاً : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ... ﴾
- ومع ذلك فإن الأغبياء تنزل بهم المصائب ، وتحلُّ به النكبات ، ومع ذلك لا يشعرون بتأنيب الضمير ، ولا يتذكرون .
- تأتي المصيبة على أحدهم ، فيعيش آلامها وأحزانها، ثم تنجلي وتذهب ، فلا يدري لماذا جاءت المصيبة ، وكيف ذهبت ، ولماذا انجلت ؟
- فهو بليد الإحساس ، ضعيف الإدراك ، خفيف العقل ، لا يعرف من الحياة إلا المادة : ما يُوزن ، وما يُطعم ، وما يُقاس .
- أما ما وراء ذلك من الأمور الروحية فيبته وبينها حجب عراض غلاظ ، لا تنجلي إلا بالموت المجهز .
- أيها المسلمون : إن كلَّ ما يجري في الكون إنما يجري بقضاء وقدر قد سبق من الله تعالى ، لا يجري شيء إلا بأمره وحكمه .
- فالخير والشر ، والموت والحياة ، والحركة والسكون ، والفرح والحزن ، كلُّ

ذلك بأمر الله ، وقضائه وقدره .

- ولقد وعد الله عباده الصالحين بالفلاح والأمان والخير في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا .... ﴾ .

- وفي الجانب الآخر فقد توعد الفاسقين والمجرمين بالعقوبة العاجلة والآجلة فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ .

- إنها سنة الله التي لا تتخلف في عباده ، فالنصر والسعادة للمؤمنين ، والخسف والضنك للفاسقين المفرطين .

- فما بالنا لا نرجع باللائمة على أنفسنا حين تنزل بنا المصائب والكوارث، فنحاسب أنفسنا على تقصيرها وتفريطها.

- أيها المسلمون: إن أفضل وأعظم ما تواجه به المصائب ، وثرده به النكبات هو التوبة الصادقة النصوح .

- فإن المصيبة حين تنزل تذكر الناس وتوقظهم ، ولكن المصيبة الكبرى ، والرزية العظمى فيمن لا يتذكر ولا يستيقظ .

- يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .



- فأبي مصيبة أعظم من مصيبة الرجل في نفسه حين لا يتذكر ولا ينيب ولا يتوب ، فهذه أعظم المصائب على الإطلاق .
- إن أزمنا التي نحياها في عالمنا الإسلامي اليوم ليست مع أعدائنا بقدر ما هي مع أنفسنا وقلوبنا .
- لقد أتينا من جهة أنفسنا وليس من جهة أعدائنا ، كما قال الله تعالى للمسلمين يوم أحد : ﴿ أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .
- فإذا كان هذا خطاب الله تعالى لأوليائه من الصحابة، وفيهم رسول الله ﷺ، فماذا تراه سبحانه يخاطبنا به ، من التوبيخ والعتاب ، لو قُدر أن ينزل في هذا الزمان قرآن ؟



- أيها الإخوة : إن شأن المصيبة عظيم ، وشؤمها خطير ، إذا لم يتبعها توبة واستغفار وإنابة إلى الله تعالى .
- لقد أخطأ إبليس فلم يتب فعاقبه الله بالطرد من رحمته ، وأصر قوم نوح على الكفر فأغرقهم الله .
- واستكبر قوم عاد فأخذهم الله بالريح ، وكفر قوم ثمود فأخذهم الله بالصيحة .
- ﴿ وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ .
- ما بال أناس يظنون أنهم لا يؤاخذون بذنوبهم ومعاصيهم ، قد ركبهم الغرور ، وأحاطت بهم الظنون السيئة .
- والله تعالى يقول : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيٍّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا

- يُجْزَى بِهِ وَلَا يَحْدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٠﴾ .
- فليس أحد من العُصاة بمأمن من العقوبة في الدنيا قبل الآخرة ، وأقل ما يصيبه في الدنيا أن لا يُوفَّق للتوبة الصادقة .
  - فيبقى مصراً على الذنوب حتى يلقي الله بموبقاته وجرائمه ، فلا تنفعه التوبة حينئذٍ ولا الإنابة .
  - فعجلوا أيها المسلمون بالتوبة والإنابة ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .
  - اللهم إنا نسألك توبة صادقة قبل الموت ، تغفر بها ذنوبنا ، وتمحو بها سيئاتنا ، وترفع بها درجاتنا ، وتجعلنا بها من عبادك المخلصين ، يا أرحم الراحمين .

## ١١ - مقام التوكل على الله

- أيها المسلمون : يطالعنا القرآن الكريم بآيات كثيرة تتحدث عن التوكل وتأمر به ، وتحضُّ عليه ، كقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .
- وقوله أيضاً : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .
- وقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِعَافٍ لِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .
- ولقد جاء الأمر من الله تعالى لرسوله ﷺ يأمره بالتوكل عليه : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾ .
- ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ .
- ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ .
- ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ .
- وأمر الله نبيه ﷺ حين يعزم على الأمر أن يعتمد متوكلاً على الله : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .
- ولقد كان الرسول ﷺ أعظم الناس توكلاً على ربه عز وجل ، ولقد تجسَّد ذلك واضحاً في هجرته من مكة إلى المدينة .
- لقد بلغ به التوكل على ربه أنه لا يلتفت إلى الوراء ، لقد امتلأ قلبه بالتوكل والثقة والتسليم لله رب العالمين .
- ومن لطائف توكله ﷺ في مسالة العدو ، أنه أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه

- في القصعة ليأكل، وقال : « كل، ثقة بالله وتوكلاً عليه » .
- وفي يوم معركة اليرموك الفاصلة ، حين كثر الأعداء : كتب المسلمون إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يستمدونه بالمزيد من المقاتلين ، فكتب إليهم يأمرهم بالتوكل على الله ، ويقول : « إني أدلكم على من هو أعز نفراً ، وأحضر جنداً : الله عز وجل ، فاستنصروه » .
- أيها المسلمون : التوكل من أعظم أسباب جلب الخيرات ، ودفع المكروهات ، فإن المتوكلين على الله عز وجل يدخلون الجنة مع السبعين ألفاً بغير حساب ولا عقاب ، وفي الحديث : « هم الذين لا يسترقون ، ولا يتطيرون ، ولا يكتونون ، وعلى ربهم يتوكلون » .
- والتوكل من أوسع أبواب الرزق ، فقد قال رسول الله ﷺ : « لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماساً ، وتروح بطاناً » ، يعني تخرج في الصباح جائعة ، ضامرة البطون ، وتعود في المساء وقد شبعت .
- ولهذا أدبنا المولى عز وجل أن ندعو فنقول : ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ .
- ويقول أيضاً : ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ .
- وأدبنا الرسول ﷺ بأن نعلن التوكل في دعائنا حين يخرج أحدنا من بيته فيقول : « بسم الله توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله » .
- وحين ثقل على أصحاب الرسول ﷺ قرب الساعة قال لهم : « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا » .
- وأما حقيقة التوكل فهي : صدق الاعتماد على الله تعالى ، والركون إليه ،

والثقة به ، والتسليم له في جلب المصالح ودفع المضار ، مع تفرغ القلب من غيره .

- وقد يفهم البعض أن التوكُّل ينافي الأخذ بالأسباب ، والصحيح أن التوكُّل : أخذ بالأسباب مع التفويض الكامل لله تعالى .

- وقد أخطأ بعض أهل اليمن في زمن النبي ﷺ ، فخرجوا من بلادهم بلا زاد ، ظناً منهم أن هذا هو التوكُّل فأنزل الله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ ، فأمرهم بأخذ الزاد ، فالتوكُّل لا ينافي الأخذ بالأسباب .

- ولما جاء الأعرابي يسأل الرسول ﷺ عن ناقته فقال : « يا رسول الله ، أعقلها وتوكل ، أو أطلقها وتوكل ؟ قال اعقلها وتوكل » .

- أيها المسلمون : إذا كان هذا الفهم لحقيقة التوكُّل قد رسخ في قلوب المسلمين اليوم اعتقاداً ، وأخذاً للأسباب : فلماذا تفوق الكفار المعتمدون على الأسباب ، وأخفق المسلمون المتوكلون على الله ؟ لماذا انهزمتنا أمام أعدائنا إذا كنا صادقين في توكلنا على الله تعالى ؟ ولكن الحقيقة أن هناك خللاً في توكلنا ، واضطراباً في أخذنا بالأسباب .

- أعوذ بالله الشيطان الرجيم : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ .

\* \* \*

- أيها المسلمون : نحن في حاجة ملحة إلى مراجعة أنفسنا : هل نحن بالفعل متوكلون على الله تعالى ، آخذون بالأسباب التي أمرنا بها ، أم مفرطون متواكلون .

- أيها المسلمون : هل توكل على الله من حكم بغير ما أنزل الله ، هل توكل

على الله من أكل ربا ومنع الزكاة والحقوق ، هل توكل على الله من عتق  
والديه وقطع رحمه، هل توكل على الله من تعلق قلبه بالممثلات والمغنيات ،  
هل توكل على الله عز وجل من نافق وداهن وجامل الرؤساء والكبراء؟  
- لنسأل أنفسنا هذه الأسئلة ، لنعرف أين نحن من حقيقة التوكل.

## ١٢- عالم الجن والشياطين

- أيها المسلمون : يقرُّ العقلاء أن المعلوم من أمر الدنيا أقلُّ بكثير مما هو مجهول لا يعرفه الناس .
- فساحة المعلوم أصغر بكثير من ساحة المجهول ، وكلُّما ازداد الإنسان علماً ازداد يقيناً بجهله .
- وما زال الإنسان يكتشف ويتعلم منذ أول الخليقة ، ومع ذلك لم يكتشف من حقائق الكون إلا القليل .
- وإن من أعجب العوالم التي يؤمن بها البشر، ويقرُّ غالبهم بوجودها : عالم الجن والشياطين .
- فالمسلمون وأكثر طوائف البشر يؤمنون بوجود الجن ، إلا أنهم يختلفون في حقيقتهم وما يتعلق بهم ، تبعاً لاختلاف الأديان والمعتقدات والمذاهب .
- وعلى الرغم من تقدُّم البشرية المعاصرة في شتى العلوم : بقي عالم الجن ضمن العوالم المستورة عن إدراك الإنسان ، المجهولة الحقيقة .
- وما يزال جمع من المغامرين في كل العصور يسعون للكشف عن هذا العالم الغامض ، ويجاولون التعرف على كنهه .
- ويقف المسلمون وحدهم بما معهم من نصوص الوحي الصادق على حافة هذا العالم الغامض .
- يتلمَّسون الحقيقة ، ويتخيَّلون الواقع ، ويجتهدون لإصابة الحق في ضوء ما جباهم الله به من القرآن وصحيح السنة .
- وأما غيرهم من الأمم الأخرى فليس لهم إلا الظنَّ والخرص والتخمين، وما قد يصلون إليه من الخبرات الفردية والعالمية، مما لا يخرج عن الظن .

- أيها المسمون : إن عالم الجن والشياطين من العوالم الغيبية التي حجبها الله عن البشر لحكمة أرادها.
- إلا أنه سبحانه وتعالى ألزمتنا الاعتقاد بوجودهم ، وأنهم خلق من خلق الله تعالى ، مكلفون مثلنا بالعبادة والطاعة لله وحده.
- يأكلون ويشربون ويتناكحون ويتوالدون ويموتون ، ويدخل مؤمنهم الجنة ، ويدخل كافرهم النار ، ﴿ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ﴾ .
- خلقهم الله من نار ، وأسكنهم الأرض قبل البشر ، وخصَّهم دون البشر بالتشكُّل وال الطيران والسرعة .
- من الجن صالحون مسلمون ، ومنهم عُصاة ومردة وشياطين وعفاريت ، قد تمادوا في الفساد والضلال .
- وقد ثبت يقيناً اجتماع الرسول ﷺ ببعضهم ، فقبلوا دعوة الحق ، فأسلموا وآمنوا ، وعادوا لينذروا قومهم .
- وقد ثبت يقيناً أيضاً أن جمعاً منهم لم يُسلموا، بل حاربوا دعوة الحق ، وأذوا أهلها ، وأولهم إبليس .
- فقد ناصب إبليس العداة لآدم عليه السلام ، قَبْلَ أن تُنفخ فيه الروح ، وقبل أن يعرف حقيقته ، حين كان لا يزال في طينته .
- ومازال أعوان إبليس من مردة الجن وشياطينهم يكيدون لذرية آدم من أول الخَلِيقَة حتى نهاية العالم .
- يتسلَّطون عليهم بالغواية والوسوسة والأفكار الرديئة ، وربما بلغ من تسلُّطهم : التلبُّس والمسُّ والخطف والمرض .
- يدخلون على الناس بيوتهم ، ويشاركونهم طعامهم وشرابهم ، وربما يشاركونهم في مناكحهم أيضاً .



- فإن عجزوا عن عظيم الغواية والتسلُّط : رضوا بالوسوسة والإزعاج،  
والمنامات الموحشة .
- فقد يُوقَعُونَ في نفس المؤمن خيالاتٍ باطلة فاضحة عظيمة ، لا يستطيع أن  
يتكلم بها ؛ لعظيم فحشها وقبحها .
- وربما تسلَّطوا على بعض المسلمين بما هو دون ذلك في عباداتهم ، في  
طهارتهم وصلاتهم ومقاصدهم .
- حتى إن أحدهم ليمكث ساعة يتطهر ويتوضأ ، ويبالغ كأشد ما يكون ، ثم  
يقع في نفسه أنه لم يتطهر ولم يتوضأ .
- فإذا كان هذا حجم تلاعبهم بالمصلين المستقيمين ، فما هو حجم تلاعبهم  
بalfاسدين المجرمين ؟ .
- إنهم ليتسلَّطون على الفُجَّار حتى يعاقروا الخمر ، ويقعوا في الزنا ، ويقتلوا  
النفس المحرمة ، ويسرقوا الأموال .
- وربما تسلَّطوا على ضعفاء الإيمان فزينوا لهم دعاء غير الله ، والذبح لغيره ،  
والطواف بغير الكعبة .
- وربما تسلَّطوا على الشباب بالغواية الأخلاقية ، حتى يقعوا في الموبقات  
والكبائر ، وربما تسلَّطوا عليهم بالغواية الفكرية ، فيقعون في التكفير  
والتفجير .
- إن عصاة الجن لن يتركوا أحداً من البشر إلا تسلَّطوا عليه ، ولولا فضل  
الله ورحمته لتخطفتنا الشياطين .

- ولقد أزعجوا أنبياء الله من قبل ، حتى إن بعضهم كان يعرض للرسول ﷺ في صلاته ، يريد أن يقطعها عليه .
- فإذا كان هذا حال الشياطين من مردة الجن مع الصالحين من البشر، فماذا تراهم يفعلون بغيرهم ؟
- ماذا تراهم يفعلون مع الساسة والقادة ، وأصحاب الجاه والمال ، وكيف تراهم يتسلطون على الإعلاميين والمغنين والمطربين ؟
- ثم ما هو حجم تسلط الشياطين على النساء ، لاسيما في فترات انقطاعهن عن العبادة من صلاة وصيام ، وقراءة قرآن ؟
- إن حجماً ضخماً من الباطل والفساد والغواية التي تعيشها البشرية اليوم كان ولا يزال مصدرها من الشياطين ؛ فإنهم يدخلون مع المفكرين ، والمخترعين، وأصحاب الرأي ، فيزيّنون لهم الباطل حتى يقولوا ويعلنوا به .
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزُّهُمْ أَزًّا فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ .

\* \* \*

- أيها الإخوة : إن عالم الجن والشياطين عالم يرانا ولا نراه ، ويتربص بنا ولا نتربص به ، ويلاحقنا ولا نلاحقه .
- إنه عالم لطيف وخفيف ، سريع وخاطف ، يسري في أجسادنا وعروقنا ، ويبلغ منا مبلغ الدماء .
- ومع ذلك فهو عالم يغلب عليه السفه والطيش ، وضعف العقول ، وقصور

- الهمة ، وخلل الفهم.
- ومع أن البشر يخافون الجن ؛ فإن الجن أكثرُ خوفاً من البشر ، ولا سيما البشر من أهل الإيمان والتقوى .
  - إنهم يخافون من المؤمن ، ومن أهل العبادة والذكر ، والعقيدة الصحيحة ، ممن يتبعون السنة في حياتهم .
  - ولا يتسلطون في العادة إلا على الفاسق من الرجال والنساء ، ممن لا يصلي ولا يصوم ، ولا يغتسل من الجنابة والحيض .
  - وليس للعاقل وسيلة يحمي بها نفسه من تسلط الشياطين إلا في كنف المولى عز وجل ، وحصنه الحصين .
  - ولقد كانت الشياطين تهرب من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فما يراه الشيطان في طريق إلا سلك طريقاً غيره .
  - لقد وضع لنا رسول الله ﷺ معياراً دقيقاً نفرِّق به بين الحق والباطل ، مما يقع في قلوبنا ، من الأفكار والآراء والأوهام ، فقال عليه الصلاة والسلام: « إن للشيطان لمةً بابن آدم - يعني خبطة في نفس ابن آدم - وللملك لمةً ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر ، وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى ، فليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .
  - اللهم إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم ، من : نفثه ونفخه وغوايته .

### ١٣ - السحر والشعوذة

- أيها المسلمون : موبقة من الموبقات ، وجريمة من الجرائم ، وكبيرة من الكبائر ، حرمها الله تعالى ، وحرّمها رسوله ﷺ ، وأوجب عليها العقوبة الشديدة.
- خطرهما عظيم ، وشرهما مستطير ، إنها موبقة السحر ، وما يلحق به من الشعوذة والكهانة والعرافة والطلاسم ونحوها .
- السحر عالم عجيب خفي دقيق مستتر ، وضعته الشياطين من أول الدهر؛ لإضلال بني آدم وغوايتهم .
- وما زالت الشياطين في كل عصر تُلهم أولياءها من الفاسقين أموراً جديدة من السحر تتناسب وكل عصر .
- والسحر علم من العلوم المكتسبة ، لا يصل إليه الإنسان إلا بالتعلم والتلقي ، إلا أنه علم محرّم مذموم بإجماع المسلمين .
- ولقد اخترق السحر أقوام الأرض جميعاً ، من : البابليين والفرس والفراعنة والهنادكة والإغريق والرومان واليهود والنصارى .
- ولقد كان السحر معروفاً عند عرب الجاهلية ، حتى إذا أشرق الإسلام بأنواره منع منه وحرّمه ، وأمر بقتل السحرة والكهان .
- قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .
- وقال الرسول ﷺ : « حد الساحر : ضربة بالسيف » .
- وقال أيضاً ﷺ : « ليس منا من تطير أو تُطيرَ له ، أو تكهن أو تُكهنَ له ، أو سحر أو سُحرَ له » .

- وقال أيضاً : « اجتنبوا السبع الموبقات : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » .
- أيها الإخوة : إن الوصول إلى هذا العلم المذموم ، والتمكُّن منه لا يتم إلا بالردة عن الإسلام ؛ فإن الساحر لا يتمكن من سحره إلا بالكفر .
- كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ... ﴾ .
- ولقد اعترف التائبون من السحر أنه لا يصبح أحدهم ساحراً حتى يدنُس المقدسات ، ويأتي المحرمات ، ويعبد وليه من الشياطين .
- وعلى الرغم من ظلمة تاريخ السحر والسحرة ، وما كانوا يلاقونه من التنكيل والقتل على أيدي كثير من السلاطين عبر التاريخ الإنساني ، وعلى الرغم من الانفتاح العلمي الحديث ، والتقدم الحضاري : ينتشر السحرة في العالم بأعداد تبلغ مئات الألوف ، ويتداولون مع المترددين عليهم مليارات الدولارات ، فقد قُدِّر عدد السحرة في فرنسا وألمانيا وحدهما بما يزيد عن مائة ألف .
- وما زالت بعض وسائل الإعلام تكشف لنا عن علاقات مشبوهة بين ساحر: ورئيس دولة ، أو ملك ، أو أمير ، أو وزير .
- أيها المسلمون : تكاد تنحصر دوافع التعامل بالسحر في ثلاثة أمور : الأول: الرغبة في كشف عالم الغيب ، ومعرفة شيء عن المستقبل ، والثاني: التسلُّط على الناس، والانتقام منهم ، وإيذاؤهم ، والثالث: الحصول على المال بطريق ميسر ، فالسحر بأنواعه لا يخرج عن هذه المقاصد الثلاثة في الغالب .

- وللسحر حقيقة ثابتة لا تنكر، فمنه ما يُمرض وربما يقتل، ومنه ما يجبب ويبغض ، ومنه ما يربط الرجال عن أهله ، فلا يصل إلى زوجته ، ومنه ما هو إخبار عن بعض الغيبات ومنه ما هو سرقة للأموال ، ومنه ما هو لعب وتسلية وخيال يذهب بالأبصار .
- ومع كل هذا التأثير الواقعي فقد سئل الرسول ﷺ عن الكهّان فقال : « ليسوا بشيء ، فقالوا : يا رسول الله إنهم يحدثوننا أحياناً بالشيء فيكون حقاً ؟ فقال رسول الله ﷺ : تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه ، فيخلطون معها مائة كذبة » .
- أيها المسلمون : وبناء على ذلك فإنه لا يجوز بحال من الأحوال أن يتعاطى المسلم السحر أو الكهانة تحت أي مسوغ من حاجة أو علاج أو معرفة .
- فإن الرسول ﷺ يقول : « من أتى كاهناً فصدّقه بما قال : فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » .
- وقال أيضاً ﷺ : « من أتى عرافاً فسأله عن شيء : لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » .
- وقال أيضاً ﷺ : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن خمر ، وقاطع رحم ، ومصدق بالسحر » .
- وإن المسلم العاقل ليتعجب من إقبال كثير من السفهاء على الكهنة والعرّافين ، وتهافتهم على أخبارهم الكاذبة ، وإقبالهم على دجلهم الصريح .
- وإن من البدع المضلّة في هذا العصر وجود قنوات كاملة تتعاطى السحر والشعوذة ، وتخبر الناس - حسب زعمهم - بأمور الغيب .
- فما إن يظهر أحد هؤلاء العرافين على الشاشة حتى تنهال عليه المكالمات

- والاستشارات من كل مكان ، ويبدأ هو بالحرص والدَّجَل .
- فلا يشعر المتصل أنه باتصاله هذا قد عرَّضَ إيمانه للفساد ، ووضع نفسه على حافة الكفر بما أنزل على مُحَمَّدٍ ﷺ .
- وأما شركات الاتصال التي لا همَّ لها إلا جمع الأموال من حلال وحرام ، فإنه لا يجوز لها مجال من الأحوال أن تمكَّن هؤلاء السدَّج من الاتصال بهذه القنوات الفاسدة .
- أيها الإخوة : لم يكف وسائل الإعلام في هذا العصر نشر الخلاعة والمجون على أوسع المستويات ، حتى أخذت الآن تشارك في نسف أصول الإيمان والتوحيد .
- ولقد أفتى الأزهر الشريف بالإجماع على حرمة الاتصال بهذه القنوات المشبوهة ، فضلاً عن التصديق بما يقولون .
- فائقوا الله أيها الناس في أنفسكم ، واحذروا لصوص الإيمان ، فيكفينا لصوص الأخلاق والأوقات ، الذين أفسدوا علينا حياتنا ، فما بقي علينا إلا من يسلب إيماننا !! .



- أيها الإخوة قد يلتبس على بعض الناس التفريق بين الراقي على السنة والحق ، وبين الساحر على البدعة والباطل .
- فإن الراقي على السنة لا يتجاوز القرآن وصحيح السنة النبوية ، ولا يخبر بالغيب ، حتَّى وإن أخذ على رقيقته شيئاً من المال .
- وأما الساحر أو الكاهن أو العرَّاف ، فإنه يتجرأ على الغيب ، ويتكلَّم في المستقبل ، ويخبر عن المجهولات ، والأشياء المفقودة .
- وربما طلب اسم الأم ، وأعطى الحجب والتمائم ، وفيها الطلاس غير

- المفهومة ، والرسوم والأشكال والصور .
- ومن أجاز من العلماء الحجب ؛ فقد اشترطوا أن تكون من القرآن والأدعية الماثورة الصحيحة دون غيرها .
- وربما طلب الساحر ذبح حيوان معين بطريقة معينة ، وفي وقت محدد ، وربما أمر المريض أن لا يذكر اسم الله عليه .
- وربما أخذ أثراً من آثار المريض كشعر أو ثياب ونحوها ، وربما أمره أن يتجنّب الماء لأيام طويلة فلا يصلي ، ولا يغتسل .
- وهكذا ينتقل المريض المسكين من مرض إلى مرض ، ومن مصيبة إلى ما هو أكبر منها .
- أيها المسلمون : لقد أغنانا الله تعالى بالقرآن شفاء القلوب والأبدان ، فالعوذتان : « لم يتعوذ المتعوذ بمثلهما » ، فقد كان الرسول ﷺ يحرص عليهما غاية الحرص .
- والفاحة ، وآية الكرسي ، وخواتيم سورة البقرة ، وما قرئت سورة البقرة بكاملها على مريض إلا تحسّن حاله ، ولا قرئت في بيت إلا وحفظ من الشيطان ثلاثة أيام .
- ولا يشترط للرقية شخص معين ، بل الشخص يرقى نفسه بنفسه ، أو أبوه أو أخوه أو زوجه أو ولده .
- أيها الإخوة : ما يُصاب به الإنسان المسلم في بدنه أو نفسه أو لده ؛ فإنما هو ابتلاء من الله ليرى أيصبر أم يكفر ، أيرضى ، أم يسخط .
- إن العزاء الأكبر في رسول الله ﷺ فقد ابتلي بالسحر حتى شفاه الله ، وابتليت عائشة رضي الله عنها وشفاه الله .
- فلنستعن بالله ، ولنتوكل عليه ، ولنثق به ؛ فإنه من يتق الله يجعل له مخرجاً .



## ١٤ - ظاهرة النفاق في تاريخ الأمة المسلمة وخطرها

- أيها المسلمون : خلق الله تعالى الخلق وقدّر أن يكون منهم المؤمن والكافر، كما قال عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ .
- فأما المؤمنون فهم على ثلاث مراتب : السابق بالخيرات ، والمقتصد ، والظالم لنفسه ، فكلُّهم يشترك في الإيمان إلا أنهم يتفاوتون في المراتب .
- وأما الكافرون فهم أيضاً على ثلاث مراتب : أولها : الكافر الأصلي ، ثانيها : المرتد المعلن لردته ، وثالثها : المنافق المستتر بكفره .
- وهذه الفئة الأخيرة أخطر فئات الكافرين ، فهي تشترك مع الكفار في الكفر والعداء للإسلام والمسلمين ، وفي الوقت نفسه ينعمون بين المسلمين بالأمن والأمان ، ويتخللون جميع فئات المجتمع المسلم ، ويدخلون في كل طبقاته ، وفي كل شؤونه .
- فقد تجدد منهم الرئيس ، والوزير ، والضابط ، والمفكر ، والصحفي ، والتاجر ، والمسكين ، وقد تجدد منهم العالم بالدين أو الدنيا .
- فأبى خطر يمكن أن يصدر عن هذه الفئة الكافرة ، وهي تعيش متخفية بين المسلمين ، تستر بثوب الإسلام .
- إن الفرق كبير جداً بين عدو تعرفه ويعرفك ، وتستعد له ويستعد لك ، وبين عدو يعرفك ولا تعرفه ، ويستعد لك ولا تستعد له .
- أيها المسلمون : النفاق الأكبر هو : إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب ، فهو دخول الإسلام من وجه ، والخروج منه من وجه آخر .
- وهؤلاء المنافقون على ثلاثة أصناف : صنف دخل الإسلام متظاهراً بالإيمان ، وهو لا يزال على أصل كفره ، لم يؤمن طرفة عين ، وصنف

- أسلم عن صدق ثم بدا له فارتدَّ ، ولكنَّه لم يعلن ردَّته ، وبقي يتظاهر بالإسلام خوفاً على نفسه ، وصنف نشأ في الإسلام من أبوين مسلمين، ثم لما كُبر وعقل : جحدته دون أن يعلن جحدته .
- فهؤلاء من الأصناف الثلاثة يشتركون في الكفر ، ويشتركون في التظاهر بالإسلام ، على اختلاف أصنافهم .
- لقد عانى المسلمون من هذه الأصناف المنافقة معاناة عظيمة ، فمنذ أن انتصر المسلمون في معركة بدر وحتى الآن وهذه الفئات الخبيثة لا تزال تعمل عملها في الإضرار بالأمّة والتربص بها ، وإفساد حالها .
- لقد بدأ النفاق زمن النَّبِيِّ ﷺ بعبد الله بن أبي بن سلول ، ومعه نحو من سبعين رجلاً ، أخفوا الكفر وأظهروا الإيمان .
- فقد كان لهم أدوار خطيرة في إيقاع البلبلة بين المسلمين وإفساد ما بينهم من الأخوة والمحبة ، والسعي في كشف عوراتهم للكفار ، وإيقاع الوهن فيهم والكلام في أعراضهم .
- ثم استمر النفاق بعد عصر النبوة، بدخول فئات كافرة في حكم الإسلام، مثل عبدالله بن سبأ اليهودي، الذي كان وراء فرقة المسلمين، وسبباً في حروبهم الأولى فيما بينهم .
- ثم ظهر المنافق الزنديق ميمون القداح اليهودي ، فعبث في عقائد المسلمين، وألّف فرقاً ضالة ، لا تزال تمارس ضلالها حتى اليوم .
- وظهر المنافق الشيعي ابن العلقمي، الذي كان سبباً في سقوط دولة الخلافة العباسية على يد التتار في منتصف القرن السابع الهجري .
- وظهر بعد ذلك جمع من اليهود الأَسبان ، ممن يُسمَّون بيهود الدونمة ، تظاهروا بالإسلام وعلى أيديهم سقطت الخلافة العثمانية .

- إضافة إلى تعاون المنافقين في العصر الحديث مع المستعمر الأوربي في استعمار البلاد الإسلامية ، وضياع أمجادها.
- أيها المسلمون : إن مسلك النفاق ليس خاصاً بالمسلمين ؛ فإن أول من مارسه هو إبليس حين اندس بين الملائكة عابداً مخبئاً حتى انكشف أمره .
- ومارسه اليهود أيضاً حين أرادوا العبث بدين النصارى ، فحصل لهم ما أرادوا، وهكذا فإن تاريخ هذا المسلك طويل وخطير .
- إن الناظر في صفات المنافقين كما صورها القرآن الكريم يجدهم أناساً لا يحبون حكم الله ولا يرضون به ، كسالى عند القيام بالواجبات الشرعية ، لهم قلوب قاسية ، وشغف شديد بالدنيا وملذاتها ، ويجمعون بين العديد من الصفات القبيحة مثل : البخل والكذب والجن والتملق والخداع .
- ومن أعجب مسالكهم أنهم - رغم فسادهم وضلالهم - يزعمون فيما يقومون به من الأعمال: الإصلاح والصلاح : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ .
- ولهذا تراهم يقفون ضد الشريعة الإسلامية؛ بحجة أنها لا تناسب العصر ، وتراهم يسعون بالفساد عبر وسائل الإعلام والنوادي الفاسدة والشواطئ الخليعة والملاهي الساقطة: بحجة الترفيه البريء .
- وربما دفعوا بالمرأة لتنزع حجابها، ودفعوها للاختلاط بالرجال: بحجة المساواة وتحريرها وإعطائها حقها .
- بل ربما تلبس بعضهم بالدين والمشيخة ، فيصدر الفتاوى الباطلة المعارضة لما أجمع عليه المسلمون ، فيعمل على هدم الدين من داخله .
- إن المسلم الحق ليعرف هذه الفئة الخسيسة بفلتات ألسنتهم ، ومزالق

أقلامهم ، واضطراب سلوكهم، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ .

\* \* \*

- أيها المسلمون : لقد حذرنا رسول الله ﷺ من المنافقين فقال : « إن أخوف ما أخاف على أمتي كلُّ منافقٍ عليم اللسان » ، يعني أنه يعرف من حجج الدين ما يروِّج لباطله .
- وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « ما أخاف عليكم أحد رجلين : رجل مؤمن قد تبين إيمانه، ورجل كافر قد تبين كفره، ولكن أخاف عليكم منافقاً يتعوذ بالإيمان ويعمل بغيره » ، يعني يستتر بدعوى الإيمان ، ويعمل في الباطن بالكفر .
- إن واجب المسلمين الصادقين تجاه المنافقين هو الإعراض عنهم تارة ، والغلظة عليهم تارة ، وكشف سترهم تارة أخرى .
- وأما إقامة حدِّ الردة عليهم فغالباً ما يتعسَّر ذلك لاستتارهم؛ ولهذا كان نهج الرسول ﷺ هو : أخذهم بظاهر سلوكهم، وترك سرائرهم لله تعالى ينتقم منهم يوم يلقونه .
- وأهم من إقامة الحد عليهم هو أن يتقي المسلم ربه فلا يسلك مسلكهم؛ فإن النفاق الأصغر كالتقاعس عن أداء الصلاة في موعدها، والكذب، والفجور في الخصومة ، وخُلْف الموعد ، وتضييع الأمانة ، والرياء ، كل هذه المسالك القبيحة ونحوها بريد النفاق الأكبر ، وقد توعدَّ الله المنافقين بما لم يتوعدَّ به غيرهم : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ .
- اللهم اكفنا شر النفاق والمنافقين ، واجعلنا من عبادك المخلصين الصادقين يا رب العالمين .

## ١٥- تعامل المنافقين مع التطرف الديني

- أيها الإخوة : جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال: « يا أمير المؤمنين : إنكم تقرأون آية في كتابكم ، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ، قَالَ : وأيُّ آية ؟ قال: قوله : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ، فقال عمر : والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله ﷺ ، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ ، عشية عرفة من يوم الجمعة » .
- لما نزلت هذه الآية وسمعها عمر رضي الله عنه بكى ، فقال الرسول ﷺ : « ما يبكيك ؟ قال : أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا ، فأما إذا أكمل ، فإنه لم يكمل شيئاً إلا نقص ، فقال : صدقت » ، فلم يعش الرسول ﷺ بعد هذه الآية إلا ثمانين يوماً حتى لحق بربه .
- لقد ختم الله تعالى رسالاته السماوية بهذه الرسالة الخاتمة ، فأكملها كأحسن ما يكون ، وارتضاها ديناً لعباده حتى آخر الدهر .
- فلن يأتي يومٌ تحتاج فيه البشرية إلى دين جديد ، وإنما تحتاج إلى مجددٍ ، يُحيون ما اندرس من دين محمد ﷺ .
- وحتى نبي الله عيسى بن مريم عليهما السلام حين ينزل في آخر الزمان إنما يحكم بشريعة محمد ﷺ ، فإذا كان عيسى بن مريم لا يحق له أن يخرج عن هذه الشريعة المحمدية فكيف بغيره ؟
- وقد قال عليه الصلاة والسلام في حق موسى عليه السلام: « والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني » .
- فهذا الدين هو شريعة الله إلى آخر الدهر ، لا تغيّره الأحداثُ التطرفية ،

- والمسالك الخارجية ، كما لا تُغيّر دعاوى المنافقين ومقالاتهم ، حين يحاولون وصف هذا الدين بالغلو والتطرف، عندما يضلُّ بعض الشباب المسلم عن الطريق المستقيم ، نحو التكفير أو التفجير.
- إن الثبات والديمومة والكمال : أوصافٌ أصيلةٌ لهذا الدين ، لا تغيّرها الأحداث مهما كانت عنيفةً وقويةً ، فلا المتطرفون المتشدّدون ولا المنافقون يستطيعون أن يغيّروا هذا الدين ، فهو حجة الله الباقية إلى آخر الدهر .
- لقد كمل هذا الدين ، وارتضاه الله تعالى لنا في عقائده وأحكامه وتشريعاته، فلا تغيير ولا تبديل.
- فما ورد في هذا الدين من أخبار الغيب : نُؤمن بها كما أمر الله ، وما ورد من تشريعات نُؤمن ونعمل بها، وما سكتت عنه الشريعة ، أو كانت نصوصاً عامة غير قاطعة : جاز عندها اجتهاد أهل العلم والتقوى لمعرفة مراد الله تعالى.
- فالعقيدة التي استقر عليها السلف في القرون المفضّلة هي العقيدة الصحيحة ، بلا تحريف ولا تعطيل ولا تأويل فاحش ، يخرج بها عن معانيها اللغوية المعروفة.
- وكذلك الأحكام الشرعية التفصيلية الثابتة في الكتاب أو السنة هي الشريعة التي ألزمتنا الله تعالى بالإيمان بها والعمل بمقتضاها .
- إن المسلم المعاصر ليتعجّب من حال المنافقين في هذا العصر، حين يتحدثون عن الدين ، يريدون ديناً يفصلونه لأنفسهم ، مستغلين الأحداث التطرفية التي تكررت في بلادنا ، وفي بعض الدول الأخرى:
- فهم يريدون ديناً بلا عقيدة يعتقدونها .
- يريدون ديناً بلا عبادة يقومون بها.
- يريدون ديناً بلا حلال ولا حرام، ولا التزامات شرعية.

- يريدون ديناً بلا حبٍّ ولا بغضٍ، ولا ولاء ولا براء .
- يريدون ديناً بلا مناهج دينية .
- يريدون ديناً بلا مساجد وحِلَق تحفيظٍ للقرآن.
- يريدون ديناً بلا جهاد للأعداء .
- يريدون ديناً بلا هيئات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- يريدون ديناً بلا ردة .
- يريدون ديناً بلا تعدد للزوجات .
- يريدون ديناً بلا مصارف إسلامية ، ولا اقتصاد إسلامي.
- يريدون ديناً بلا حجاب للنساء.
- يريدون ديناً بلا استقامة .
- إنهم في الحقيقة يريدون ديناً بلا دين ، ديناً أجوف لا حقيقة له ولا كيان ، ديناً بلا معنى .
- إن من الظلم الربط بين الدين الإسلامي والأحداث التطرفية الأخيرة التي حدثت في بلادنا ، أو التي تحدث في بعض دول العالم؛ فالدين بريء منها.
- إن من الظلم الربط بين اللحية، وتقصير الثياب، وحلّق تحفيظ القرآن، والمراكز الصيفية، وبين التطرف والغلو .
- إن الرجل الخارجي الذي خرج زمن النبي ﷺ كان من الأنصار ، الذين نصرُوا الدين، فهل من المنطق الشرعي تفكيك جماعة الأنصار ، أو الطعن فيهم؛ لكون رجل متطرف خرج منهم ؟
- ثم إن الرجل الذي قتل على بن أبي طالب رضي الله عنه كان من القُرءاء ، فهل من المنطق الشرعي إلغاء حفظ كتاب الله تعالى؛ لكون الرجل خرج منهم ؟ إن مثل هذا لا يقول به عاقل .

- أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

\* \* \*

- أيها الإخوة: يخطئ بعض الناس في الربط بين الفتوى الفقهية الشرعية وبين التطرف أو التفلت ، فيصفون الفتوى المتشددة بالتطرف ، ويصفون الفتوى المتساهلة بالتفلت ، وكلاهما حكم خاطئ ، فالأحكام الفقهية التي يجتهد فيها العالم المتخصص ، ويأخذ بقوله المقلد من الناس والعوام: لا يجوز فيها الوصف بالتطرف أو التشدد ، كما لا يجوز فيها الوصف بالتفلت أو الفسق، مادام أن لها حظاً من النظر العلمي ، المنضبط بضوابط الاجتهاد.

- فحكم التصوير الفوتوغرافي مثلاً لا يصح وصف من قال بجرمته بالتشدد ، كما لا يصح وصف من قال بجوازه بالتفلت والتساهل .

- وحكم غطاء وجه المرأة لا يجوز وصف من قال بوجوب غطاء وجهها بالتشدد ، كما لا يوصف من أجاز الكشف - بشروطه الشرعية - بالفسق أو الإثم .

- فلا بد من الفصل بين الاجتهاد العلمي المبني على الأصول الشرعية، وبين الوصف بالتشدد والتطرف، أو التفلت أو التساهل.



## ثانياً : التربية التَّعبُدية :

- ١- صدق الخشوع في الصلاة – أهميته وفضله.
- ٢- الهداية الربانية إلى عبادة الصيام.
- ٣- وجاء رمضان.
- ٤- تَجَارَّ رمضان.
- ٥- الأخلاق في رمضان.
- ٦- درس الجوع في رمضان.
- ٧- فضائل ليلة القدر.
- ٨- فرحة الصائمين وخيبة المفرطين.
- ٩- التشريف بالتكليف.
- ١٠- خطبة الرسول ﷺ يوم الحج الأكبر.
- ١١- تعظيم حرمة جوار البيت.
- ١٢- باب الدعاء وفضله.



## ١ - صدق الخشوع في الصلاة - أهميته وفضله

- أيها المسلمون : ليس شيء بعد الشهادتين أعظم من الصلاة المكتوبة ، فهي الركن الثاني من أركان الإسلام ، لا إسلام إلا بها .
- وليس شيء أعظم للصلاة بعد النية والطهارة وأداء الأركان والشروط من: خشوع فيها لله تعالى ، مع كمال الخضوع ، وكمال الذل .
- فقد امتدح الله الخاشعين في صلاتهم فقال : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ .
- وامتدح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بخشوعهم له سبحانه وتعالى فقال : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ .
- ويقول الرسول ﷺ في فضل الخشوع : « ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة ، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها ، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تُوث كبيرة ، وذلك الدهر كله » .
- وقال أيضاً : « من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم صلى ركعتين ، يُقبل عليها بقلبه ووجهه : غُفر له ما تقدم من ذنبه » .
- وقال أيضاً : « إن العبد إذا قام يصلي أتي بذنوبه كلها فوضعت على رأسه وعاتقيه ، فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه » .
- أيها المسلمون : لقد ألزمتنا الله تعالى الخشوع في صلاتنا فقال تعالى : ﴿ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ .
- ويبيّن تعالى أن الصلاة ثقيلة إلا على أهل الخشوع فقال : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ .
- وقد حدّر الرسول ﷺ من التهاون في أداء الصلاة بغير خشوع فقال :

- « خمس صلوات افترضهن الله تعالى ، من أحسن وضوءهن ، وصلاهن لوقتهن ، وأتم ركوعهن وخشوعهن : كان له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد ، إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه » .
- ويقول الرسول ﷺ عن الذي يلتفت في الصلاة : « لا يزال الله عز وجل مُقبلاً على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت ، فإذا التفت انصرف عنه » .
- ويقول عن العجلة في أداء الصلاة : « أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته ، قال : يا رسول الله كيف يسرق صلاته ؟ قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها » .
- ويقول عن ضياع أجر المصلي الذي لا يخشع في صلاته : « إن العبد ليصلي الصلاة ولم يكتب له إلا نصفها ، أو ثلثها ، أو ربعها ، حتى بلغ عُشرها » ؛ يعني لا يكتب له من أجرها إلا القليل .
- وهذا هو الاختلاس ، الذي يختلسه الشيطان من صلاة العبد ، حتى إنه يخرج من صلاته بلا أجر ، وربما خرج مأزوراً غير مأجور .
- ولهذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما ، وهو ينصح المصلي ويحذره : « ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها » ؛ يعني إلا ما استحضرت قلبك فيها .
- أيها الإخوة : إن العاقل ليعجب من أناس لا يكاد أحدهم يكبر للصلاة فيبدأ بركات لانهاية لها ، والتفاتات لا تكاد تنقطع ، حتى إذا سلم : سكن من كل ذلك .
- وربما كبر أحدهم للصلاة ، فما بين تكبيره وتسليمه إلا لحظات معدودة ، ينقر صلاته نقر الديك ، لا يسكن في شيء منها .
- وقد أخبر الرسول ﷺ بوقوع مثل هذا في آخر الزمان حيث يقول : « أول

- شيء يُرفع من هذه الأمة الخشوع ، حتى لا ترى فيها خاشعاً .
- أيها المسلمون: إنما يحصل الخشوع لمن أحبَّ الصلاة ، فكانت قرّة عينه ، وانشغل بها عن الدنيا ، وصلى صلاة مودّع ، لا يدري هل يصلي بعدها أم لا ، ثم اجتهد في تفرّغ قلبه لها ، وقدمها على غيرها ، واستعدّها لها ، ثم بعدها صدق في استعاذته بالله من الشيطان الرجيم، ولاذ بجناب الله تعالى من وسوسته وكيده ؛ فإن من خشع قلبه في الصلاة لم يقرب منه الشيطان .
- شكى عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ ما يجد من وسوسة الشيطان وتليسه عليه في صلاته ، فقال الرسول ﷺ : « ذلك شيطان يقال له : خنزب ، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ، واتفل عن يسارك ثلاثاً » ، ففعل ما أمره الرسول ﷺ به فأذهب الله عنه كيده .
- اللهم ارزقنا الخشوع في الصلاة واصرف عنا كيد الشيطان ، واشغلنا بذكرك عن سواك ، واجعل أنسنا في عبادتك يا أرحم الراحمين .

\* \* \*

- أيها المسلمون : ليس كلُّ من أظهر الخشوع في صلاته فهو خاشعٌ على الحقيقة ؛ فقد يظهر الخشوع على الجوارح أما القلب فقد يكون تائهاً في دروب الدنيا ومنزلقاتها.
- وهذا هو خشوع النفاق الذي حدّرنا منه حذيفة رضي الله عنه حين قال : «إياكم وخشوع النفاق ، فقليل له : وما خشوع النفاق ؟ قال : أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع .»
- ورأى عمر رضي الله عنه رجلاً يطأطئ رقبته في الصلاة ، فزجره وقال : « إنما الخشوع في القلب » .
- نعم أيها المسلمون : إنما الخشوع في القلب ، فمن خشع قلبه في الصلاة : خشعت جوارحه وسكنت لله تعالى .

- ولكن كيف يخشع قلب مُصلٍ قد ملئ بالنفاق والشك ، وحُشيَ بالحق والحسد ، وتمكَّن منه الهوى والشهوات ؟
- وكيف تخشع عين مُصلٍ قد زاغت بالنظر إلى المحرمات ، والاستمتاع بمشاهدة المنوعات والمفسَدات ؟
- وكيف تخشع أذنُ مُصلٍ لسماع القرآن وقد عَشش فيها سماع الطرب والغناء الفاحش ، وساقط الكلام ؟
- وكيف تخشع يدُ مُصلٍ امتدت في الحرام ، تأخذه أو تدفعه ، قد بطشت في غير مرضاة الله تعالى ؟ .
- ثم كيف تخشع رجلُ مُصلٍ قد مشى في محارم الله تنتهكها ، وقد تحطت حدود الله إلى المحرمات تخوض فيها .
- إن الخشوع في الصلاة جهد وجهاد ، وليس تكلفاً ؛ فإن الله لا ينظر إلى الأجساد وإنما ينظر إلى القلوب وما وقر فيها .

## ٢- الهداية الربانية إلى عبادة الصيام

- أيها المسلمون : تتفق الأمم جميعاً على أن كيان الإنسان ينقسم إلا قسمين :  
روح وجسد.
- واستطاع الإنسان من خلال احتكاكه بالجسد - عبر أزمنة طويلة- أن يعرف حاجاته ، وما يصلحه من : الغذاء والدواء واللباس .
- وها هو الإنسان قد طوّر المراكب ، وأتقن العلاج ، ونوع الطعام ، وكيف الهواء ، كل ذلك لراحة الجسد ورفاهيته .
- وأما في الجانب الروحي ، الذي به شرف الإنسان ، فما زالت البشرية الضالة تتخبط في دروب المعرفة ، تبحث عن نهج رعاية الروح وهدايتها .
- ولئن كانت البشرية قد تخطت في الجانب المادي مراحل عظيمة في رفاهية البدن ، فإنها مع ذلك قابعة في شأن الروح في أسفل الدرجات .
- إن شأن الروح - أيها الإخوة - من أمر الله تعالى ، قد حجب خبرها ، ونهج رعايتها ، وطرق تزكيتها : إلا من طريق الوحي ، الذي يُنزل على الأنبياء عليهم السلام.
- فعاشت قطعان كبيرة من البشرية في القديم والحديث ، فاقدة أسباب تزكية الروح ، ونهج رعايتها ، حتى حاصرها : الكرب والهـم والقلق والاكتئاب من كل مكان .
- لقد أضلّتهم الطواغيت والأخبار والرهبان والفلاسفة عن نهج الحق ، الذي تسكن به النفوس ، وتزكو به القلوب والأرواح .
- لقد وجد كل ناعق ضال من قطعان البشر من يتبعه على ضلاله وفساده ، حتى وُجد في البشرية من يبحث عن تزكية نفسه في عبادة الأوثان

- والجرذان، حتى استقر عند كثير من المؤرخين للأديان : أنه ما من حيوان في البيئة إلا كان في يوم من الأيام مقدساً عند أمة من الأمم ، باعتباره إلهاً.
- وفي خضم هذا الضلال الواسع، والظلام الحالك ، والحجب المترامية: يصطفى الله الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم ليدلّهم إلى نهج عبادته ، الذي تصحُّ به الأرواح ، وتزكو به النفوس.
- ينقذهم - سبحانه وتعالى - من دروب الضلال ، ونهج الفساد إلى طريق الهداية والرشاد ، لقد كفاهم الله مؤونة البحث والتنقيب عن طريق الحق ، حين أوحى إليهم.
- ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .
- ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .
- ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .
- أيها المسلمون : إن من أعظم المنن الربانية على عباد الله المؤمنين أن دلّهم على نهج العبادة الصحيح ، الذي تزكو به النفس، وتسعد به الروح .
- لقد منَّ الله على عباده المؤمنين أن عرفّهم أعظم العبادات التي ارتضاها لهم ، لقد عرفّهم أركان الإسلام .
- لقد عرفّهم شهادة الحق ، أعظم كلمة في الوجود : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ليس شيء أعظم ولا أثقل ولا أجلّ منها .
- لقد عرفّهم الصلاة التي تزكّي نفوسهم ، وتريح قلوبهم ، أنى لهم أن يعرفوا هذه العبادة العظيمة لولا فضلُ الله ورحمته .



- أيها المسلمون : إن من العبادات التي عرفها الله تعالى عباده المؤمنين عبادة الصيام ، تزكّي النفس ، وتطهر الروح ، وتشرح الصدور .
- لو اجتمع الثقلان من الجن والإنس على أن يضعوا لأنفسهم نهجاً للعبادة ، يطهر النفس ، ويزكي الروح لعجزوا عن ذلك .
- وها هم أهل الرياضات الروحية من النصارى والهندوس وغيرهم كثير ما زادتهم عباداتهم المختلفة إلا رجساً على رجسهم ، وضلالاً إلى ضلالهم .
- لقد أغلق الله طريق الهداية لزكاة الروح إلا عن طريق وحيه المبارك ، الذي ينزله على أنبيائه الكرام، فلا سبيل إلى ذلك إلا عن طريقهم.
- أيها المسلمون : في الصيام يجد المسلم سلوته ، وراحة نفسه ، عندما يعلم أنه في طاعة ربه ، أمر بالصيام فصام ، فهو يعمل في رضا ربه عز وجل .
- ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .
- أي نعمة أعظم من استشعار الهداية إلى العبادة الصحيحة ؟ ما قيمة جهود الإنسان حين يأتي يوم القيامة وقد عبد الله على غير هدى ؟
- أي خزي وعار ينتظره ؟ مقابل من عبد الله على هدى ، فهذه فرحة الصائم حين يلقي ربه ، فيفرح بصيامه ، ويفرح برضا ربه عز وجل .
- أي نعمة تنتظر المؤمن الصائم حين يلقي ربه عز وجل ؛ ليوفيه ما وعده : «الصيام لي وأنا أجزي به» ، فأى كرامة وفضل ينتظر المؤمن ؟
- فاستعينوا - أيها المسلمون - بالله على إتقان صيامكم ، واحفظوه من اللغو والرفث والسباب والشتائم ، ونقوه من شوائب الحرام والباطل .
- اللهم حبب إلينا الصيام ، واجعل أنسنا في القيام ، وكما أسعدتنا بفطرتنا

عند الغروب ، فأسعدنا بصيامنا يوم نلتقك يا رب العالمين .

\* \* \*

- أيها المسلمون : رمضان ضيف عزيز خفيف ، لا يُطيل البقاء، ولا يثقل المؤنة ، يأتي سريعاً ، ويمضي سريعاً ، فلا تستثقلوه .
- رمضان نفحة من نفحات الكريم الجبار ، يُذيقكم من بعض فضله ، لتتشوّقوا إلى المزيد ، مما أدخره سبحانه وتعالى للصائمين عنده .
- لقد اشتاق الصائم إلى باب الريان ، يزاحم عليه مع إخوانه الصائمين ، فأبي فرحة تغمره وهو يدخل الباب إلى جنات النعيم ؟
- ثم أي همٌ وحزنٌ وحسرة ، حين يُغلق الباب دون أناس فرطوا في صيامهم، وضيّعوا شهرهم ؟
- أي حسرة تحيط بالفرط في عبادته ، حين لا يجد فرجة بين أبواب الجنة التي ازدحمت بالصائمين والمجاهدين والمصلين والمتصدقين ؟
- لقد ضاقت أبواب الجنة الثمانية - التي وسعت ما بين المشرق والمغرب - عن أن تسمح لفرط في عبادته أن يدخل منها : « اليوم أنساك كما نسيتني» .
- إن أعظم خزي يواجهه الإنسان هو أن يُغبن في حظوظه التي ادخرها الله تعالى له ، فلا ينال منها شيئاً يوم القيامة ، فهذا هو الخزي العظيم .
- نعوذ بالله من الخذلان ، اللهم لا تخزننا يوم يبعثون ، وتقبلنا مع الصائمين يا أرحم الراحمين .

### ٣- وجاء رمضان

- أيها المسلمون : جاء رمضان بإشراقته وأنواره ، جاء رمضان بجلاله وإجلاله ، جاء بالرحمة والمغفرة ، والعنتق من النار .
- جاء رمضان بالفضل والإحسان ، جاء بالجود والإنعام ، جاء رمضان يلبسنا ثوب التقوى والإخلاص .
- جاء شهر القرآن والإيمان ، جاء شهر الصلاة والمسجد والتراويح ، جاء شهر الصدقة والزكاة والإنفاق .
- جاء شهر الدعاء والبكاء ، جاء شهر الحرم والكعبة والعمرة ، جاء شهر التنافس في الخيرات .
- جاء شهر زكاة الروح وطهارة النفس ، جاء شهر الصبر وحسن الخلق ، جاء شهر ضبط النفس وحفظ اللسان .
- جاء رمضان بالجهاد ، جهاد النفس بالطاعات وضبط الشهوات ، وجهاد العدو بالحرب والقتال والاستشهاد .
- جاء شهر الفطام عن الملذات ، والتبئل والاعتكاف ، جاء شهر التوبة والإنابة والصدق مع الله .
- أيها الإخوة : جاء شهر رمضان بمدرسته الكبرى ، وجامعته العظمى ، يؤدبنا ويهدبنا ، ويرتقي بنا إلى الأعلى .
- يرفعنا بأحكامه وآدابه من حضيض الشهوات إلى مراتب الكمالات ، ومن حمئة المعاصي إلى درجات الطاعات .
- لقد فتح الله لنا في رمضان أبواب الخير كأوسع ما يكون ، حتى إن التمرة الواحدة لترفع صاحبها إلى أعلى الجنان ؛ حين يقدمها المسلم لأخيه المسلم .

- لقد ادّخر الله للصائمين الصادقين من الأجور ما لا يخطر لهم ببال ، ولا مرّ لهم على خيال.
- إنه شيء عظيم ، وجلال كبير، وقرّة عين لا تنقطع ، وراحة نفس لا تنتهي، وأنوار لا تنتهى لها .
- ولكن - أيها الإخوة - لتساءل فيما بيننا : هل نحن بواقعنا هذا الذي نعيشه على مستوى رمضان ؟
- هذا الشهر الكريم ، الذي حشاه الله بالفضائل والمكرمات ، وأودع فيه أنواع الخيرات ، هل نحن بالفعل على مستوى هذا الشهر ؟
- هل الطائعون منا - فضلاً عن المذنبين والمقصرين - هل هم بالفعل على مستوى فضائل ومقامات هذا الشهر ؟
- إن رغبة السلف في أن تكون السنة كلّها رمضان لم تأت من فراغ، وإنما من إدراك لحقيقة ومكانة هذا الشّهر ، وعظيم مقامه عند الله تعالى.
- لقد كان بعض السلف يجتهد في رمضان اجتهاداً لا مزيد عليه ، من : إتقان الصيام، وطول القيام ، وقراءة القرآن .
- يصلون الليل بالنهار ، والنهار بالليل ، يعمرّون الشهر بالصالحات ، ويخافون فوات الزمان ، وضياع الأوقات .
- لقد أدرك السلف بيقين أن فوات الشهر دون عمل صالح : خسارة عظيمة ، يستحيل تعويضها أو تداركها ؛ ولهذا شمرّوا واجتهدوا .
- ثم تعاقبت أجيال بعد أجيال ، يتوارثون هذا الشهر ، بين محسن ومسيء ، ومجتهد ومقصر .
- حتى جئنا نحن في أعقاب الزمن ، بكل ما نحمله من المخازي والتقصير والتفريط ، نرث هذا الشهر الكريم .

- إن كرم الله في هذا الشهر لم يتغيّر ، وفضائل رمضان لم تتبدّل ، وإنما التغيّر والتبدّل طراً علينا نحن أمة الإسلام .
- لقد دخل الشهر علينا أمة الإسلام ، ونحن متخلفون اقتصادياً ، ومفكّون سياسياً، ومنهزمون عسكرياً، ومنحطون أخلاقياً .
- جوع وفقر وجهل وحرب واضطهاد يحاصر أمة الإسلام في كثير من البقاع، فأبي صيام وقيام وقرآن ؟
- لو كان لشهر رمضان لسان لهجانا ، ولو كان الاختيار بيده ما أشرق علينا ، ماذا يريد من أمة لا تعرف قدره ولا ترقى لمستواه ؟
- ولكنه قضاء الله وسنته الماضية ؛ لذا يعاودنا الشهر في كل عام ، يشهد علينا بتقصيرنا ، يشرق ثم يغربُ ويمضي ، ويذهب شاهداً على العباد بما اقترفوه من الأخطاء ، وبما اكتسبوه من الصالحات .
- إن أقلّ ما ينبغي أن يستشعره الواحد منا أنه مقصّر ، وأن أعمالنا دون مستوى فضائل الشهر ومقامه العظيم .
- ولا يمنعنا هذا الاستشعار من خير نقوم به ، مهما كان يسيراً ، أو شرّ نجتبه ، مهما كان صغيراً ، فالعاقل من قدّم لنفسه ، والمغرور من أتبع نفسه هواها .
- أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ .

\* \* \*

- أيها المسلمون : إن فرض الصيام ليس خاصاً بأمة محمد ﷺ ، وإنما هو فرض شَمِلَ أهل التوحيد منذ آدم عليه السلام ، فهو سنة باقية ماضية من أول الدهر .
- ونحن حين نصوم نشارك أهل التوحيد منذ العصور السابقة إلى العصور اللاحقة إلى قيام الساعة، ندخل معهم في عداد أهل الصيام من الموحِّدين .
- ثم إن ثمرة الصيام الحقيقية هي التقوى، التي تعمر القلوب، فتطهِّر الباطن، وتُصلح السلوك الظاهر من الإنسان .
- فما أعظم مصيبة من لم ينتفع من صيامه إلا الجوع والعطش ، صام جسمه ولم يصم قلبه .
- ويا فوز من صام وتقبَّل الله منه ، فإنه كفارة لما مضى من الذنوب ، ورفعٌ للدرجات ، وترقٍ في الكمالات .
- اللهم كما بلَّغتنا رمضان ، فأعنا فيه على الصيام والقيام ، وحسن الخلق وأدب الجوار يا سميع الدعاء .

## ٤- تجار رمضان

- أيها المسلمون : لم يكّد يدخل علينا شهر رمضان حتى أخذت أيامه تذهب مسرعة ، لم تُفق إلا على عشره الأواخر وهي تمضي سريعة بلا انتظار .
- لقد فتح علينا شهر رمضان سوق الآخرة كأوسع ما يكون ، الحسنه بسبعمائة ، إلى أضعاف كثيرة لا يعلمها إلا الله .
- وهاهم تجار الآخرة قد شمروا عن ساعد الجد ، فهذا الصائم ، وهذا المتصدق ، وهذا المعتمر ، وهذا المعتكف ، وهذا الذاكر والمبتهل والداعي .
- الكل مشغول ببضاعته في سوق الآخرة ، يروج لها ، يخشى كسادها ، ويرجو قبولها .
- فهذا الصائم الحريص على سلامة صيامه من اللغو والرفث ، قد صان صيامه من المفطرات المادية والمعنوية .
- لقد هابه أن يكون صائماً في الظاهر مفطراً في الحقيقة ، لقد خشي أن يكون نصيبه من الصيام : الجوع والعطش والحرمان من الأجر .
- لقد حفظ لسانه عن الباطل ، وترفع بسمعه عن المعازف والملاهي ، وغضّ بصره عن المحرمات والملهيات .
- وهذا القائم الخاشع في صلاته ، والحريص على السنة ، قد توقى على صلاته من الرياء والسمعة ، لا همّ له إلا مرضاة ربه .
- يخاف على صلاته من محبطات العمل ، ويخشى أن يكون نصيبه من صلاته : التعب والسهر والنصب .
- وهذا المتصدق الحريص على وضع صدقته في موضعها ، ينفق بلا حساب

- في سبيل الله ، لا تعلم شماله ما تنفق يمينه .
- يعلم أن الله طيب لا يقبل إلا الطيب من النفقة ، فاكسب ماله من حلال ، ووضعه فيما أحب الله تعالى من الحلال.
  - وهذا المعتمر قد جاء من الآفاق يلي دعوة ربّه ، زاده حلال ، ومركبه حلال ، طاف وسعى وشرب من زمزم ، ولم يؤذ أحداً .
  - جاء من بلده مشتاقاً إلى البيت ، فلما رآه زاده شوقاً ، فلم يشبع من رؤيته والطواف به ، يقبل الحجر ، ويستلم بيديه الركن .
  - وهذا المعتكف قد تخفف من الدنيا وشواغلها ، قد شغلته الصلاة وقراءة القرآن عن كل الملهيّات ، قد تفرّغ للعبادة بلا ملل .
  - أكله قليل ، ونومه قليل ، وكلامه قليل ، إنما هو القراءة والذكر والدعاء ، قد انشغل بربه عن الناس .
  - وهذا الذاكر لله تعالى ، قد انشغل بالتكبير ، والتهليل ، والاستغفار ، قد أمضى يومه وليلته في ذكر لا ينقطع .
  - إذا رآه الجاهل ظنّه مهووساً ، وما عرف أنه في جنة الدنيا ، وما علم أن الذكر من أعظم العبادات : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ .
  - وهذا الداعي المبتهل إلى الله تعالى ، قد انقطعت نفسه من شدة الدعاء والتضرع والابتهاال ، يرجو القبول ويخشى الرد .
  - له حاجات وضرورات لم يخبر بها أحداً من الناس ، إنما شكاه إلى الواحد الديان ؛ لأنه يعلم أن الفرج لا يكون إلا من عنده تعالى .
  - وهذه المرأة الصالحة ، قد صلّت خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت نفسها ، وأطاعت زوجها ، تنتظر رحمة ربها في هذا الشهر الكريم .
  - لم تشغلها الزينة واللباس عن نصيبها من رمضان ، قد فطّرت في بيتها



- الصائمين ، وأيقظت للعبادة النائمين .
- تنفق وتتصدق ، وتصلي وتتهجد ، قد أحييت في بيتها ليالي رمضان ، في دعاء وقنوت ، وذكر وخشوع .
- فإذا خرجت إلى المسجد خرجت في ستر وأدب ، لا تبرج ولا سفور ، قد لبست جلباب الحياء ، لا تفتن ولا تُفتن .
- أيها المسلمون : هؤلاء تجَّار رمضان ، الذين عرفوا الطريق فلزموه ، وأبصروا الخطر فتجنَّبوه .
- لقد نظروا لأنفسهم ، وأعدُّوا لها ، حين أيقنوا أن من لم ينظر لنفسه ، ويُعدُّ لها : فلن ينظر لها أحدٌ من الناس ، ولن يعدُّ لها غيره .
- لينظر كلُّ منا لنفسه ، وليعدُّ لها في هذه الدنيا وليصبر ؛ فإن أطول الناس حزناً في الدنيا أكثرهم فرحاً في الآخرة .
- أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴾ .



- أيها المسلمون : إن الصيام سيد العبادات ، وهو عبادة السادات ، قد تغلغل حبه في قلوب الصالحين من السلف والخلف .
- فقد التزم الصيام جمع هائل من الصحابة والتابعين وغيرهم ، لا يفطر أحدهم إلا في الأيام التي حرم الله صيامها .
- قد ملكت عليهم عبادة الصيام حياتهم ، ينتظر أحدهم الموت صائماً للحديث : « من خُتم له بصيام يوم دخل الجنة » .
- ليس لهم همٌّ إلا العبادة ، فرحهم بدوامها ، وحزنهم بفواتها .

- دخل إبراهيم بن أدهم رحمه الله على أخ له يعود في مرض أصابه ، فوجده يتنفس بجراحة ويتأسف ، فقال له : « على ماذا تتنفس وتتأسف ؟ فقال : ما تأسفي على البقاء في الدنيا ، ولكن تأسفي على ليلة نمتها فلم أقمها ، وعلى يوم أفطرته فلم أصمه ، وعلى ساعة غفلت فيها عن ذكر الله تعالى . »
- أيها المسلمون : إن الخسارة الكبرى هي خسارة الآخرة ، ومهما بلغت الخسارة في الدنيا فلن تعدل شيئاً من خسارة الآخرة .
- فأى خسارة وندم أعظم من فوات حظوظ الآخرة ، حين يرى التعيس مقعده من الجنة قد أبدله الله به مقعداً في النار ؟
- فاستعدوا أيها الناس بمضاعفة حسناتكم في هذا الشهر ؛ فإن أحدكم لا يدري ، فقد يقف دخوله الجنة على حسنة واحدة .
- واحذروا لصوص الحسنات ، وقطاع الطرق ، الذين يسرقون جهودكم فيحرقونها في المعاصي والمنكرات .
- فقد عزم الإعلاميون وجنّدوا طاقاتهم لإزالة آثار الصيام من نفوس الناس ، فهل أنتم مكنوهم من ذلك ؟

## ٥- الأخلاق في رمضان

- أيها المسلمون : يولي دين الإسلام الأخلاق الفاضلة المقام الأعلى ، والمكانة الأسمى ، فلا شيء يوازئها بعد الإيمان .
- وقد جاءت الأخلاق في القرآن الكريم مقرونة بالإيمان ، كما قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ وَعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ .
- ويقول الرسول ﷺ عن فضل الأخلاق الحسنة : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً » .
- ويقول ﷺ أيضاً : « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل، صائم النهار » .
- ويقول ﷺ : « إن الناس لم يعطوا شيئاً خيراً من حسن الخلق » .
- ويقول ﷺ : « إن من أحبكم إليَّ : أحسنكم أخلاقاً » .
- ويقول ﷺ : « ليس شيء أثقل في الميزان من الخلق الحسن » .
- ويقول ﷺ : « البرُّ حسن الخلق » .
- ويقول ﷺ : « خياركم أحاسنكم أخلاقاً » .
- ويقول ﷺ : « خير الناس أحسنهم خلقاً » .

- ويقول ﷺ : « إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها » .
- ويقول ﷺ : « إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .
- ويقول ﷺ : « من سعادة ابن آدم حسنُ الخلق » .
- أيها المسلمون : إن الناظر في هذه النصوص ليدرك مكانة الأخلاق الحسنة في هذا الدين ، وعلو شأنها ، وارتفاع مقامها .
- لقد ارتبطت الأخلاق بهذا الدين ارتباط الروح بالجسد ، وتشعبت في كل جنباته ، فما من حكم أو أمر إلا والخلق الحسن زينته .
- ولئن كانت العقيدة هي صورة الإنسان الباطنة : فإن الأخلاق هي صورته الظاهرة .
- فما من عمل يقوم به المسلم إلا وللخلق الحسن نصيب فيه .
- ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ .
- ﴿ اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ .
- ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ .
- ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .
- ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ .
- ويقول الرسول ﷺ : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » .
- ويقول ﷺ أيضاً : « مكارم الأخلاق عند الله ثلاثة : تعفو عمن ظلمك ، وتُعطي من حرمك ، وتصل من قطعك » .

- وهكذا - أيها المسلمون - نجد الأخلاق قد شملت كل سلوك الإنسان المسلم ، وتشعبت في جميع الأحكام والأوامر الشرعية .
- وتتأكد الممارسة الأخلاقية في الأوقات الفاضلة كرمضان ، وفي الأماكن المقدسة كمكة المكرمة والمدينة المنورة .
- وتتأكد في مقابل ذلك حرمة الانتهاكات الخلقية في الأوقات الفاضلة ، وفي الأماكن المقدسة .
- وإنك لتتعجب من فئات في المجتمع ، لا تقدر حرمة مكان ، ولا تعرف حرمة زمان ، قد أظلمت قلوبهم ، وعميت أبصارهم .
- ينطلقون في المجتمع بالفساد ، ينتهكون الأعراض ، ويتجرأون على المحرمات ، لا يستحيون من الله ولا من الناس .
- لا يصومون ولا يصلون ، ولا يغتسلون ولا يتطهرون ، كأنهم الشياطين في أخلاقهم ، والمردة في سلوكهم .
- لا يتأثرون بموعظة ، ولا يتأدّبون لحرمة ، لا تؤثر فيهم الحوادث ، ولا تهزهم الكوارث ، وكأن قلوبهم الحجارة .
- لولا فضل الله ، ثم عصا السلطان ، وسيفه المشهور في وجوههم لبغوا على الناس في شوارعهم وبيوتهم وأعراضهم .
- ولهذا فإن السلطان من نعم الله على المجتمع المسلم ، يقيم الحدود على الجناة ، ويؤدّب العصاة ، ويُرهب الأعداء .
- وصدق عثمان بن عفان رضي الله عنه حين يقول : « من يزغ السلطان أكثر ممن يزغ القرآن » ، يعني من يكفُّ السلطان عن المعاصي والمنكرات

- أكثر ممن يكفهم القرآن عن ذلك .
- اللهم قو سلطان الحق على الباطل ، وسلط سيف العدل على البغاة  
والجناة ، وتب يا ربنا على من تاب .

\* \* \*

- أيها المسلمون : ولئن ساغ لبعض الناس أن يهمل الأخلاق في سائر أشهر  
عامه : فإن هذا لا يسوغ أبداً في رمضان .
- فإن النبي ﷺ يقول عن ارتباط الأخلاق بالصيام : « من لم يدع قول الزور  
والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » .
- ويقول ﷺ أيضاً : « ليس الصيام عن الأكل والشراب ، وإنما الصيام عن  
اللغو والرفث » .
- وقال ﷺ : « رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش » .
- فإذا كان الصائم الذي لا يلتزم الأخلاق قد ضاع أجره ، فكيف بالمفطر  
في رمضان ، المنتهك للحرمات والموبقات في هذا الشهر العظيم؟
- إن العاقل ليتعجب من أناس نشأوا في أحيائنا، وتعلموا في مدارسنا، ثم هم  
بعد ذلك يتجرأون على الحرمات، ويتتهكون الأعراض.
- أين أثر الأسرة التربوي ؟ أين دور المدرسة التعليمي ؟ لماذا لم تؤثر فيهم  
مناهج التربية الإسلامية على كثرتها ؟ أين الخلل في حياتنا ؟

## ٦- درس الجوع في رمضان

- أيها المسلمون : إن لرمضان دروساً تربويةً عظيمةً تدخل في بناء شخصية المسلم ، وتكوين خُلُقِه .
- إلا أن درساً تربوياً مهماً من دروس رمضان نغفل عنه وننساه ، بل ربما سعينا لمحو آثاره من نفوسنا أولاً بأول .
- إنه درس الجوع، الذي كان يتلذذ به سلفنا الصالح، كما يتلذذ أحدنا بأكل اللحم والحلوى.
- كانوا يتلذذون ويتفننون في دفع الشَّبَع عن بطونهم ، كما يتلذذ أحدنا بدفع الجوع عن بطنه .
- إن في الجوع رقة القلب ، ودمع العين ، وصفاء العقل ، ونفاذ البصيرة ، وطول العبادَة ، وقلة النوم .
- فمن ملك بطنه: ملك نفسه ، ومن ملك نفسه: ملك أخلاقه ، ومن ملك أخلاقه : ثقل ميزانه يوم القيامة .
- إن قلة الطعام تُورث صاحبها الانكسار والتواضع ، وتذهب عنه الأشر والبطر والكبر، وتذكّره بالفقراء والمساكين .
- إضافة إلى الصحة العامة ، والسلامة من أمراض التخمة والشَّبَع ، التي تفتك بصاحبها ، وربما قتلته .
- أيها الإخوة : البطن ينبوع الشهوات ، وبيت الداء والآفات ، يتقوى الشيطان بامتلائها ، فيجري في الإنسان مجرى الدم ، وما أتى آدم عليه السلام، فأخرج من الجنة ، ولقي ما لقي إلا من جهة الأكل ، وهي فتنة ذريته من بعده ، يُفتنون ببطونهم ، ماذا يقذفون فيها ، بين قليل وكثير ، وحلال وحرام؟ .

- جاء أبو جحيفة رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ ، وقد شبع من لحم وسمن ، فتجشأ عند رسول الله ﷺ فقال له : « أكفف عنا جشاءك أبا جحيفة ؛ فإن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة » ، فما شبع أبو جحيفة بعدها .
- وكان الصحابة - رضي الله عنهم - يُعَيِّرون الرجل السمين ، يعاتبونه على كثرة الطعام ؛ ولهذا قلَّ السمن في الصحابة، وإنما هو من معائب أهل آخر الزمان .
- تقول عائشة رضي الله عنها : « أول بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ الشَّبَع ، إن القوم لما شبعوا بطونهم جمحت بهم نفوسهم إلى هذه الدنيا » .
- ولهذا كان الرسول ﷺ يقول: « ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال: بيت يستره ، وثوب يوارى عورته، وجِلْفُ الخبز والماء » .
- وقد كان رسول الله ﷺ هو القدوة في ذلك ، فقد لازمه الجوع طول حياته حتى قبض ، فما شبع من طعام قط ، ولا رأى مُنخلاً ، ولا خبزاً مُرَقَّعاً ، ولا رأى شاة مشوية قط ، وكان يربط الحجر على بطنه من الجوع ، ويُعرف أثر الجوع في وجهه وصوته .
- يقول عُمَرُ رضي الله عنه : « لقد رأيت رسول الله ﷺ يظلُّ اليوم يلتوي ، ما عنده ما يملأ بطنه من الدَّقَل » . يعني رديء التمر .
- وتقول عائشة رضي الله عنها : « ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ، ولو شئنا لشبعنا ، ولكن كنا نُؤثر على أنفسنا » .
- جاءت مرة فاطمة رضي الله عنها بكسرة خبز إلى رسول الله ﷺ تطعمه إياها ، فسألها عنها فقالت : « قرص خبزته، فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة ، فقال : أما إنه أول طعام دخل بطن أبيك منذ ثلاثة أيام » .



- لقد كان الجوع يصيب الصحابة - رضي الله عنهم - حتى إن أحدهم يقلق من الجوع ، فيخرج من بيته لعله يجد ما يملاً به بطنه .
- يقول عتبة بنُ غزوان رضي الله عنه : « لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ قريباً من شهر رمضان ، مالنا طعام إلا ما نُصيب من أوراق الشجر، حتى قَرَحَت أشداقنا من أكل الشجر » .
- كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأكل في اليوم إحدى عشرة لقمة ، فعاتبه الناس في ذلك ، فقال : « والله إنني لأشتهي الطعام ، إنني لأكل السمَنَ وعندني اللحم ، وأكل الزيت وعندني السمن ، وأكل الملح وعندني الزيت، ولكن صاحبي سلكا طريقاً ، فأخاف اختلافهما ، فيُخالفُ بي » ، يعني أنه يأخذ بالأدني من الطعام وهو قادر على الأعلى إثارةً ، ورغبة في الاقتداء بالرسول ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه.
- جاء رجل بشراب لعبد الله بن عُمَر رضي الله عنهما يساعد على الهضم ، فقال عبد الله : « مالي وله ، ما شبعت منذ أسلمت » .
- قال سفیان الثوري رحمه الله : « بيتُ عند الحجاج بن الفرافصة أربعة عشر ليلة ، فما رأيتُه أكل ولا شرب ولا نام » .
- كلَّف الربيع بن خثيم رحمه الله أهله بصناعة بعض الحلوى، فلما قُدِّمَتْ له أتى برجل مجنون، وأخذ يطعمه الحلوى بيده ، فأنكر عليه أهله ، وقالوا عن المجنون : « هو لا يدري ما يأكل » ، فقال الربيع : « ولكن الله يدري » .
- أيها الإخوة : لقد كان موسم التمر من الرطب والفاكهة تمر على بعض السلف فلا يأكل منها حبة واحدة .
- وكان بعضهم لا يسأل أهله صناعة الطعام ولا أنواعه ، إن وجد شيئاً أكل يسد جوعه ، وإن لم يجد لا يسأل ولا يبحث.

- وربما مات أحدهم فإذا جاءوا إلى غسله ، فعصروا بطنه لا يخرج منه شيء ، يعيش أحدهم طاوياً ، ويموت طاوياً .
- يقول الحسن البصري رحمه الله : « لقد كان أحدهم يأكل الأكلة فيتمنى أن تبقى في بطنه كما تبقى الأجرة في الماء ، فتكون زاده من الدنيا » .
- اللهم أشبع بطوننا بالحلل ، وحصن فروجنا عن الحرام ، واستر عيوبنا عن الأنام ، واختم بالصالحات آجالنا يا أرحم الراحمين .



- أيها الإخوة : ليس الجوع فرضاً واجباً على المسلم إلا أن يكون صياماً واجباً ، وإنما هو مدرسة تربوية مستقلة ، لها منهجها وآدابها ، وهو دأب السلف وأهل الآخرة ، أخذ به الصالحون من هذه الأمة ، ومن قبلهم من أهل التوحيد .
- وأما ضابط هذا المسلك التربوي ، هو ألا يجوع جوعاً يقعه عن القيام بالواجبات الشرعية والاجتماعية ، وإنما هو جوع يملك عليه نفسه ، فيسوقها في مرضي الله تعالى ، ليرقق به قلبه ، ويصلح به أخلاقه وسلوكه .
- وضابطه أيضاً ألا يحزن على طعام فاته ، ولا يبالي بأي طعام أسكن جوعه ، مهما كان رديئاً ، مادام أنه حلال طيب .
- أيها الإخوة : إن الشَّبَع ليس بحرام ، وإن أشدَّ ما فيه الكراهة ، وإنما الممنوع أن يأكل فوق حاجته فيضر نفسه ويهلكها .
- ثم إن دوام الجوع أن يأكل المسلم دون حدِّ الشَّبَع ، فمن فعل ذلك فقد جاع ، ونهج التدرُّج التربوي هو الطريق لذلك .
- قال مالك لأحد أصحابه : « احفظ عني اثنتين ، لا تبيننَّ وأنت شبعان ، ودع الطعام وأنت تشتهيهِ » .

## ٧- فضائل ليلة القدر

- أيها الإخوة : لقد استقر عند المسلمين جميعاً فضلُ شهر رمضان على سائر الشهور ، فأوَّله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار .
- وهو سيد الشهور ، فضَّله الله على سائر الشهور ؛ لما فيه من الكرامة والخير والبركة ، وعظيم الأجر والثواب .
- ما أن يدخل الشهر حتى تفتح أبواب الجنة ، وتغلق أبواب النار ، وتصفد الشياطين ، فلا يخلصون من العباد إلى ما كانوا يخلصون منهم في غير رمضان .
- لقد ارتبط شهر رمضان بالخير للمسلمين ؛ فإن كانوا في ضيق وسَّع الله عليهم ، وإن كانوا في حرب نصرهم الله .
- تزداد فيه الأرزاق ، وتكثر فيه البركات ، يقوى فيه الناس على الصلاة ، وتزداد فيه النفقة في سبيل الله .
- حتى إن بعض الناس لا يكاد يتصدق طوال عامه ، حتى إذا جاء رمضان أنفق وتصدَّق وبذل .
- أيها المسلمون : ولئن كان رمضان قد حُشي بالخير من أوله إلى آخره ، قد عمَّته البركة في أيامه ولياليه ؛ فإن أعجب ما في رمضان ، وأغرب ما فيه هو عشره الأخير، فهي زبدة الشهر ، وأجلُّ ما فيه .
- يستدرك فيها المقصَّر ما فاته ، ويلحق فيها المتأخر من سبقه ، فيأتي في الأول ، وكأنه ما فاته شيء .
- نعم أيها الإخوة : ماذا فات من أدرك ليلة القدر ، فقامها إيماناً واحتساباً ، وتأدَّب فيها مع الله ومع عباده ؟

- لقد نال المنى ، وحصل له المقصود ، وبلغ المأمول ، لقد جاء متأخراً ، ولكنه بهذه الليلة سبق الجميع .
- إنها ليلة العبادة فيها تفوق عبادة ألف شهر ، يحوز المقبول فيها ما لا يتصوره من عظيم الأجر والثواب .
- إنها ليلة عظيمة ، تنزل فيها الملائكة ، وتحفُّها من أولها إلى الفجر ، قد ازدهرت بالأنوار والإشراقات .
- من خصَّه الله بكرامته في هذه الليلة : يحصل له من انشراح الصدر ، وإشراق النفس ، وشفاء الروح : ما هو كثير وعظيم .
- حتى إنه يشعر بالملائكة من حوله ، ويرى الأنوار في كلِّ مكان ، حتى إنه ليغيب عن حوله في صحبة الملائكة الأعلى .
- يلهج لسانه بالدعاء : « اللهم إنك عفو كريم تحب العفو ، فاعف عني » ، ولا يميلُّ من الذكر والتسبيح والتهليل ، وقراءة القرآن .
- لقد ملك عليه القرآن كلَّ وقته ، يقرؤه في الليل والنهار ، لا يميلُّ من القراءة ، فهو في شهر القرآن .
- يقول الرسول ﷺ : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول (الْم) حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .
- ويقول أيضاً : « اقرأوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » .
- إنها الغنيمة الكبرى ، والصفقة العظمى أن ينال العبد شرف ليلة القدر ، فيكون فيها من المقبولين .
- يقول الرسول ﷺ : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه » .

- وقد ثبت يقيناً أن ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان ، وأكد لياليها الوتر من العشر الأواخر .
- وأرجى ليالي الوتر ليلة السابع والعشرين ، من قامها إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه .
- وإن من أعجب العجب أن تمرَّ هذه الأيام الفاضلة ، والليالي المباركة على أناس لا يعرفون لرمضان مزيةً على باقي الشهور .
- يدخل عليهم الشهر وينقضي ، فلا صلاةً صلَّوا ، ولا قرآناً قرأوا ، ولا صدقة تصدقوا ، إنهم لهم المحرومون حقاً .
- يقول عنهم رسول الله ﷺ : « إن هذا الشهر قد حضركم ، وفيه ليلة خير من ألف شهر ، من حُرِّمها فقد حُرِّم الخير كله ولا يُحرَّم خيرها إلا محروم» .
- اللهم إنا نعوذ بك من الحرمان والخذلان في يوم كرامتك وفضلك .
- أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .
- \* \* \*
- أيها المسلمون : ولئن كان الله بفضله قد حجز عنا شياطين الجن ، فلا يخلصون منا إلى ما كانوا يخلصون إليه في غير رمضان ، ولكن من لنا بشياطين الإنس ، ولصوص القلوب ، سُرَّاق الحسنة ، الذين يحولون بيننا وبين فضائل هذا الشهر .
- إن العاقل ليتعجب من إصرارهم على الباطل ، وإمعانهم في الفساد ، لا يستحيون من الله ، ولا من عباد الله .

- لا يقدرّون حرمة الشهر ، بل يعتبره بعض الإعلاميين موسماً لبرامج جديدة ، تفتن المشاهدين ، وتعبث بالصائمين .
- ولئن كان الذي فاته الصيام والقيام مغبوناً : فإن الذي صام وصلى ثم ضيّع حسناته أمام الفضائيات أكثر منه غبناً وخسارة .
- اللهم نعوذ بك من الخذلان والضلال بَعْدَ الهدى .

## ٨- فرحة الصائمين وخيبة المفرطين

- أيها الإخوة : وهكذا يمضي شهر رمضان كعادته سريعاً ، يشهد لأهل الطاعة بطاعتهم ، ويشهد على أهل المعصية بعصيانهم .
- يذهب هذا الشهر الكريم من هذه السنة ، فلا يعود أبداً إلى يوم القيامة يفرح به المؤمنون ، ويندم على التفریط به المنافقون والمقصرّون .
- يفرح المؤمن بصيامه حين يلقي ربه عز وجل ، ينعم بما أدّخره الله له من الثواب العظيم : « الصيام لي وأنا أجزي به » .
- لقد أدّخر الله للصائمين من الأجور العظيمة ما لا يتصوّرونه ولا يتخيّلونه، إنها المفاجأة الكبرى عند لقاء الله تعالى .
- أيُّ غبطة تحفُّ بالصائمين حين يلقون ربهم ، فيخرج لهم ما أدّخره عنده من التحف وكريم المقام ؟
- أيُّ بهجة يعيشها الصائمون حين ينادي المنادي من جهة باب الريان : « أين الصائمون ؟ » .
- فإذا بهم يقومون يتدافعون على باب الجنة ، لا يؤس بعد اليوم ، ولا تعب ولا نصب ، ولا فقر ولا حاجة ، ولا جوع ولا ظمأ .
- لقد ذهبت الدنيا بما فيها من الأسقام والأوجاع والتعب والظلم ، وأقبلت الآخرة بما فيها من الأُنس والراحة والبهجة .
- لو قدّر الله لأحد أن يموت بعد البعث لمات الصائمون من عظيم فرحتهم بلقاء ربهم ، ومعابنتهم باب الريان قد فُتح لهم .
- إنها الفرحة التي وعد الله عباده الصائمين حين يلقونه ، لقد أذهب الله عنهم عناء الدنيا ، وأبدلهم به نعيم الآخرة .

- ويا ويل المفرطين في صيامهم حين يلقون ربهم ولا حجة لهم ، يوبخهم الله والملائكة ، ويُغلق دونهم باب الريان .
- أيُّ حسرة تحيط بهم ، وأي ندم يعتصر قلوبهم ، وهم يُطردون عن باب الريان ، ويُدادون عنه .
- لو قُدِّرَ أن أحداً يموت بعد البعث لمات المفرطون في صيامهم من عظيم حسرتهم ، وشديد ألمهم وبؤسهم .
- لقد ذهب الصائمون إلى وعد الله الذي وعدهم ، وبقي المفرطون في وعيد الله الذي توعدَّهم .
- يحكي الرسول ﷺ ما رآه في المنام من عقوبة المفرطين في الصيام فقال : « ... ثم انطلق بي ، فإذا يقوم معلّقين بعراقيبيهم ، مشقّقة أشداقهم ، تسيل أشداقهم دماً ، قال : قلت : من هؤلاء ؟ قال : الذين يفطرون قبل تحلّة صومهم » ، يعني يفطرون قبل موعد الإفطار .
- فإذا كانت هذه عقوبة الذي يصوم ولكنه يفطر قبل موعد الإفطار ، فكيف بمن لا يصوم أصلاً ؟ .
- أيها الإخوة : ليالي العشر لها فضيلة ومزية على باقي الشهر ؛ ولهذا يكثُر فيها الناس ويزدهمون في المساجد، وربما حصل بينهم شر ؛ بسبب الزحام .
- والشيطان حريص على إفساد ذات البين ، فلنوطّن أنفسنا على الإحسان والصبر ، وسعة الصدر .
- أيها الإخوة : ماذا على أحدنا حين لا يجد مكاناً مناسباً في الحرم فيعود أدراجه فيصلّي في مسجد من المساجد ، ماذا عليه لو فعل هذا ؟
- إن أجره كامل بنيته الصالحة ، وهو إن أصرَّ على المزاحمة ، ودافع الناس ، وآذى غيره : فقد ينقص أجره ، وربما أثم .



- وأما ليلة العيد فيعمرها الصائمون بالتكبير والتهليل ، وحمد الله على إتمام العدة .
- فيكبرون من غروب شمس ليلة العيد حتى خطبة العيد .
- والمسلم الصائم حريص على إخراج زكاة الفطر قبل صلاة العيد ، يخرج عن نفسه ، وعمن تلزمه نفقتهم .
- وهذه الزكاة فريضة على المكلفين من المسلمين حتى الفقراء ، يخرجون ما زاد عن قوت يوم العيد وليلته ولو كان قليلاً .
- فالكل يخرج هذه الزكاة ، وتتداول هذه الطعمة المباركة بين أيدي المسلمين، حتى تستقر عند أصحابها .
- وليحذر الذين يسيطر عليهم هوس التسوق في آخر الشهر فينسون إخراج زكاة الفطر ، فإنها فريضة يأثم المكلف بتأخيرها عن موعدها .
- والسنة في فجر يوم العيد أن يقطع الصيام بتمرات أو ماء ؛ فإن صيام يوم العيد حرام باتفاق المسلمين .
- ولقد كان كثير من السلف يصومون الدهر ، فإذا كان العيدان وأيام التشريق : أفطروا ، وقطعوا الصيام .
- والسنة حضور النساء إلى مصلى العيد ، على أن ينظر الرجل في هيئة زوجته وبناته كيف يخرجن ؟
- ولا بأس بشيء من التوسعة على الأهل والأولاد في هذا اليوم الطيب ، ضمن حدّ المباح في غير إسراف ولا مخيلة .
- ولا بأس بشيء من الفرح واللعب في يوم العيد ، وأما زيارة المقابر يوم العيد فإنها ألم في يوم الفرحة .

\* \* \*

- أيها المسلمون : شهر رمضان شهر عظيم ، وذهاب الشهر خسارة كبيرة لفوات عظيم الأجر ، فليست الشهور الأخرى مثل رمضان .
- والخير في رمضان يعمُّ الشهر كله ، أوله وأوسطه وآخره ، إلا أن ليلة فيه يغفل عنها كثير من الناس .
- إنها آخر ليلة من ليالي رمضان ، يعتق الله فيها من النار بقدر ما أعتق طول الشهر ، ويغفر الله فيها للجميع .
- يقول رسول الله ﷺ : «... إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعاً ، فقال رجل من القوم : أهى ليلة القدر ؟ فقال : لا ، ألم تر إلى العمال يعملون ، فإذا فرغوا من أعمالهم وقُّوا أجورهم .»
- اللهم وقنا أجورنا ، وزدنا من فضلك وبركاتك يا رب العالمين .

## ٩- التشریف بالتكليف

- أيها الإخوة : لقد انقضى شهر رمضان المبارك بعد أن كان أياماً نستقبلها ومنتظرها ، فأصبح حاضراً ثم غدا ماضياً وذكرى نتذكرها.
- وهكذا باقي الأيام ننتظرها ، ثم تكون حاضراً نعيشه ، ثم تغدو ماضياً نودّعه، فيذهب ولا يعود إلينا أبداً .
- تذهب تلك الأيام وتمضي حمّلة بأعمال العباد ، صالحها وفاسدها ، فيُختم عليها فلا تفتح إلا للحساب يوم القيامة .
- أيها الإخوة : لقد قمنا بأعمال كثيرة استودعناها أيامنا الماضية ، منها أعمال صالحة نرضاها ونحبّها ، ومنها أعمال نكرها ولا نحبّها .
- وأعمال أخرى واجبة كان من المفروض أن نقوم بها في أوقاتها فأهملنا وفرطنا ، فذهبت تلك الأيام مفرّغة من الصالحات .
- إن الله فرض فروضاً ، وأوجب علينا أموراً ، وحدّد لبعضها أماكن وأزمنة معيّنة فأهملناها وفرطنا فيها ، فذهبت تلك الأيام بما فيها .
- إن الله لا يقبل عمل الليل في النهار، ولا عمل النهار في الليل، وما حدّده في أيام معيّنة لا يقبله في غيرها، إلا من عذر شرعي.
- فمن أدّى تلك الأعمال في أوقاتها ومواقعها كما أمر الله تعالى ، فمرجو له القبول ، ومن فرط فيها فأمره إلى الله ، إن شاء غفر له ، وإن شاء عدّبه .
- أيها الإخوة : إن أناساً بيننا ، يعيشون معنا ، قد ثقلت عليهم التكاليف الشرعية ، وودّوا لو أنهم يعيشون في الحياة هملاً ، لا يؤمرون ولا يُنهون ، كحال الدواب والأنعام لا تكاليف عليها ولا واجبات، والله تعالى يقول : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى

- اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١٠٠﴾ .
- إن ما يميّز الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى من العجماوات إنما هي التكاليف الشرعية ، التي فرضها الله تعالى عليه وخصه بها ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .
- لو لم تكن التكاليف الشرعية هي الفارق بين الإنسان وسائر المخلوقات العجماوات ، فما هو الفارق بين الإنسان والحيوان ؟
- إن هذه التكاليف الشرعية التي كلف الله بها الإنسان ، مع ما فيها من الجهد والمعاناة ، فإنها مع ذلك تحمل للإنسان تشريفاً وتكريماً .
- فالإنسان لم يُرفع ليكون سيد الكون ، وخليفة الله في الأرض إلا من جهة التكليف ، فهو مكرمٌ لأنه مكلف .
- وما سخر الله للإنسان ما في السموات و ما في الأرض إلا ليستعين بها على القيام بالتكاليف الشرعية .
- فما بال أناس يستثقلون التكاليف الشرعية ، يكره أحدهم وصف الأعمال والأشياء بالحلال والحرام ، يريد أن يعيش بلا أحكام ، وإنما هو الهوى ، إذا صادف شيئاً يحبُّه : أخذ به ، وإذا صادف ما يكره : أعرض عنه .
- أيها الإخوة : إنَّ كلَّ تكليف كلفنا الله تعالى إيَّاه هو في مصلحتنا ، ويحقق منفعتنا ، لا يصلُّ إلى الله من ذلك مصلحةً ولا منفعة .
- فالعبادات والمعاملات والحدود ، كلُّ ذلك إنما شرعه الله لتحقيق مصلحة العباد في العاجلة والآجلة .
- فالعبادات وما فيها من الشعائر ، وما تحمله من الجهد والمجاهدة والمعاناة ،

- إنما شرعت لتزكية نفوسنا وتطهيرها ، والترقي بها في درجات الكمالات الإنسانية .
- والمعاملات إنما شرعت لضبط الحقوق ، وسلامة العلاقة بين الناس ، والقيام بالقسط .
- والحدود هي الأخرى إنما شرعت لإحقاق الحق ، وقيام العدل ، وإصلاح الحياة ، وتطهير المذنب من رجس المعصية .
- فلا شيء يصل إلى الله من هذه الأعمال إلا كما قال تعالى : ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ... ﴾ .
- إن المسلم الحق هو الذي تمتلئ نفسه بالرضا والإجلال لما أنزله الله تعالى من الأحكام والتشريعات .
- يعلم أن في كل تكليف رحمة ، وفي كل إلزام خير ، وفي كل توجيه هداية ، لا تثقل عليه التكاليف بل ينشرح بها صدره .
- وإن المبطل من الناس من يعتقد أن التكاليف الشرعية آصاراً وأغلال ، تقيّد حركة الإنسان في الحياة ، وتعوق تحضره وتمدّنه .
- سبحانه الله ، ما أعظم هذه الفرية ، كيف تكون التكاليف الشرعية عائقاً في طريق تقدم الإنسان وتحضره والله تعالى هو الذي كلّف الإنسان بعمارة الأرض وإثارتها ؟
- فكيف يأمره بعمارة الأرض، التي تتطلب الحركة والانطلاق ؟ في الوقت الذي يعوقه بالتكاليف الشرعية، إن مثل هذا التصور لا يكون أبداً .
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ ... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا... ﴾ .

\* \* \*

- أيها المسلمون : بقدر ما ارتبطت هذه التكاليف الشرعية بالإلزام ، ووجوب التنفيذ كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .
- فإنها مع ذلك قد تكللت باليسير ، والتسهيل ، ورفع الحرج كما قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ... ﴾ .
- إن المشكلة لا تكمن في التشريع ، وإنما تكمن في النفوس القاسية ، التي لم تقنع بعد بحكم الله تعالى ، ممن يميل إلى حكم الجاهلية .
- لقد أنزل الله على أصحاب مُحَمَّدٍ ﷺ قوله: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ... ﴾ ، فثقل ذلك عليهم ؛ لما فيه من شديد التكليف ، فجثوا على ركبهم عند رسول الله ﷺ ، من يطيق أن يحاسب على ما يقع في نفسه من الأفكار والهواجس والأوهام ؟ فلما قالوا : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ ، أنزل الله العذر والتخفيف ، رحمة بهم ، وتلطفاً بطبيعتهم البشرية التي لا تطيق مثل هذا : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ... ﴾ .

## ١٠ - خطبة الرسول ﷺ يوم الحج الأكبر

- أيها الإخوة : في مثل هذه الأيام المباركات قام رسول الله ﷺ فخطب الناس، ووعظهم ، وبين لهم ما يحتاجون إليه لدينهم ودنياهم .
- ولقد كانت كلماته - عليه الصلاة والسلام- التي ألقاها على الناس وجيزة لا تكلف فيها ، تناولت أهم القضايا .
- وعند مراجعة خطبه ﷺ في أيام الحج نجدها تركّز على خمسة جوانب : الجانب الإيماني ، والاجتماعي ، والأسري، والسياسي ، والاقتصادي .
- ففي الجانب الإيماني : أكد الرسول ﷺ على الاعتصام بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، ففيهما الحق المطلق ، والهدى ، والفلاح في الدنيا والآخرة .
- كيف يضلُّ من تمسك بهما ؟ والرسول ﷺ يقول : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله وسنتي » .
- كما حذر الرسول ﷺ في الجانب الإيماني من أمر الجاهلية وثاراتها ، وتعظيمها للأباء والأجداد ، وما فيها من العادات والعبادات القبيحة والباطلة .
- إن منهج الإسلام يصوغ أصحابه صياغة جديدة كاملة، لا تُشبه أمر الجاهلية في شيء : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ .
- وفي الجانب الاجتماعي : حرّم الرسول ﷺ أعراض المسلمين بعضهم على بعض ، فلا يذكر بعضهم بعضاً إلا بالخير ، فلا غيبة ، ولا بهتان ، ولا ظلم .
- فالمسلم لأخيه كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، يدفع عنه الأذى ، ويسعى في حفظ كرامته من أن تُنتهك ، ويراعي حرمة .

- وفي الجانب الأسري : أكد على ضبط العلاقات الزوجية ، فأمر الرجال بالنفقة والكسوة والعشرة بالمعروف ، والوفاء بشروط النكاح .
- وأمر النساء -في الجانب الآخر- بالطاعة والالتفات إلى البيوت ، وعدم الإذن فيها إلا بأمر الزوج ، فإن خالفن كان التأديب المنضبط .
- وفي الجانب السياسي: حرّم الرسول ﷺ الدماء؛ فإن للمسلم كرامة عظيمة عند الله تعالى، فإن زوال الدنيا أهون عند الله من قتل امرئ مسلم .
- ولا شك أن تحريم الدماء عصمة من الفتن والحروب التي يمكن أن تُثار بين المؤمنين .
- وفي الجانب الاقتصادي : حرّم الرسول ﷺ الربا ، آفة الاقتصاد ، وسبب تلوّث الأموال ، فهو أعظم أسباب التخلف الاقتصادي .
- إن الإسلام بتحريمه الربا يعطي فرصة للجميع : صاحب المال ، والعامل ، يعطيهم فرصة للعمل والجد ، ويعرضهم جميعاً للربح والخسارة على حد سواء .
- وأما النظام الربوي فإن صاحب المال يقدمه بلا جهد ، وهو دائماً في ربح لاخسارة عليه ، وهذا ظلم للعامل الذي يتعرض للربح والخسارة .
- والإسلام قام على العدل وتحريم الظلم ، فلا بد أن يشترك الجميع في المغرم كما يشتركون جميعاً في المنعم .
- أيها الإخوة : هذه مجمل نصائح النبي ﷺ وتوجيهاته في أيام الحج، وهي آخر أيامه من الدنيا .
- فلنعرض هذه التوجيهات النبوية على حياتنا ، ولننظر إلى مدى موافقتنا لها ؟

\* \* \*

- أيها المسلمون : لقد أرسى رسول الله ﷺ في خطبته قواعد نظام الحياة التي بها يصلح حال الناس ، وتستقيم أمورهم .



- فهل أخذ المسلمون بنصائح نبيهم ﷺ أم هم عنها معرضون ؟
- أين المسلمون اليوم من كتاب ربهم وسنة رسولهم ﷺ ، في الدساتير ، والتشريعات ، وواقع الحياة العملية ؟
- كم هي مظاهر الجاهلية في حياة المسلمين اليوم في كثير من عاداتهم وعبادتهم ، وفي تقليدهم للكفار ؟
- ما هو حجم شعورنا بجرمة أعراضنا حين يسعى بعضنا في أذية بعض ، ضمن مسالك خلقية قبيحة مثل : الغيبة والنميمة والبهتان ونحوها ؟
- كم هو حجم تطبيقنا لأحكام الأسرة في حياتنا الزوجية ؟ فهذه المحاكم شاهدة على : المظالم الأسرية ، والتعسف في المطالبة بالحقوق ، والاستغلال غير المشروع بين الزوجين .
- أين هي حرمة الدماء في حياة المسلمين السياسية ، أليس المسلم اليوم رخيص الدم ، مستباح الحرمة ، يُقتل بالتهمة ، ويُحاسب على الظنة ، وربما أيبد المئات في الفتن الطاحنة ؟
- أين الواقع الاقتصادي من الإسلام ، هل بقي مال لم يخالطه الربا ، ما هو واقع التجارة في السلع المحرمة ، ما مدى مشروعية المعاملات والأنشطة الاستثمارية والتجارية ؟
- أين المسلمون اليوم من نصائح نبيهم ﷺ ؟
- إن مخالفة هذه النصائح النبوية هي سبب تقهقر المسلمين وتخلفهم وتفرقتهم ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، من الاستمسك بالحق والصبر عليه .
- اللهم أصلح أحوالنا ، واغفر ذنوبها ، وتول أمرنا يا أرحم الراحمين .

## ١١- تعظيم حرمة جوار البيت

- أيها المسلمون : لقد عرفت الإنسانية المؤمنة منذ فجر التاريخ عظمة مكة وحرمتها ، ومكانتها عند الله تعالى .
- وما زال الأنبياء يتوارثون حبها وتعظيمها وإجلالها ، فكم من نبيٍّ شَدَّ إليها رحله ، ملبياً ومهلاً ، وموحِّداً لله تعالى .
- ولقد استفاضت لدى الشعوب المؤمنة -في القديم والحديث- حرمة هذه البقعة المباركة ، حتى عَظَّمها مشركو مكة قبل البعثة النبوية .
- ثم جاء الإسلام ليؤكد هذه الحرمة والعظمة لهذه البلدة المباركة ، فينزل القرآن الكريم يقسم بها : ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ .
- ويأمر بتطهيرها من الشرك والرجس : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ .
- وينهى عن المعاصي فيها ، بل وينهى عن مجرد قصد السوء فيها : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .
- وحرَم الرسول ﷺ أن يُحْمَل فيها السلاح ، ونَبَّه المسلمين إلى حرمتها فقال : «إن هذا البلد حَرَمَةٌ اللهُ يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بجرمة الله إلى يوم القيامة» .
- ونهى عن الصيد فيها ، وقطع شجرها ، وأخذ لُقَطتها إلا لمنشد .
- ويربط الرسول ﷺ بين خيرية الأمة وتعظيمها للبيت فيقول : « لا تزال هذه الأمة بخير ما عَظَّموا هذه الحرمة حق تعظيمها ، فإذا تركوها وضَيَّعوها هلكوا » .

- أيها المسلمون : المسجد الحرام هو أول مسجد وضعه الله لعباده ، ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .
- عن أبي ذر رضي الله عنه قال : « قلت : يارسول الله : أي مسجد وضع في الأرض أول ؟ قال : المسجد الحرام ، قال : قلت ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت : كم كان بينهما ؟ قال : أربعون سنة » .
- وقد جعل الله تعالى أجر الصلاة فيه : مائة ألف صلاة ، وأذن لعباده بشد الرحال إليه للعبادة والنسك .
- وليس بقعة في الأرض أوجب الله على عباده الحضور إليها إلا مكة والمناسك التي بها وحوها .
- في مكة الكعبة المشرفة صرة الأرض ، فيها الحجر الأسود والمقام ، ياقوتتان من ياقوت الجنة ، عند الحجر تنحط الخطايا ، وعند الملتزم تسكب العبرات .
- في مكة ماء زمزم ، خير ماء على وجه الأرض ، فيه طعامٌ طعم ، وشفاء سقم .
- أيها المسلمون : مكة ملاذ المؤمنين ، وحصن الإيمان حين يُضيِّعه الناس في الأمصار ، فتبقى مكة شاخة بإيمانها ، يأوي إليها الإيمان كما تأوي الحية إلى جحرها .
- يأتي الدجال في آخر الزمان فيدخل البلاد كلها إلا مكة والمدينة ، قد حرمهما الله عليه ، فتكونان ملاذين لأهل الإيمان من فتنته .
- أيها المسلمون : مكة قبلة المسلمين أينما كانوا ، يتوجهون إليها بقلوبهم وأبدانهم ، ويحترمونها فلا يستقبلونها ببول أو غائط أو بزاق .
- لقد استقر في قلوب المؤمنين تعظيمها وحبها ، فهذا رسول الله ﷺ حين

- هاجر منها ، وقف ينظر إليها ويخاطبها فيقول : « ما أطيبك من بلد وأحبك إليّ ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك » .
- وكذلك المهاجرون ، فقد عانوا من فراق مكة حين هاجروا إلى المدينة ، حتى حَبَّبَ الله إليهم المدينة فسكنت نفوسهم .
- وكذلك أهل الإيمان في كل مكان وفي كل زمان : لا يريدون عوضاً عن مكة ، فالشوق إليها دائم متوقِّد ، وحبُّها قد عمر النفوس .
- اللهم حبب إلينا مكة ، وزدها حباً في قلوبنا ، وأدم مُقامنا فيها ، وارزقنا أدب الجوار ، واختم لنا فيها بالسعادة يا رب العالمين .



- أيها المسلمون : ما أسهل دعوى المحبة ، ولكن ما أصعب إثباتها ، فأهل الدعاوي كثير ، ولكن أهل الصدق فيها قليل .
- إن دعوى المحبة لمكة والتعظيم لها واحترامها ليست كلاماً يُقال بالأفواه ؛ وإنما هو فعلٌ نسلكه ، وحرمةٌ نتقيها ، وطريقةٌ ننهجها .
- أيها المسلمون : ما عَظَّمَ حرمة البيت من أكل فيه الربا، وشرب الخمر، وتعاطى أو رَوَّج للمخدرات .
- ما عَظَّمَ حرمة البيت من عَقِّ والديه ، وقطع رحمه ، وآذى جاره ، وسمح لنسائه بالتبرج والسفور .
- ما عَظَّمَ حرمة البيت من غش الناس ، واحتال في المعاملات ، واحتكر الطعام، وحمل السلاح على المسلمين .
- ما عَظَّمَ حرمة البيت من استغل الحجاج والمعتمرين ، وآذى المجاورين والعابدین .

- ما عَظَّم حرمة البيت من وضع على رأس بيته أطباق الفساد، يستمع وينظر إلى ما حرم الله تعالى .
- ما عَظَّم حرمة البيت من رأى المنكر فلم ينكر بيده ، ولا بلسانه ، ولا بقلبه .
- أيها المسلمون : من هم الذين يقعون في هذه المعاصي في مكة ، أليسوا هم أبناءنا وبناتنا ، وإخواننا وأخوتنا ، وجيراننا ، وعمَّالنا وتجارنا ، ألسنا نحن الذين نقع في هذه الأخطاء ، أليس من الواجب أن يتوجه كل منا إلى نفسه يعظها ويؤدبها ؟
- لماذا لا يقوم كلُّ منا فيعكف على أهل بيته ، ومن تحت يده : يصلحهم ويضبط سلوكهم .
- لو توجَّه كلُّ منا باللوم إلى نفسه لصلح حالنا ، وقلَّ فسادنا .
- لقد شَرَّفنا الله بجوار البيت فاعرفوا حرمة ذلك ، واستمتعوا بجواره قبل أن تحرموا ، فقد هُدم البيت مرتين ، وسوف يُرفع في الثالثة، والله تعالى المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

## ١٢ - باب الدعاء وفضله

- أيها الإخوة : باب من أبواب الخير ، وهو من أجلّ العبادات وأعظمها وأحبّها إلى الله تعالى ، لا يُغلق أبداً في ليلٍ ولا نهار.
- باب جليل عظيم فتحه الله للعباد ، يلجئون منه إلى حاجاتهم ورغباتهم ، يدخلون منه إلى ملك الملوك بلا واسطة .
- يدخل منه الفقير المعدم ، والمحروم المتعب ، والمظلوم المضطهد ، والمريض المنهك ، والمصاب الحزين ، لا يرُدُّهم أحد .
- إنه الباب الوحيد الذي ليس عليه حرس ولا بوّابون ولا حَجَبَة ، إنه باب الدعاء أكرم العبادات عند الله تعالى .
- يقول الرسول ﷺ عن فضله : « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » ، فهو مخ العبادَة ، بل هو العبادَة بعينها .
- وفي الحديث قال رسول الله ﷺ : « الدعاء مخ العبادَة » .
- وقال أيضاً : « الدعاء هو العبادَة » .
- والدعاء سلاح المؤمن البتّار في وجه كل ظرف قاس ، أو حال غير مرغوب فيها ، أو ضيق ، أو ظلم ، أو إخفاق في الحياة ، أو ذنب يقع فيه العبد .
- لقد كان الدعاء هو باب أيّنا آدم عليه السلام وزوجه إلى الفرج حين وقعوا في الخطأ : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .
- هو باب أيّنا إبراهيم عليه السلام لحماية ولده وزوجه وعمارة مكة : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيِّ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا

لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ .

- ولقد كان الدعاء وسيلة زكريا عليه السلام للذرية : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ .

- ولما ضاق الأمر بالرسول ﷺ حين تأمرت قريش على قتله دعا ربه : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ ، فكان الفرج بعد ذلك من الله تعالى بتيسير أمر الهجرة المباركة إلى المدينة .

- ولما ضاقت السبل بالثلاثة أصحاب الغار ، وأيقنوا بالهلاك : كان الدعاء وسيلتهم للخروج والنجاة .

- أيها المسلمون : إن الدعاء من العبادات التي اختص الله بها وحده دون سواه ، وأمرنا بها ، وحثنا عليها ، وهدد المعرضين عنها .

- قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ .

- ويقول الرسول ﷺ : « من لم يدع الله غضب عليه » .

- وقال أيضًا : « سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يُسأل » .

- وصدق الشاعر إذ يقول :

الله يغضب إن تركت سؤاله      وبني آدم حين يُسأل يغضبُ

- أيها المسلمون : للدعاء شروط لا بد من توافرها لقبوله ، فإن الشخص يُحرم الإجابة لخلل ما في دعائه أو معتقده أو سلوكه .

- ومن أهم شروط قبول الدعاء : الإخلاص لله تعالى ، والبراءة من الشرك

كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

- والنبي ﷺ يقول : « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » .
- ومن شروطه أيضاً : سلامة المطعم ؛ فإن دعاء العبد تُغلق دونه أبواب السماء بسوء الطعمة ، التي يقذفها في بطنه من الحرام .
- والنبي ﷺ يقول : « والذي نفس محمد بيده : إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه : ما يتقبل منه أربعين يوماً ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به » .
- ومن شروطه أيضاً الاستقامة على طاعة الله ؛ فإن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وفي الحديث القدسي يقول الله عن أوليائه المتقين : « ولئن سألتني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه » .
- ومن شروط قبول الدعاء أيضاً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ فإن الأمة إذا تواطأت على تركه : حرمهم الله إجابة الدعاء ، وفي الحديث : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونني فلا يُستجاب لكم » .
- ومن شروطه أيضاً : عدم الاعتداء في الدعاء ؛ كالدعاء بالإثم ، وقطيعة الأرحام ، والهلاك ونحوها ، من الدعاء المتضمن لمعاني الاعتداء .
- واعلموا أن الله يستجيب : للصالح من الناس ، والمضطّر ، والصائم ، والمسافر ، والحاكم العادل ، والوالد ، والمظلوم ، وللرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب ، كما يستجيب في وقت السحر ، وآخر ساعة من يوم الجمعة ، وبين الأذان والإقامة ، وفي دبر الصلوات ، ويستجيب للداعي في حال غفلة الناس وهوهم .



- أيها المسلمون : لا بد للداعي أن يحرص على هذه الشروط ، وأن يزيد عليها آداب الدعاء ، ومن أهمها : الوضوء ، واستقبال القبلة ، ورفع اليدين ، والإلحاح والتضرع ، والحذر من رفع الصوت ؛ فإن الله يقول : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ .
- وليحذر المسلم الدعاء حال النعاس ، وفي الركوع ، وحال القيام في الصلاة للقراءة ، وعند قضاء الحاجة فهذه مواضع لا دعاء فيها .
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ، فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

\* \* \*

- أيها المسلمون : يقول الرسول ﷺ : « في الليل ساعة لا يسأل الله فيها عبدٌ مسلم شيئاً إلا أعطاه الله ، وذلك كل ليلة » .
- وقد سأل نبي الله داود جبريل عليهما السلام فقال : « يا جبريل أيُّ الليل أفضل ؟ قال : يا داود لا أدري إلا أن العرش يهتز من السحر » .
- ويقول الرسول ﷺ عن هذه الساعة : « ينزل الله عز وجل كل ليلة إلى سماء الدنيا ، فيقول : من الذي يدعوني فأستجيب له ، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له ، من ذا الذي يسترزقني فأرزقه ، من ذا الذي يستكشف الضر فأكشفه عنه ، حتى ينفجر الفجر » .
- ويقول أيضاً : « إن الله عز وجل يفتح أبواب السماء لثلث الليل الباقي ، ثم يهبط إلى السماء الدنيا ، ثم يبسط يده ، ثم يقول : ألا عبد يسألني فأعطيه ، حتى يسطع الفجر » .
- وفي رواية أخرى : « ألا سائل يُعطى ، ألا داع يُجاب ، ألا سقيم يستشفى

- فيُشفي ، ألا مذنب يستغفر فيُغفر له .
- أيها المسلمون : إن من أرذل مسالك الدعاء : استعجال الإجابة ، كأنما يختبر الرجل ربّه ، يقول : « قد دعوت ربي فلم يستجب لي » .
- وهذا لا شك قبيح ؛ فإن الله حيي كريم ، يستحي أن يرفع العبد إليه يديه فيردّهما صفراً خائبين .
- ولهذا فإن العبد حين يدعو بخير فإنه بين إحدى ثلاث : « إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يؤخرها له في الآخرة ، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها » ، فهو على خير في كل أحواله ، ما فاته شيء .
- ثم إن مقامه على باب الله تعالى يسأله : خير له من انصرافه بمسألته ، فهو على خير مادام في دعاء دون ملل ؛ فإن من فتح الله له باب الدعاء فقد فتح له باب الخير والمغفرة ، وفي حديث : « من أذن له بالدعاء : فتح له أبواب الرحمة » .
- ولهذا كان همُّ السلف في الدعاء أكثر من همّهم في الإجابة ؛ فإن أعجز الناس من عجز عن الدعاء .
- اللهم عافنا واعف عنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وانصرنا ولا تنصر علينا ، أنت مولانا فنعم المولى ونعم النصير .

## ثالثاً : التربية الأخلاقية:

- ١- خصال أهل الخير .
- ٢- صفات الإنسان الصالح .
- ٣- سلوك المسلم بين الصغائر والكبائر .
- ٤- خلق المسلم بين الحلم والغضب .
- ٥- خلق الإيثار .
- ٦- ذم الغيبة وقبيح مسلكها .
- ٧- مقام الصبر في الإسلام .
- ٨- الوصايا العشر في سورة الأنعام .
- ٩- الجريمة المعاصرة والحاجة إلى الأمن .
- ١٠- منكرات الصيف .
- ١١- مسؤولية الكلمة .
- ١٢- ماذا يريد الإعلاميون من الناس ؟



## ١ - خصال أهل الخير

- أيها المسلمون : لقد ارتبطت الخيرية بأمة الإسلام ارتباط الروح بالبدن، فالخير أصيل فيها، لا ينفك عنها إلى آخر الدهر.
- إلا أن هذا الخير قد يزيد أحياناً وقد ينقص أحياناً أخرى ، بقدر التزام الأمة بدينها: شريعة وعقيدة.
- يقول الرسول ﷺ عن فضل هذه الأمة على غيرها : « ألا إنكم توفون سبعين أمة ؛ أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل ».
- وقد خصَّ الله عز وجل بمزيد فضل أهل القرون الثلاثة الأولى من هذه الأمة ، فقد قال الرسول ﷺ : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ».
- وخصَّ الله أهل بدر من هذه القرون فقد قال الرسول ﷺ : « لعل الله أطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم ، فقد وجبت لكم الجنة ».
- كما خصَّ أهل الحديبية بالفضل فقد قال لهم الرسول ﷺ : « أنتم خير أهل الأرض ».
- أيها المسلمون : لقد أئصف أهل الخير من هذه الأمة بسبع خصال، هي مدار الخيرية وركائزها:
- الخصلة الأولى : الإيمان بالله تعالى ومحبه، فقد عمرت قلوب الصالحين محبة الله، بعد الإيمان به على الوجه الذي يرضى عنه، فكانت العبادة ، والذكر، والتوبة، والإنابة، والخشية: ثماراً لهذا الإيمان، وهذه المحبة الراشدة.
- الخصلة الثانية : الإيمان بالرسول ﷺ ومحبه واتباعه، فلا أحد أحب إلى أهل الخير من رسول الله ﷺ ؛ فإن أحدهم ليفديه بنفسه وماله وولده، وإن

- أحدهم ليتمنى أن يراه في المنام ، ولو كان ذلك مقابل فقداه أهله وماله .
- الخصلة الثالثة : التقوى التي تكفُّ صاحبها عن المحرمات، وتعينه على القيام بالواجبات، إنها التقوى التي استقرت في القلوب، ثم انعكست آثارها على الجوارح استقامةً وصلاحاً، حتى إن أهل الخير ليدعون كثيراً من الحلال خوفاً من الوقوع في الحرام.
- الخصلة الرابعة : الالتزام بحسن الخلق : الصدق، والأمانة، والإيثار، والإحسان، والوفاء، والأدب، والكرم، ونحوها مع الحذر من : الحسد، والغل، والحقد، والبغى، والكذب، والغيبة، والنميمة، ونحوها ، لقد ضرب أهل الخير أفضل مَثَلٍ للالتزام بالأخلاق الحسنة، والحذر من الأخلاق الرديئة، متمثلين قول الرسول ﷺ : « إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً »، ولئن كانت العقيدة هي صورة الإنسان الباطنة فإن الأخلاق صورة الإنسان الظاهرة.
- الخصلة الخامسة : الزهد في الدنيا وملذَّاتها وشهواتها، فليس عند أهل الخير ما عند أهل الدنيا من التكالِب عليها، والطمع فيها، فقد كانت الدنيا عندهم أهون شيء، لا يقدِّمونها على شيء من دينهم؛ ولهذا جاءتهم راغمة ، فكانت في أيديهم وليست في قلوبهم.
- الخصلة السادسة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله، لقد أدرك أهل الخير أن وظيفة الأنبياء في الدعوة إلى الله قد انتقلت إلى هذه الأمة، فانطلقوا يجوبون الدنيا يدعون إلى الله تعالى ، يرشدون الضال، ويوقظون الغافل، ويهدون الحائر، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.
- الخصلة السابعة : الجهاد في سبيل الله، فهو أسمى ما يتمناه أهل الخير؛ لما في الشهادة من الفضل والمكانة عند الله تعالى ، فخرجوا من بيوتهم وبلادهم يفتحون الأمصار، ويقيمون الحق، ويزهقون الباطل، يخرجون الناس -

بإذن الله - من ظلمات الكفر إلى نور الهداية، حتى ساد أهل الخير من القرون المفضلة الدنيا ، فكانوا السادة والقادة.

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ .

\* \* \*

- أيها المسلمون : إذا كانت هذه خصال الخير عند أهل الخير : فكم هو حظنا منها، أفراداً وجماعات ومؤسسات ؟

- كم هو حظنا من الإيمان الصادق بالله وبرسوله ﷺ، هل فعلاً الله ورسوله ﷺ أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا ؟

- كم هو نصيبنا من التقوى التي تدفعنا للقيام بالواجبات، وتكفنا عن المحرمات ؟

- كم هو نصيبنا من الأخلاق الحسنة في مقابل الأخلاق السيئة ؟

- كم هو حجم محبة الدنيا في نفوسنا، والتعلق بها، وملذاتها وشهواتها ، في مقابل تعلقنا بالآخرة والجنة ؟

- أين واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياتنا، كم هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر في المجتمع كما أمر الله تعالى ؟

- أين أعلام الجهاد في سبيل الله التي تردع الكافرين، وتعز المسلمين ؟ .

- إنها الخصال التي لا بد منها لنيل الخيرية.

## ٢ - صفات الإنسان الصالح

- أيها المسلمون : تختلط المفاهيم في أذهان بعض الناس، فلا يعرف كيف يميّز بين الإنسان الصالح وغيره من أهل الفساد.
- فتراه من شدة اختلاطه يصف الإنسان الصالح بالفساد، ويصف الإنسان الفاسد بالصالح.
- ليس له مقياس يميّز به، والله عز وجل يقول: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ .
- ويقول أيضاً: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾ .
- ويقول أيضاً: ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .
- إن الفارق بين أهل الصلاح وأهل الفساد واضح بين، لا يخفى إلا على من انتكست فطرته ، وذهب نور عقله ، وضعفت بصيرته.
- إن الإنسان الصالح هو المؤمن بالله تعالى المصدّق بالكتب، وبما جاءت به الرسل الكرام عليهم السلام .
- إنه المؤمن بمحمد ﷺ خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، يحبه ويتّبعه، ويدافع عن سنته.
- إن الإنسان الصالح هو التقى في نفسه، المستقيم في سلوكه، القائم بالواجبات، المجتنت للمعاصي والمنكرات.
- إنه شجاع في غير تهور، وعزيز في غير تكبر، ومتواضع في غير مهانة، وكريم في غير إسراف.



- إنه رحيم بالناس، عطوف على أهله وولده، رقيق في معاملاته وعلاقاته، لا يؤذي أحداً.
- إنه كثير الحلم، يصفح ويعفو ويتسامح، ويتجاوز عن المعسر، ويقبل العذر من المسيء.
- إن الإنسان الصالح هو المحب للخير، المبغض للشر، يسعى بالخير للناس، ويخشى الإساءة إلى أحد.
- إنه الكاره للفخر والخيلاء، لا يحب الكبر ولا المتكبرين، متواضع في مشيته ولباسه، لا يتميز عن الناس في المباحات.
- إنه البارُّ بوالديه، المحسن إليهما، يصل رحمَه، ويبرُّ أقاربه، يحسن للمحسن، ويصبر على المسيء.
- إنه صاحب إرادة قوية، وعزيمة صادقة، لا يكلُّ من فعل الخير، ولا يملُّ من الطاعات والصالحات.
- كريم لا يبخل بالنفقة الواجبة، يعطي المسكين، ويكرم اليتيم، ويحسن إلى الأرملة والفقير.
- يشارك الناس في أفراحهم وأحزانهم، يفرح لفرحهم، ويحزن لحزنهم، قد لان قلبه للمسلمين.
- إن الإنسان الصالح هو المهتم بأمر المسلمين في كل مكان، يتحرَّق لمصائبهم، ويسعد بانتصاراتهم.
- إنه يُحبُّ في الله ويُبغض في الله، يحبُّ المؤمنين، ويبغض الكافرين، يوالي في الله، ويعادي في الله.
- يُبغض الظلم والظالمين، ويحب العدل والعادلين، لا يظلم أحداً حتى وإن كان أبغض الناس إليه، ولا يجابي أحداً حتى وإن كان أحب الناس إليه.

- يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في حكمةٍ وصبر، ولا يخاف في الله لومة لائم.
- يراعي خلاف الفقهاء، ويحترم اجتهادات العلماء، ولا يرضى لنفسه بغير الراجح من الأقوال.
- إن الإنسان الصالح عظيمُ الثقة بالله تعالى ، يتفاءل ولا يتشاءم، يأمل الخير، ولا ييأس من رحمة ربه.
- إذا أصابته سراءٌ شكر، وإذا أصابته ضراءٌ صبر، فهو على خير في كل أحواله لا يقنط أبداً.
- إذا حدث صدق، وإذا وعد أنجز، وإذا ائتمن وفى، وإذا خاصم حلّم.
- إنه حريص على حفظ سمعه من الباطل، وعلى غض بصره عن العورات، وكفّ لسانه عن الشتائم وفاحش القول.
- إذا أذنب استغفر، وإذا أخطأ اعتذر، لا يصرُّ على المعصية، ولا يستكبر عن الاعتذار.
- يجب العمل والاجتهاد، ويكره الكسل والإحباط، يتقى الحرام في مأكله ومشربه، ويتجنّب الشبهات في معاملاته.
- يجب العلم والعلماء، ولا يشبع من المعرفة، يحترم الوقت ولا يضيّعه، فهو على خير في كل أحواله.
- حريص على صحة جسمه، وطهارة لباسه، في غير هلع، أو تكلف، أو إسراف.
- أيها المسلمون: هذا هو الإنسان الصالح كما صورّه القرآن الكريم، وكما وصفه رسول الله ﷺ.

- أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

\* \* \*

- أيها الإخوة : كم هو قبيح أن يعيش أحدنا في المجتمع لا يميّز بين أهل الخير وأهل الشر، لا يعرف الصالح من الفاسد.

- فكم شاهدنا في المجتمع من يصف أهل الصلاح بالفساد، ويصف أهل الفساد بالصلاح، لا يميّز بينهما.

- يرى الرجل يفعل الخير ويسارع فيه فيصفه بالفساد ، ويطعن في مقصده ، ويرى الرجل يفعل الشر ويسارع فيه ، ومع ذلك يزكّيه ، ويزعم أنه حسن النية والقصد.

- ولا يفهم من هذا أن الصالح من الناس معصوم من الخطأ، ولكنه يمتاز عن غيره بثلاث خصال : لا يجاهر بالمعصية ، ولا يصرُّ عليها ، ويغلب عليه الخير في أحواله ، فمن كان حاله هكذا فهو من أهل الخير إن شاء الله تعالى.

### ٣ - سلوك المسلم بين الصغائر والكبائر

- أيها الإخوة : لقد جُبلت النفس الإنسانية على الوقوع في الخطأ، وارتكاب المعصية، والانزلاق في المحذور ، وعدم الانضباط في كثير من الأحوال.
- فليس من إنسان إلا وله من الهفوات والأخطاء، تكثر أحياناً وتقل أحياناً؛ وذلك بقدر ما معه من الإيمان والتقوى.
- ولا يكاد أحد ينجو من المعاصي إلا أنبياء الله الكرام، ورسله العظام عليهم جميعاً الصلاة والسلام ؛ لما صانهم الله به من العصمة والحفظ.
- وفي الحديث يقول الرسول ﷺ : «كل ابن آدم خطاء»، يعني ليس أحدٌ منهم من غير المعصومين إلا وقد جُبل على الخطأ.
- وهذه الأخطاء التي يقع فيها بنو آدم على نوعين: أخطاء متعمدة، يقع فيها أصحابها وهم يعلمون حرمتها ، وما فيها من الإثم.
- فيغلب على أحدهم الهوى، أو تسوقه الشهوة فيقع فيما حرم الله عليه، فيبوء بالإثم والخطيئة، ويكون مستحقاً للعقوبة.
- وأما النوع الثاني فأخطاء غير متعمدة ولا مقصودة، يقع فيها أصحابها بسهو أو جهل أو غفلة، لا يتعمدون السوء ولا المعصية.
- وربما وقع أحدهم في المعصية مكرهاً لا يتقصّد السوء، وإنما أُلجئ إلى ذلك إلجاءً، لا نية له في معصية الله تعالى .
- فهؤلاء وأمثالهم قد عفا الله عنهم، ففي الحديث قال رسول الله ﷺ : «إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكْرهُوا عليه» ، وهذا من فضل الله تعالى ورحمته بعباده.
- ثم إن المعاصي والأخطاء التي يقع فيها أصحابها متعمدين ومتجرئين على

- حدود الله تعالى تدرج - هي الأخرى - في نوعين:
- النوع الأول: الكبائر، وهي ما توعدَّ الله أصحابها بالعذاب، أو وضع لها حداً شرعياً، أو لعن مرتكبها، أو نفى عنه الإيمان.
  - وهذه الكبائر لا بد لها من التوبة النصوح، ليس لها كفارة إلا هذه، حتى وإن أقيم على صاحبها حدٌ شرعي؛ إذ لا بد من التوبة، ومن مات مُصراً على شيء منها، كان تحت المشيئة، إن شاء الله تعالى عذبه، وإن شاء غفر له.
  - وأما عدد الذنوب الكبائر فهو كثير، لا يجمعها عدد معين، فالكبائر إلى السبعين بل إلى السبعمئة: أقرب منها إلى السبعة المذكورة في الحديث.
  - وأما النوع الثاني من المعاصي التي يقع فيها أصحابها متعمدين فهي الصغائر، التي وعد الله بالتجاوز عنها إذا اجتنب أصحابها الكبائر.
  - كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلِكُمْ مَدْخَلَ كَرِيمًا﴾.
  - وقال أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾.
  - وقال أيضاً: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾.
  - فهذا وعدٌ صريح أكيد من الرب الكريم لمن اجتنب الكبائر أن يغفر الله تعالى له الصغائر، ويتجاوز عنها.
  - فالصلوات الخمس والجمعة ورمضان والحج والعمرة كلها كفارات للصغائر من الذنوب، بشرط الاستغفار وعدم الإصرار أو الاستحلال.
  - فإن الذنب الصغير يصبح كبيراً إذا استحله صاحبه، أو أصرَّ عليه، ولم يُبالِ

- بالوقوع فيه، ولم يتبعه باستغفار أو صدقة أو توبة.
- وأما عدد الذنوب الصغائر فإنه لا يحصرها عدد لكثرتها وتشعبها، فمنها: النظرة بشهوة إلى الصور المستحسنة، وكذب المزاح، والشتيمة، والكلمة السخيفة البذيئة، واللغو والثرثرة، وسماع الملاهي والمعازف، ونحوها من الصغائر المستقبحة.
- والمسلم الصالح إن وقع في شيء من ذلك فإنه يستغفر الله، فإن فعل ذلك فإن الله يغفر له وإن عاد في اليوم سبعين مرة.
- وإنما المشكلة في الإصرار على الصغيرة وعدم الاستغفار، فمن أصر ولم يستغفر أو شك أن يستحل الذنب والعياذ بالله.
- وفي الحديث يقول الرسول ﷺ: « كل أمتي معافى إلا المجاهرون، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، فيصبح يكشف ستر الله عنه».
- فاتقوا الله أيها الناس، وتنبهوا لأعمالكم، واحرصوا على ما يكفر الله به الذنوب والخطايا، وأكثروا من الاستغفار فإن الله غفور رحيم.

\* \* \*

- أيها المسلمون : لقد ذكر الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ : جمعاً من الذنوب الكبائر التي توعد أصحابها بأليم العقاب.
- مثل: الشرك بالله، وقتل النفس المحرمة، وتعاطي السحر والكهانة، وترك الصلاة، والامتناع عن أداء الزكاة، والإفطار في نهار رمضان، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والزنا، واللواط، وشرب الخمر، والفرار من أرض المعركة، والقمار، والسرقه، وشهادة الزور، والرشوة،

- والرياء، والغيبة، والنميمة، والنياحة، وغيرها.
- أيها الإخوة : هذه الجرائم الكبار، التي توعدّ الله أصحابها بشديد العقاب: ماذا بقي منها لم يقع فيه المسلمون المعاصرون؟!؟
- ماذا بقي من كبائر الذنوب والموبقات لم يجاهر به المسلمون اليوم؟
- ماذا يفعل الناس من الكبائر المحرمة في الأندية والمسارح ودور اللهو؟
- ماذا يفعلون بأموالهم في البنوك؟!؟
- ما هو موقف الأغنياء من الزكاة ؟
- وما هو حال السحرة والمشعوذين في ديار المسلمين؟
- بل ما هو حال بعض المسلمين عند القبور والأضرحة، حين لا يفرّق أحدهم في الدعاء والرجاء والاستغاثة : بين الله جلّ في علاه ، وبين شخص مدفون تحت الثرى ؟
- إنها الجرائم الكبار، التي لا يبقى معها خير، ولا يندفع مع وجودها شر.
- فاتقوا الله في أنفسكم، واعلموا أن الله يهمل ولا يهمل ، فإذا أخذ المذنبين المصرّين : فإن أخذه أليم شديد.

## ٤ - خلق المسلم بين الحلم والغضب

- أيها الإخوة : ليس من أحد إلا وقد ركب الله فيه قدراً من القوى الغضبية المستكنة في داخل القلب ، استكانة النار في الرماد.
- فإذا استثير الإنسان: تهيّجت هذه القوة في القلب، واستحالت وقوداً مشتعلًا: تدفع بالجوارح نحو المثير للانتقام منه.
- فترى الغاضب وكأنه جمره متوقّدة، أو شعلة من نار تتوهّج من شدة غليان قوى الغضب في قلبه.
- وإلى هذا الحدّ فإن المسلم لا يَأثم بهذا الغضب ولا يُثاب عليه ، حتى يُرى سلوكه بعد ذلك.
- فإن كان غضبه لله تعالى : يدفع عن دينه ، أو عرضه، ينصر الحق، ويدفع الباطل فهو غضب محمود يُثاب عليه.
- فلا بأس حينئذٍ أن يظهر غضبه نصرةً للدين، ودفاعاً عن الحق، يؤدّب الظالم، ويدفع المعتدي، ويحق الحق الذي يحبّه الله تعالى.
- وأما إن كان سبب غضبه من أجل حظّ نفسه، دافعه - في ذلك - الكِبْرُ والزهو والعُجب، فواجبه كظم غيظه، والتذرُّع بالحلم.
- فإن ضبط نفسه، وملك زمام جوارحه، ونظر إلى ما عند الله من عظيم الأجر: فإنه مثاب على ذلك ، مأجور على حلمه.
- وفي الحديث قال الرسول ﷺ : «من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه : دعاه الله على رؤوس الخلائق، ويخيّره من أي الحور شاء».
- وفي الحديث أيضاً: «ما جرّع عبد جرعةً أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله عز وجل».



- أما إن هو استرسل مع شهوة الغضب، يدفع عن حظ نفسه، فرداً على من ظلمه بقدر مظلمته : فلا له ولا عليه، لا أجر ولا إثم.
- وأما إن هو استطال في عرض خصمه، وتجاوز الحدود، وضاعف العقوبة: فإنه يأثم بقدر استطالته وتعديّه على خصمه.
- أيها الإخوة: إن الغضب حين لا يكون لله، ولا يعرف صاحبه كيف يتحكّم فيه، فيضعه في مواضعه، فإنه يصبح وبالاً عليه.
- فترى الغاضب المتهيج حين يفقد صوابه : يندفع نحو خصمه بالسب والشتيمة، وفاحش القول.
- وربما تناوله بيده أو بسلاحه ليشفي نار قلبه المتوقّدة، فإذا لم يتمكّن من خصمه : انتقم من أي شيء أمامه.
- فتراه ربما ضرب الناس من حوله ، أو حطّم الأشياء، يبرّد بذلك حرّاً ما يجده في نفسه، فإن لم يجد ما يبرّد به نفسه توجه إلى ذاته يحطّمها : يضرب نفسه، أو يشق ثوبه ، أو يفسد ممتلكاته.
- كم من أسرة هُدّمت وتقوّضت أركانها بسبب غضبة لا مبرر لها، فطلّق الزوجة، وشرّد الأولاد، ثم جلس نادماً.
- فتراه يهرع هنا وهناك يبحث عن مُفْتٍ يعيد له زوجته المطلّقة ، ويحيي له داره المهْدّمة ، وقد كان الخيار بيده قبل أن يقول ما قال حال غضبه.
- إن الرجل يملك الكلمة، حتى إذا نطق بها : ملكته، فأصبح أسيراً لها.
- وكم نال سيف الحق من رقاب الغاضبين حين انطلقوا ثائرين ينتقمون من خصومهم، فأتي بهم فاقتصّ منهم.
- يغضب أحدهم الغضبة فينطلق إلى سلاحه ويقتل خصمه، وما هي إلا أيام حتى يُؤتى به في ساحة العدل فيقتل بالسيف والناس ينظرون.

- كم من صديق فقد صاحبه في ساعة غضب حضرها الشيطان، فإذا بهما ينطلقان يضرب كل منهما صاحبه بجذائه، فكانت عداوة بعد صداقة إلى يوم القيامة.
- وكم من رحمٍ قُطعت في موقف غضب غاب فيه العقل، واستحكم فيه الهوى، فقام العقوق مقام البر، وقامت القطيعة مقام الصلة.
- أيها الإخوة: كم من أناس فقدوا وظائفهم وأموالهم وأنفسهم بسبب الغضب، حين لا يكون الغضب لله تعالى وفي موضعه.
- أمّا كان يستطيع أحدهم حين يغضب أن يسكت، أو يتوضأ، أو يستعيذ بالله من الشيطان، أو أن يترك المكان الذي وقعت فيه الخصومة.
- لماذا لا يستحضر الغاضب المنتقم قدرة الله عليه، وعظيم انتقامه، وشدة بطشه، فإنه إن استحضر ذلك سكن غضبه.
- إن الخوف من الله ألجم الصالحين حتى ملكوا زمام أنفسهم، فتعلّموا الحلم، وتدرّبوا عليه، كما يتعلّم صغار الصبيان القراءة والكتابة.
- لقد أدرك الصالحون: أن أقلّ الناس غضباً: أكثرهم علماً وعقلاً، وأن دعامة العقل الحلم والأناة، ولا خير في علم بلا حلم.
- يقول الرسول ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».
- ويقول ﷺ أيضاً: «إن الشديد كلّ الشديد، الذي يملك نفسه عند الغضب».
- ويقول ﷺ: «ألا أدلّكم على أشدّكم؟ أملككم نفسه عند الغضب».

\* \* \*

- أيها المسلمون: يقول الله تعالى موجّهاً نبيه ﷺ، والصالحين من بعده: ﴿ خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾.

- لقد وجدت هذه الآية الكريمة صداها في سلف هذه الأمة، فهذا رسول الله ﷺ ، يجذبه الأعرابي بردائه، حتى يؤثر ذلك في صفحة عنقه الشريف، فما يزيد على أن يتسم في وجهه، ويأمر له بالعطاء.
- ولما طعن بعضهم في قسمته الغنائم ، وقالوا: «ما أريد بهذه القسمة وجه الله»، قال الرسول ﷺ : «رحم الله موسى فقد أُوذي بأكثر من هذا فصبر».
- ولما وضعت له المرأة اليهودية السُّمَّ في الطعام، وسألها عن ذلك ، فقالت بكل وقاحة وجراءة : «أردت أن أقتلك » ، فما زاد - عليه الصلاة والسلام - على أن عفا عنها.
- شتم رجل أبا بكر رضي الله عنه ، فقال له: «ما ستره الله عنك أكثر».
- وشتم رجل ابن عباس رضي الله عنه ، فقال: «يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضها عنه؟» ، فنكس الرجل رأسه واستحى.
- وشتم رجل الشعبي رحمه الله فقال له : « إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك ».
- أيها الإخوة: إن انتزاع الغضب بالكلية من نفوسنا أمر مستحيل، وإنما المطلوب تهذيبه وتوجيهه.
- والرسول ﷺ - مع عظيم مكانه - كان يغضب، ويُعرف ذلك في وجهه، إلا أنه لا يخرج الغضب عن كريم خلقه، فلا يقول ولا يسلك إلا في الحق، وكان كثيراً ما يقول: «إنما أنا بشر ، أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر».
- بل إن الشخص الذي لا يغضب مطلقاً، لاسيما حين تنتهك حرمة الله تعالى فهذا لا خُلِقَ عنده، وهذا - في الحقيقة - نقص في شخصيته ، وبلادة في طبعه.

- أيها الإخوة : مشكلة الغضب يمكن أن تحل بثلاثة أمور:
- الأول : أن نتعاون فيما بيننا، فلا يُغضب أحدنا صاحبه، ولا أخاه، ولا أباه، ولا أمه، ولا جاره.
- الثاني : العزم على ألا نغضب لأنفسنا، ونجعل غضبنا لله تعالى ، ونضعه في مواضعه، ولا نخرج به عن حدِّ العدل.
- الثالث : إقامة الحق والعدل بين الخصوم، وإعطاء كلِّ ذي حقِّ حقه ؛ فإن الظلم من أشدِّ مثيرات الغضب.
- اللهم ارزقنا الحلم والعلم، ووفقنا إلى كلمة الحق في الرضا والغضب، وألِّفْ بين قلوبنا، واهدنا سبل السلام يا أرحم الراحمين.

## ٥ - خلق الإيثار

- أيها الإخوة : خُلِقَ كريم وجليل، يحبه الله ورسوله ﷺ ، وحثَّ عليه الإسلام، ورغَّب فيه ، إنه خلق الإيثار.
- وهو أن تقدِّم الناس على نفسك في أمر الدنيا، بما لا يضرُّك في دينك، وهو أعلى درجات السخاء.
- إن البذل من الكثير أمر سهل، ولكن العسير الصعب هو البذل من القليل، ومما تميل إليه النفس وتحرص عليه.
- لقد جُبل الإنسان على حبِّ الذات، والحرص على الدنيا، والاستكثار من الممتلكات.
- وقليل هم الذين يقدِّمون مصالح الآخرين على مصالحهم، حتى إنهم من قلَّتْهم لا يكادون يُعرفون في المجتمع.
- وأما أصحاب الأثرة والحرص، والتكالب على الدنيا، فهم أكثر بكثير من أن يعدُّوا أو يُحصروا.
- ومن المعلوم عند العقلاء: أن الأشياء إذا كثرت رخصت، وإذا قلت غلَّت.
- فما أغلى أهلَ الإيثار، في عصر قلَّ فيه أمثالهم، وندر أشباههم، كأنهم نجوم النهار ، لا يُبصرها أحد.
- ولقد ضرب لنا سلف هذه الأمة الأمثلة الرائعة في الإيثار، مما لا يكاد يصدِّق.
- فقد عجب الله لصنيع بيت من الأنصار ، آثروا ضيفاً بطعامهم، وباتوا جائعين، يبتغون بذلك وجه الله.
- وكان الأشعريون - زمن النبي ﷺ - إذا فقدوا الطعام: جمعوا ما بقي منه،

- وجعلوه في ثوب واحد، ثم اقتسموه فيما بينهم بالسوية.
- وكان الرسول ﷺ يقول في مدحهم حين بلغه شأنهم هَذَا : «هم مني وأنا منهم».
- وكان كثيراً ما يقول ﷺ : «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية».
- ولما قدم المهاجرون المدينة، وقد صادرت قريش أموالهم: ناصفهم الأنصار أموالهم وأثروهم على أنفسهم.
- حتى إن سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه عرض نصف ماله وإحدى زوجتيه على عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه ليختار منهما أعجبهما إليه ، فيطلقها ليتزوجها.
- وكان أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه من أكثر الأنصار مالاً، فتبرع لأبناء عمومته بأحب أمواله إليه ، وهو بستان عظيم بالمدينة.
- وكان قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما من أغنى الناس وأجودهم، وكان كثيراً ما يداين الناس، فمرض مرة، فلم يزره أصحابه، ولم يعودوه في مرضه، فتعجب وسأل عنهم، فقالوا : « نستحي أن نزورك ولك علينا ديون »، فقال: « أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة »، ثم أمر منادياً ينادي: «من كان لقيس عليه مالٌ فهو في حل، فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه من كثرة من عاده».
- ولما طعن عمر رضي الله عنه ، وشعر بالموت : أحب أن يُدفن مع صاحبيه في حجرة عائشة رضي الله عنها ، فقالت : «كنت أريده لنفسى، فلأوثرته اليوم على نفسي»، فدُفن مع صاحبيه، ودفنت هي بالبقيع مع باقي زوجات النبي ﷺ .

- وربما مرَّ المسكين بجرة عائشة رضي الله عنها فيسأل فتعطيه إفطارها.
- اشتهى مرةً عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عنباً، فلما أحضرَ عنده، فإذا بسائل يسأل، فأعطاه العنب، ولم يأكل منه شيئاً.
- وقد حكى الحسن البصري رحمه الله أنه أدرك أقواماً يتصدَّقون بنصف أقواتهم الضرورية على مَنْ هم أقلُّ حاجة منهم.
- عن حذيفة العدوي قال: «انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمِّ لي، ومعني شيء من ماء، فإذا أنا به، فقلت: أسقيك؟ فأشار إليَّ: أن نعم، فإذا رجلٌ يقول: آه، فأشار ابن عمي إليَّ أن انطلق به إليه، فجئته، فإذا هو هشام بن العاص، فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر، فقال: آه، فأشار هشام: انطلق به إليه، فجئته، فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات».
- إنَّ من ألطف ما ينقل من مواقف الإيثار: أن بعض الفضلاء اجتمعوا، وليس عندهم إلا اليسير من الطعام لا يشبعهم جميعاً، فجعلوه في ثوب واحد، ثم أطفأوا السراج حتى لا يُخرج بعضهم بعضاً، وجلسوا للأكل، فلما أشعل الضوء، ورُفِع الطعام، فإذا به على حاله، لم يتقدم منهم أحد إلى الطعام، يُؤثر بعضهم بعضاً.
- وإن من أعجب وأغرب ما يُنقل في أمر الإيثار، أن الحجاج بن يوسف -الظالم المعروف- طلب إبراهيم النخعي ليؤذيه، فأحضروا له إبراهيم التيمي خطأ، فلم يشأ التيمي أن يفصح عن شخصيته إيثاراً للنخعي، حتى أُخِذَ وعُدِّبَ ومات في السجن.
- إنها عجائب الخلق والخلُق أيها الإخوة، فإذا لم يكن هذا هو العجب فأين العجب؟ إنهم أناس أرادوا الله واليوم الآخر، فصدر منهم ذلك العجب.

- أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

\* \* \*

- أيها المسلمون : إن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنُ الهَدْيِ، هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعة، وكلُّ بدعةٍ ضلالة، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

- أيها الإخوة : على الرغم من أهمية الإيثار، وعلو مقامه، فإنه من أول الأخلاق التي ضعفت بعد وفاة رسول الله ﷺ.

- فلم يكفد ينقرض جيل الصحابة رضي الله عنهم حتى عانوا من الأثرة والظلم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، وكان الأنصار من أكثر الناس معاناة من ذلك.

- فقد أخبرهم الرسول ﷺ بذلك فقال: «إنكم سترون بعدي أثره، فاصبروا حتى تلقوني» .

- فإذا كان هذا حال الأنصار ممن تبوأوا الدار والإيمان، فكيف بغيرهم من عامة الناس؟

- فليس للمؤمن إلا الصبر والاحتساب، في زمن عمَّ فيه الشُّحُّ، وقل فيه الإيثار ، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.



## ٦ - ذم الغيبة وقبيح مسلكها

- أيها المسلمون : إن من أعظم ما يميّز المجتمع المسلم : ترابط أفرادهِ، وتماسك بنائهِ، وهذا هو أحد أسرار قوة المسلمين.
- إن الوحدة والتكاتف، وسلامة الصف، وترابط أطرافهِ وأركانهِ: سبب القوة والتمكين والثبات.
- ولهذا كان هدف أعداء الإسلام - منذ زمن طويل - إضعاف رابطة الأخوة بين المسلمين، وتوهين العلاقة فيما بينهم ، ومن ثمّ تفريق جمعهم.
- فكانت الفرق والأحزاب والعصبيات، والحدود السياسية والإقليمية، كلّها عوامل هدم في كيان الأمة الأخوي الكبير.
- ولقد جاءت الشريعة الإسلامية بدعم كلّ ما من شأنه توحيد الكلمة، وإصلاح ذات البين، وجمع القلوب، وسلامة الصدور.
- وفي الجانب الآخر : حرمت الشريعة كلّ ما من شأنه إفساد ذات البين، وإثارة الضغائن، وإيغار الصدور بين المسلمين.
- فحرمت الشريعة الظلم بين الناس، وسوء الظن، والنميمة، والسخرية، والاستهزاء، وكلّ مثير للكراهية والحقد بين المسلمين.
- وإن من أخبث المسالك الخلقية التي جاءت الشريعة بتحريمها، واعتبارها من الكبائر الموجبة للعقوبة في الآخرة : الغيبة.
- وهي: ذكرك أخاك المسلم بما يكره في حال غيبته، فهي ذكر العيب بظهر الغيب.
- كأن يشير إلى نقص أو عيب في : بدنه ، أو صوته ، أو لباسه ، أو خلقه ، أو سلوكه ، أو دينه ، أو دنياه ، أو ولده ، أو داره ، أو دابته ، ونحو ذلك،

- مما يكرهه الغائب ويحزنه سماعه.
- وقد يصرِّح الرجل بهذا العيب بكلامه، وربما ألمح إلى ذلك بالكناية، أو عبَّر عنه بالإشارة، وكل ذلك ممنوع شرعاً.
- إلا أن غالب الغيبة بين الناس إنما تكون باللسان؛ ولهذا جاء في الحديث : «أكثر أخطاء ابن آدم في لسانه».
- ولما كانت الغيبة معول هدم في كيان الأمة، يفرِّق بين جماعاتها وأفرادها: جاءت الشريعة بتحريمها، وعدّها من كبائر الذنوب.
- قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ .
- ويقول أيضاً: ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ .
- ويقول الرسول ﷺ : « أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أ رأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتته » .
- ويقول أيضاً عليه الصلاة والسلام : «من أربى الربا : الاستطالة في عرضِ المسلم بغير حق» .
- ويقول أيضاً : « كلُّ المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله » .
- ولقد جاء التنفير الشديد من مسلك الغيبة في كون المغتاب كأنما يأكل من لحم أخيه حين يذكره بالسوء، فقد قال تعالى: ﴿ ... أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ... ﴾ .
- وجاء في الخبر عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: « من أكل لحم أخيه في

- الدنيا قُرْبَ له يوم القيامة، فيُقال: كُلُّهُ مِيتاً كما أَكَلْتَهُ حَيًّا.
- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: « كنا مع النبي ﷺ، فارتفعت رِيحٌ مِنتنة، فقال رسول الله ﷺ: أتدرون ما هذه الريح؟ هذه رِيح الذين يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ.»
- مرَّ عمرو بن العاص رضي الله عنه مع بعض أصحابه على بَغْلٍ مِيت، فقال لهم: « لأن يأكل الرجل من هذا حتى يَمَلَأَ بَطْنَهُ خَيْرَ لَه مِنْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ.»
- وَيَكْفِي الْمُسْلِمَ تَنْفِيراً مِنْ هَذَا الْخَلْقِ الْقَبِيحِ حِينَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْحَسَنَاتِ الْعِظَامِ فَلَا يَبْقَى مِنْهَا شَيْءٌ، قَدْ أَخَذَهَا أَصْحَابُ الْحَقُوقِ.
- وَأَمَّا الَّذِينَ لَا يَنْزَجِرُونَ عَنْ هَذَا الْمَسْلُوكِ الْقَبِيحِ فَإِنَّ الْعُقُوبَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَظِيمَةٌ، وَفِي الْحَدِيثِ يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: « لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمِشُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحُومَ النَّاسِ، وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ.»
- وَمَرَّ النَّبِيُّ ﷺ مَرَّةً بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَيُعَذَّبُ فِي الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُعَذَّبُ فِي الْغَيْبَةِ.»
- وَأَمَّا أَصْحَابُ الْبَهْتَانِ، الَّذِينَ يَجْمَعُونَ بَيْنَ الْغَيْبَةِ وَالْكَذْبِ، وَاتِّهَامِ النَّاسِ بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ، فَيَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ عَنْ عُقُوبَتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ: أَسْكَنَهُ اللَّهُ رَذَّةَ الْخُبَالِ (وهي عصارة أهل النار) حتى يُخْرِجَ بِمَا قَالَ.»
- وَقَالَ أَيْضاً: « مَنْ ذَكَرَ امْرَأَةً بِشَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ لِيَعْيِبَهُ بِهِ: حَبَسَهُ اللَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَأْتِيَ بِنَفَادٍ مَا قَالَ فِيهِ، »، يَعْنِي حَتَّى يَثْبُتَ صَدَقَ كَلَامُهُ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ مَسَالِكِ الْهَالِكِينَ، وَأَقْوَالِ الْمُبْطِلِينَ.

\*\*\*

- أيها الإخوة : لم يكن الرسول ﷺ ليسمح بالغيبة أمامه، فقد قال بعضهم: « يا رسول الله ما أعجز فلاناً ، أو قالوا : ما أضعف فلاناً، قال النبي ﷺ: اغتبتم صاحبكم وأكلتم لحمه ».
- ولم يكن ﷺ ليسمح بالغيبة حتى لأحب الناس إليه، فقد قالت عائشة رضي الله عنها عن ضربتها صفة رضي الله عنها : « حسبك من صفة كذا وكذا ( تعني قصيرة )، فقال: لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته »، يعني : لغيرته.
- أيها المسلمون : إن الغيبة كبيرة من كبائر الذنوب، يزيد إثمها بقدر حجم مفسدتها.
- ولا تباح إلا بقدر الحاجة والضرورة، كشكوى المظلوم عند السلطان، فيذكر الظالم بظلمه وإساءته ، وذكر أهل الفجور والمعاصي المجاهرين بها للتحذير منهم، وذكر المصاهرة، للسؤال عن الخاطب، ونحو ذلك مما فيه مصلحة شرعية، وبالقدر الذي يدفع الضرر ويحقق المصلحة ، وما زاد على ذلك فظلم وتعُدٌّ.
- وأما دوافع الغيبة فكثيرة، منها: شفاء الغيظ بذكر مساوئ الشخص حال غيابه، ومنها مجاملة الأصدقاء والجلساء، ومنها تزكية النفس، ومنها الحسد، ومنها السخرية والاستهزاء ونحو ذلك.
- أيها المسلمون : لقد انتشر مسلك الغيبة بين المسلمين، ومواجهة الناس بالإنكار أمر عسير، ولكنه الواجب الشرعي.
- ولهذا كان السلف لا يرون شدة العبادة في الصوم والصلاة والحج، وإنما في الكف عن أعراض الناس ، وحفظ الألسنة عن ذلك.
- وقد رتب الشارع الحكيم على مواجهة الغيبة الأجر العظيم؛ فقال

الرسول ﷺ: «من ردَّ عن عرض أخيه : ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة».

- وقال أيضاً: «من ذبَّ عن عرض أخيه بالغيبة : كان حقاً على الله أن يُعْتَقَه من النار».

- إن أقلَّ ما يصيب المغتاب في الدنيا فضيحتُه وانكشافُ عورته، فقد قال الرسول ﷺ : « يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبِعُوا عوراتهم، فإنه من اتَّبَع عوراتهم: يتَّبَع الله عورته، ومن يتَّبَع الله عورته يفضحه في بيته » .

- إن من أطف ما يُنقل في علاج الغيبة: ما رُوِيَ عن الحسن البصري رحمه الله أن رجلاً اغتابه ، فأرسل الحسن إليه طبق رطب هدية ، وقال : « لقد بلغني أنك أهديت إليَّ من حسناتك ، فأردت أن أكافئك » .

## ٧ - مقام الصبر في الإسلام

- أيها المسلمون : لا يزال الإنسان منذ خلقه الله يعيش في بلاءٍ ومحن، تزيد تارةً وتنقص تارة، وتثقل أحياناً ، وتخفُّ أحياناً أخرى.
- ويستحيل في طبيعة الحياة الإنسانية أن نجد شخصاً سلم تماماً من الابتلاء، قد حفته السعادة من كل مكان، لا همَّ عنده ولا حزن ، فمثل هذا بعيد.
- فكم من سلطان ابتلاه الله بالخوف، وكم من غني ابتلاه الله بالمرض، وكم من قوي ابتلاه الله بالفقر، وكم من سوي ابتلاه الله بالظلم.
- وهكذا لا ينجو أحد من نوع ما من الابتلاء ، يقاسي ألمه، ويكابد حزنه، ويعاني شدته ، والكل يظن أن بلاءه أعظم البلاء.
- ولئن كان الناس قد اتحدوا في مبدأ الابتلاء، فقد اختلفوا اختلافاً بيناً في حجم الصبر عليه، والرضا والتسليم لله تعالى .
- فمن الناس من يجزع ويخرج عن طبعه لأقل بلاء ينزل به ، أو مصيبة تقع عليه ، ومنهم من يصبر ويتجلد لأعظم المصائب ، ومنهم من هو بين هذا وذاك.
- والعاقل يجد أن الصبر والجزع لا يغيّران من قضاء الله شيئاً، وإنما ينال الصابر الأجر على صبره، وتسكن نفسه للقضاء والقدر.
- وأما الجزعُ فيلحقه الإثم على تسخُّطه، ويضيق لذلك صدره، ويخرج من مصيبته خاسراً بلا حسنات.
- ولهذا أمرنا الله تعالى بالتحلّي بالصبر، فقال: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾.
- وقال: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

- ووعده الصابرين بالبشرى الحسنة فقال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.
- ولقد جعل الله الصابرين من أهل محبته فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.
- ووعده الله الصابرين في العاقبة بالأجر الحسن المضاعف فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.
- وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾.
- ولقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ بالصبر فقال: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾.
- وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾.
- ولقد كان رسول الله ﷺ أصبر الناس على الإطلاق، فقد كانت حياته الشريفة سلسلة من الابتلاءات المتلاحقة.
- لقد ابتلي رسول الله ﷺ في نفسه وأهله وولده وماله وأصحابه، وكان عنوانه في كل ذلك الصبر والرضا.
- وما كان يزيد في المصيبة على حزن القلب ودمع العين، ولا يقول إلا ما يرضي ربه عز وجل.
- وكان ﷺ يقول: «الصبر نصف الإيمان».
- ويقول: «ما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً له وأوسع من الصبر».
- ويقول أيضاً: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له».
- ولقد سمى الله نفسه بالصبور، وأمر بالصبر، وحث عليه، وأثنى على أهله في تسعين موضعاً من القرآن الكريم.

- ولهذا خلص العلماء بوجوب الصبر على المسلم المكلف بأنواعه الثلاثة:
- الأول : الصبر على طاعة الله تعالى ؛ بأداء الفروض على الوجه المأمور به في غير تأفف ولا تدمر ولا ضيق.
- الثاني : الصبر عن معصية الله تعالى ؛ باجتنب المنهيات ، من الصغائر والكبائر.
- الثالث : الصبر على البلاء والمصائب في غير تسخُّط ولا جزع، مع الرضا والتسليم.
- أيها المسلمون: ولئن كان فضل الصبر عظيماً، فإن أمره صعب عسير، إلا على من يسره الله عليه؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ .
- ويقول تعالى : ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ .
- ويقول سبحانه : ﴿ وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ .
- ولكن لا بد أن نعلم أنه من يتصبر ويجتهد في ذلك : يُصبره الله، وينزل عليه من الصبر بقدر البلاء الذي أصابه.
- فهذه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما يُقتل ولدها ويُصلب، فتتجلد وتصبر ، ولا يظهر عليها حزن ولا تسخُّط، وكأنه ما أصابها شيء.
- وهذه أسماء بنت عميس رضي الله عنها، لما بلغها مقتل ولدها: جلست في مسجدها، وكظمت حزنها وصبرت، حتى تفتق ثديها بالدم من شدة الحزن، ومع ذلك لم تجزع، ولم تتدمر.
- وكم من فضلاء السلف يصيبه البلاء في جسده وبصره، فلا يعلم أحدٌ خبره، ولا يشكو همّه وألمه وحزنه إلا إلى الله تعالى.
- إنه الصبر الجميل، الذي لا شكوى معه، ولا تدمر ولا تسخُّط، قد امتلأ



قلب صاحبه رضا عن الله تعالى وقضائه.  
- اللهم رضنا بقضائك وقدرك، واملأ قلوبنا يقيناً ورضاً، وأجرِ على ألسنتنا  
ما يرضيك يا رب العالمين.

\* \* \*

- يا أيها المسلمون : إن حقيقة الصبر: حبس النفس عن الجزع، وحبس  
اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش والاضطراب.  
- إنه الرضا الذي ملأ قلب صاحبه فثمر السكون، لاسيما عند الصدمة  
الأولى، عند أول نزول البلاء.  
- واعلموا أيها المسلمون: أن أكثر الناس جزعاً عند المصيبة: أشدّهم حباً  
للدنيا، وأقلّ الناس همّاً أكثرهم صبراً، وأفضل الأعمال ما أكرهت عليه  
النفوس، وكان مخالفاً للهوى، ومن شكا مصيبتة لغير الله لم يجد حلاوة  
العبادة.  
- أيها المسلمون: يقول نبي الله سيدنا عيسى عليه السلام: «إنكم لا تدركون ما تحبون  
إلا بصبركم على ما تكرهون».  
- اللهم حبب إلينا الصبر ، وألهمنا شكر نعمتك ، ووقفنا للثناء عليك بها في  
السراء والضراء يا رب العالمين.

## ٨ - الوصايا العشر في سورة الأنعام

- أيها الإخوة : سورة من القرآن الكريم نزلت جملة واحدة في مكة، شيعها سبعون ألف ملك، قد سدوا الأفق.
- إنها سورة الأنعام، نزلت على الرسول ﷺ ليلاً وهو يسير على ناقته، حتى كادت عظام الناقة تتكسر من ثقلها وشدتها.
- نزلت هذه السورة العظيمة تؤكد العقيدة، وتربط جميع التشريعات بالإله الواحد، وتلفت إلى النظر في الكون للاعتبار والفهم.
- وفي ثلاث آيات من خاتمة هذه السورة: أوصى الله عبده بعشر وصايا عظيمة: تُعدُّ دستوراً للحياة الإنسانية الكريمة.
- قال الله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِئِ الَّذِينَ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْهَدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .
- يقول ابن مسعود رضي الله عنه : «من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه، فليقرأ هذه الآيات الثلاث».
- ولهذا كان كثيراً ما يبايع الرسول ﷺ أصحابه على الالتزام بهذه الوصايا الواردة في هذه الآيات.

- وكان الرسول ﷺ بمكة كثيراً ما يعرضها على القبائل الوافدة في موسم الحج؛ لما تضمنته من المعاني الجليلة التي يُحبها العقلاء ، وتتقبلها النفوس السوية.
- أما الوصية الأولى : فهي الوصية بالتوحيد الخالص لله تعالى والتحذير من الشرك، فسلامة العقيدة من الشرك ومظاهره هي قاعدة الدين الأولى، وأساسه الأعظم.
- وقد وعد الله بالتجاوز عن جميع الذنوب إلا ذنباً واحداً وهو الشرك بالله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ .
- فالمسلم الموحد لا يصرف شيئاً من العبادة لغير الله : كالدعاء أو الذبح أو النذر ونحوها ، ولا يأتي باعتقاد أو عمل يخرج عن أصل الإيمان.
- أما الوصية الثانية : فهي الوصية ببر الوالدين، ولعظيم مقام البر بهما جاء بعد التوحيد؛ للتأكيد على ضرورة البر، وتحريم العقوق.
- فكم هو جميل أن يتوجه الأبناء بالبر والإحسان إلى آبائهم وأمهاتهم، فإن أعظم سعادة تغمر الوالدين حين يشعرون بعطف ورحمة أبنائهما.
- وإن أتعس شيء يواجه الآباء والأمهات هو العقوق؛ ولهذا كانت عقوبة العقوق في الدنيا قبل الآخرة، وكم من عاق انتقم الله منه فأذاقه أليم ما صنعت يداه.
- وأما الوصية الثالثة: فهي الوصية بتحريم قتل الأولاد بسبب الفقر والفاقة، فقد كان بعضهم يقتل ولده بسبب الفقر، وقلة ذات اليد.
- ولما سئل الرسول ﷺ عن أيِّ الذنب أعظم ؟ ذكر الشرك بالله ثم قال: « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » .

- وقد وعد الله بالرزق من عنده فقال سبحانه وتعالى: ﴿ تَحْنُ نُرزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ .
- وقال أيضاً: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ .
- فليحذر الذين يُسقطون الأجنة من بطون الأمهات لغير ضرورة شرعية ملحّة، والذين يحدّدون النسل لغير ضرورة شرعية.
- وأما الوصية الرابعة: فهي الوصية بالنهي عن الاقتراب من الفواحش، وما ذلك إلا رغبة في طهارة المجتمع ، ونشر العفاف والنقاء.
- والنهي الرباني جاء بالتحذير من مجرد قرب الفواحش وليس فقط من الوقوع فيها، فالتبرج والاختلاط والخلوّة وإطلاق البصر كل ذلك : قرب من الفواحش، وهو من المحرمات التي أوصى الله بالحدّز منها.
- أما الوصية الخامسة: فهي الوصية بتحريم قتل النفس بغير حق، فالنفس الإنسانية كريمة، ونفس المسلم عظيمة، فزوال الدنيا أهون من إراقة دم مسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه، وويل لمن أتى الله يوم القيامة بدم حرام قد سفكه.
- أما الوصية السادسة: فهي الوصية بالمحافظة على مال اليتيم، الذي فقد أباه قبل بلوغه رشده، فلم يعد له من يدافع عنه ويحميه إلا الأقارب، وقلّ أن يُوجد في الأقارب المخلص المشفق، ولهذا جاء التحذير: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ .
- أما الوصية السابعة: فهي الوصية بالعدل في الكيل والميزان، فلا غش ولا تطفيف، فمن استوفى الثمن فعليه أن يدفع لصاحب المال حقه من البضاعة كاملاً لا نقص فيه، والمسلم يتعجّب من بعض الباعة يبيع العلب

- ناقصة، ويبيع الصناديق من الفاكهة ونحوها فيكون ما في أعلاها غير ما في أسفلها.
- أما الوصية الثامنة : فهي الوصية بالعدل في القول مع النفس والقريب، فلا يبالي المسلم بكلمة الحق ولو كانت على نفسه أو قربه.
- ولقد تواطأ المجتمع - للأسف إلا من رحم الله - على الحيف ضد الأجنبي لصالح القريب، وقلّ من يقف بكلمة الحق على نفسه وأهله.
- أما الوصية التاسعة : فهي الوصية بالوفاء بالعهد، وتنفيذ الالتزامات المستحقة في العقود وغيرها، والناظر في واقع المجتمع يجد أن بيننا وبين هذه الوصية بوناً شاسعاً، حتى ما تكاد تجد أحداً إلا ونيته التفلت من العهود والمواثيق إلا ما كان مصلحة له.
- وأما الوصية العاشرة: فهي الوصية بالتزام الصراط المستقيم، وعدم الحياد عنه، فقد خطّ الرسول ﷺ خطأً مستقيماً وقال: « هذا سبيل الله، ثم خطّ خطوطاً عن يمينه وشماله، وقال: هذه سبيل، على كل سبيل شيطان يدعو إليه ».

\* \* \*

- أيها المسلمون : لقد شملت هذه الوصايا دستوراً : عقدياً وخلقياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ينظم حياة الإنسان، ويضبط معاملاته، ضمن حد الشرع والعدل.
- كم هي حاجة المسلمين اليوم للقيام بهذه الوصايا العظيمة في حياتهم، وفي معاملاتهم ؟
- فلطالما عجت الساحة، وامتلاً المجتمع المسلم من مظاهر : الشرك، والعقوق، والإجهاض، والزنا، والقتل، وأكل أموال الناس بالباطل، والتطيف في

- المكايل والموازن، والظلم في القول، والخيانة في العهود، والحيدة عن الصراط المستقيم، التي يخوض فيها كثير من المسلمين اليوم؟
- كم هي المخالفات الصارخة التي يجهاها المسلمون اليوم في حياتهم، والتي تخالف بقوة، بل تصادم هذه الوصايا الربانية، وتعاكس مسارها.
- إن المسلمين اليوم في حاجة إلى إعادة بناء أنفسهم، وصياغتها من جديد؛ لتكون طائعة لله تعالى.
- لقد ارتجّ الكون لنزول هذه السورة العظيمة، وامتأأت السماء بالملائكة المشييعين لها، فهل يرتج قلب المسلم المعاصر اليوم حين يتلوها؟ نرجو هذا.

## ٩ - الجريمة المعاصرة والحاجة إلى الأمن

- أيها المسلمون : إن من أَلحّ المشاعر، وألصقها بالإنسان، وأكثرها أهمية: الشعور بالأمن على : النفس والعرض والمال.
- بحيث يشعر الإنسان وينعم بالأمن على ذاته فلا يُؤذى، ولا يناله ضرر من: ضرب أو جرح أو قتل.
- وكذلك يشعر وينعم بالأمن على عرضه، فلا تُنتهك حرّمته بفاحشة من فعل أو قول.
- وكذلك يشعر بالأمن على ماله، فلا يُسرق ولا يُغتصب ولا يُتلف، ولا يأخذ أحدٌ منه شيئاً إلا برضاه وبطيب نفسه ، ويجد من هذا المال ما يكفيه وأهله وولده.
- أيها الإخوة : إن الشعور بالأمن حاجة مُلِحّة وضرورية للإنسان السوي، يحتاج إليه كما يحتاج : الطعام والشراب واللباس والسكن.
- وإن المسلم المعاصر ليهوله حجم الاختلال الأمني الذي تحياه البشرية المعاصرة ، في ظل طغيان الحضارة الغربية وتسلّطها.
- لقد أثبت الواقع المشاهد إخفاق الأنظمة الغربية - بكل مؤسساتها - في تحقيق الأمن للإنسان المعاصر.
- وها هي وسائل الإعلام المختلفة تُطلعنا في كلّ يوم على ما يُؤلم القلب، ويجزن النفس، فأينما نظرت فثمّ : قتل، وتشريد، وجوع، وآلام.
- إن الوضع الأمني في عالم اليوم ليخجل الحكومات وادعاءاتها، ويضعها في قفص الاتهام أمام شعوبها ومواطنيها.
- أموال بلا حساب، تقتطع من أقوات الشعوب؛ لتنفق على أجهزة الأمن

- بسخاء، ثم بعد ذلك لا أمن ولا أمان.
- بل إن المواطن البائس في هذا العالم ليدخله الشك في صدق هذه الأجهزة الأمنية ومصداقيتها.
- ففي ظلها تُزهق الأرواح، وتنتهك الأعراض، وتُغسل الأموال، ويُعمل بالفاحشة، ويُؤكل الربا، وتضيع الحقوق.
- أيها الإخوة: بماذا يُفسَّر تزايد نسب الإجرام بصورة مطردة في عالم اليوم، أليس هذا دليلاً على إخفاق أجهزة الأمن في العالم؟
- إن حجم الجريمة في عالم اليوم شيء عظيم وكبير، لا يكاد يتخيله الشخص العادي، نسب وأرقام تفوق التقدير والوصف.
- كما أن نوع الجريمة وغلظها شيء تهتز له القلوب، وترتعد له الفرائص، عراقة في الإجرام، وتعمق وانغماس في الفساد إلى أبعد الحدود.
- لقد سجّل التاريخ المعاصر من مخازي الجريمة وانتشارها ما لا يغسله ماء البحر، وسوف يبقى هذا التاريخ المخزي وصمة عار على هذا الجيل على مرّ التاريخ القادم.
- إن التاريخ لا يرحم المتخاذلين، ولن يعفو عن المقصّرين، وسوف تسلقنا الأجيال القادمة على تقصيرنا بالسنة حداد محرقة.
- كأنا بهم يصيحون بنا في مستقبل الحياة: أين العقلاء؟ أين أهل الغيرة والحمية؟ أين الحكام؟ أين رجال الأمن؟ أما كان أحد يستطيع أن يعمل شيئاً في وجه الجريمة والمجرمين؟
- فبماذا ترانا نجيبهم؟ أنقول لهم كما قالت المرجئة: الله قدّر علينا أن نكون فاسقين مجرمين، الله قدّر علينا أن نكون عصاة مخطئين.
- أيها الإخوة: إن عالم اليوم يكاد يكون قرية واحدة، يموج بعضه في بعض،



- فقد نالنا في بلادنا هذه نصيب وافر من حجم الجريمة ونوعها.
- فليس من جريمة في هذا العالم إلا وقد نالنا في بلادنا نصيب منها، حتى إن كبار السن فينا ليهولهم ما وصل إليه حالنا.
- وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية، ليكونن في أمتي من يصنع ذلك».
- أيها الإخوة: إن العاقل في هذه البلاد ليفزع لما تنشره وتبثه وسائل الإعلام المحلية من نسب الجرائم وأنواعها ، وما يقع فيه بعض الناس من الفساد.
- من يصدّق أن في بلاد الحرمين الشريفين دوراً للدعارة، ومصانع للخمور، ومروجين للمخدرات، ولصوصاً مخطّطين على أعلى المستويات ؟
- من يصدّق أن فتاة تقتل والدها، وأن رجلاً يقتل زوجته وأولاده، وآخر يبيع عرضه وينتهكه، وشباب يهتكون عرض طفل، وأشلاء ممزقة في حاوية القمامة، وسلوكاً مشيناً في حرم الله تعالى ، وسرقة عند الحجر الأسود، وما خفي كان أعظم ؟
- من يصدّق أن امرأة عجوزاً يدخل عليها من يقتلها على سريرها وهي نائمة آمنة ، ورجلاً يختلف مع زوجته فيستشيط غضباً فيضع طفله الرضيع تحت كفر السيارة ويدهسه، وشاباً لا يجد وظيفة، فيشعر بالإحباط، فيفتح النافذة ويلقي بنفسه منها وينتحر ؟
- يغيب أحدنا عن بيته يوماً أو يومين، فيأتي وقد خلا البيت من كل شيء، وربما وضع سيارته في المساء عند باب بيته ، فيخرج في الصباح فلا يجدها.
- أيها الإخوة: إن كبارنا يدركون تماماً حجم الأمن الذي عشناه في بلادنا قبل أربعين أو خمسين عاماً.
- لم يسمعوا عن إجرام المرأة أو الشباب، ولا السرقات أو التفجير أو التكفير.

- لقد كان صاحب الدكان لا يزيد عن خرقة من قماش يضعها على دكانه، ثم يذهب ينام قرير العين.
- وربما ترك بعضهم باب بيته مفتوحاً في الليل، فلا يدخل أحد، ولا يجروء على ذلك.
- ولا يعني أن مجتمعنا في السابق كان معصوماً من الخطأ، وإنما المقصود أن الإجرام لم يكن ظاهرة اجتماعية كما هو واقعنا اليوم.
- أعود بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.



- أيها الإخوة : ما نعيشه اليوم من آلام الجريمة في بلادنا، إنما هو تراكمات أخلاقية قصرنا في إنكارها وإصلاحها فتنفشت وانتشرت.
- إن الله أمرنا أن ننكر المنكر، ونأمر بالمعروف، ونأخذ على يد الظالم منا حتى يستقيم وينضبط بالضوابط الخلقية.
- إن الأمن مسؤولية الجميع، يشترك فيه كل فرد في المجتمع ، وكأنا في سفينة في عرض البحر ، يحرص الكل على سلامتها ونجاتها.
- إن الشخص الذي يجاهر بمعصيته في المجتمع ، ولا يبالي بمن حوله من الناس، ثم لا يجد من ينكر عليه ويؤدبه: إنما يخرق في سفينة المجتمع، ويسعى في إغراقها.
- أيها الإخوة: لقد ثبت يقيناً، أن ضعف الإيمان هو العنصر الأساس في جميع أنواع الجرائم : صغيرها وكبيرها.
- وما لم نعتد التربية الإيمانية أساساً لنا، فلن نتوقع تحسناً في حياتنا الواقعية.
- ولكن المشكلة في مصادر التربية الإيمانية، أين يجد الناشئ التربية الإيمانية؟

- هل يجدها في البيت الذي لا تقام فيه الصلاة؟! أم المدرسة المتعثرة؟ أم الشارع الفاسد؟
- هل تراه يجد التربية الإيمانية في وسائل الإعلام، التي ما فتئت تنخر في جسد الأمة وأخلاقها حتى قتلتها أو كادت؟
- أيها الإخوة: إننا في حاجة إلى بناء أنفسنا من جديد، في حاجة إلى صياغة أنفسنا صياغة إيمانية أخلاقية.
- إننا في حاجة إلى التقوى التي تعمر الصدور، وتقف بنا عند حدود الله تعالى، لا نتخطاها ولا نتجاوزها.
- ولكن أنى لنا أن نربي أجيالنا على الإيمان والأخلاق والتقوى، ضمن واقع عالمي يعجُّ بالفساد والضلال والكفر.
- لا شك أنها مهمة صعبة وشاقة، ولكنها ليست مستحيلة: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.
- اللهم احفظ البلاد والعباد بحفظك يا رب العالمين.

## ١٠ - منكرات الصيف

- أيها الإخوة : جاء الصيف بحرارة الجو ، التي تدفع كثيراً من الناس نحو المناطق الباردة والسياحية.
- جاء الصيف بحرارة الشمس، وشدة الحر، التي قد تدفع بعض الناس للضجر وضيق الصدر.
- جاء الصيف بوفرة الوقت والإجازات، فترى الناس يسعون لملء فراغهم بما يرونه مناسباً.
- جاء الصيف بالاحتفالات والأعراس، فترى الناس يخصصون الصيف لإقامة حفلات أعراسهم.
- أيها المسلمون : ليس بغريب أن يغير الإنسان من نمط حياته في الصيف بشيء من الترفيه أو السفر أو الفرح ونحوها.
- إن الرتابة طول العام تدخل على الإنسان السامة والملل، فيحتاج إلى تجديد وترويح يعيد إليه نشاطه وحيويته.
- وإنما الغريب المستنكر أن يكون الصيف سبباً لخروج المسلم عن أخلاقه وآدابه، والتزاماته الشرعية.
- فترى بعض الناس ما إن يحلّ الصيف حتى يحزم أمتعته مسافراً إلى بلاد الكفار، أو بلاد تشبه بلاد الكفار ، حيث لا دين ولا خلق.
- فتراه يعيش صيفه في تلك البلاد وكأنه واحدٌ منهم ، لا يتميز بخلقه ولا بدينه عنهم، فالنساء ينزعن الحجاب ، والأولاد ينطلقون هنا وهناك بلا رقيب.
- بل ربما رأيت بعضهم يتخفّف من أهله وأولاده فيسافر وحده ، ليأخذ

- راحته في السفر دون رقيب يزعجه.
- ومن الناس من تُخرجه حرارة الصيف عن طبعه وأخلاقه، فتراه يُثار لأتفه الأسباب ، فلا يتحمل أحداً.
- ومن الناس من تكون وفرة الوقت عنده سبباً في هلاكه، فقد يملؤه بالباطل: المسكرات، المخدرات، التسكُّع، الجريمة، السرقة.
- وقد ثبت لدى الجهات الأمنية أن نسبة الجرائم والانحرافات تزيد في الصيف، لا سيما في المدن الكبيرة والسياحية.
- وأما الاحتفالات والأعراس؛ فإن بعض الناس يخرجون فيها عن طبائعهم واتزانهم.
- فمنهم من ينفق النفقات العظيمة على حفلة في ليلة، ويتكلف بعضهم ما لا يستطيع؛ ليظهر - حسب زعمه - بالمستوى اللائق به.
- والبعض يجلب المعنّين والمعنّيات ويدفع لهم المبالغ الكبيرة.
- ومنهم من يخلط النساء بالرجال في العرس ، وأقلهم خطأ من يسمح للعريس بالدخول على النساء.
- فاتقوا الله أيها الناس ، واحذروا المفاصد، واحذروا ضغوط أحبّ الناس إليكم ؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَنَّفَحُوا وَتَعَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

\* \* \*

- أيها المسلمون: إن ثوابت الشريعة لا يغيّرها الطقس بجره ولا ببرده.
- والمسلم الحق على استقامة دائمة في سلوكه لا تغيّر أخلاقه وطباعه حرارة الجو أو برودته، فهو مربوط بالشريعة ظاهراً وباطناً.

- ومن القبيح والشنيع أن يكون المسلم كالخرباء ، يتلون في كلِّ موقع باللون الذي يناسبه، فلا شخصية تميزه ، ولا سلوك يُعرف به.
- إن الثبات على الأخلاق الإسلامية ، وانضباط السلوك بالآداب الشرعية: هو خلق المسلم الدائم في كل أحواله، لا يخرج عن ذلك، فإذا أخطأ عاد سريعاً : تائباً مستغفراً منيباً إلى الله تعالى.
- أيها الإخوة : إن ما أجمع عليه المسلمون بأنه منكر فهو منكر في أي مكان وفي أي زمان، لا يجوز تعاطيه داخل البلاد أو خارجها.
- فحضور مواقع اللهو الباطل، وأماكن تبرج النساء، وخلع الحجاب، وما شابه ذلك فهو حرام لا يجوز، في أي مكان وفي أي زمان.
- إن المؤمن في هذه الحياة ، ولا سيما في هذا العصر يعيش وكأنه في سجن، يخاف ربه، ويحفظ بصره، ويحمي أولاده من الفساد.
- وإن من الخيانة التربوية أن يزجَّ الرجل بأهله وأولاده في مجتمعات لا تحترم الآداب الإسلامية، ولا تراعي القيم الخلقية: بحجة الترفيه.
- فإن فيما أباحه الله تعالى من الترفيه البريء ما يمكن أن يُغني المسلم الصالح وأهله وأولاده عما حرمه الله.
- ولن يعجز الأب الغيور عن أن يجد من أسباب الترفيه المباح ، ووسائل ملء الفراغ : ما يُغني به أولاده وأسرته ، مادام صادق النية، حسن المقصد.
- فاتقوا الله أيها الناس واحرصوا على ما ينفعكم واحذروا ما يضرُّكم؛ فإن الله عز وجل رقيب بصير ، لا يخفى عليه شيء من أمركم.

## ١١ - مسؤولية الكلمة

- أيها الإخوة : للكلمة في معناها ومغزاها وأسلوبها: وقعٌ خاص في نفس السامع، يتأثر بها، وينفعل معها، وربما ارتاح بها واطمأن.
- فالكلمة جواد الفكر، وسفينة الرأي، بها ينتقل الفكر والرأي والنظر إلى آفاق الدنيا، وأطراف المعمورة.
- ولولا نعمة الله بالكلمة، لعجز المفكر عن الفكر، وانقطع الناظر عن النظر، ولتعطلَّ العقل عن التعقل.
- فأئى للناس أن يعيشوا في الحياة بلا كلمات يتكلمونها، وبلا عبارات يعبرون بها، وبلا حديث يتحدثون به، فأى عيش يطيب لهم حينئذٍ؟
- لقد حفظ الله للإنسان من خلال لغة الكلام : ثقافته، وعلومه، ومعارفه، لينقلها من جيل إلى جيل.
- فكانت الكلمة في اللغة وعاءَ الثقافة، وخزينة العلوم والمعارف، حفظت للإنسان تراثه الحضاري والديني.
- فأئى عنت يلقاه الإنسان إن ترك ليعبر بغير الكلام ؟ إنه قد يستغرق يومه كاملاً ليعبر عن جملة واحدة.
- لقد اختصر الله لنا الزمان حين علّمنا الكلام، فأكرم أبانا آدم عليه السلام فعلمه أسماء الأشياء، وفتح علينا فعلمنا البيان.
- إن أول واجب على المكلف تجاه نعمة الكلام: أن يستخدمها في مرضاة الله تعالى فيملاً الكلام بتوحيد الله تعالى والثناء عليه.
- فأئى كلام أعظم من لا إله إلا الله، كلمة التوحيد العظمى؟ وأي لفظ أحسن من قول: سبحان الله، والحمد لله، الله أكبر؟

- وأي حديث أفضل من دعوة الناس إلى الهدى، وتعريفهم بربهم عز وجل، وتعليمهم سبل مرضاته، وطريق عبادته؟
- إن أسعد الناس من ملاً حديثه بكلمة الحق، وزين عبارته بلين القول، فلا داهن ولا قسا، ولكن صدقاً في لطف.
- ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .
- إن أعظم كلام يقوله المسلم، وأرجى حديث يتحدث به: هو الدعوة إلى سبيل الله تعالى ، وهداية الناس إلى الصراط المستقيم.
- وإن أسوأ كلام يتكلم به الإنسان، وأخبث حديث يتحدث به: هو أن يصد الناس عن سبيل الله، ويُعمي عن صراط الله المستقيم.
- فرب كلمة حق يقوها الرجل: ترفعه عند الله منازل عالية لا حدود لها، ورب كلمة باطل يقوها: تهوي به دركات لا نهاية لها في نار جهنم.
- أيها الإخوة: لقد امتطت الكلمة منذ القديم وسائل متعددة لتصل إلى الناس، فركبت الشعر والنثر، وأخبار العرب وقصصهم.
- وكانت الكلمة تفعل في العرب فعلها، فكانت وراء إشعال الحروب، وقتل النفوس، وهلاك الدول، وتقطيع الأرحام.
- حتى إذا تطوّرت الآلة، وظهرت الطباعة أخذت الكلمة مكانها في توجيه الناس، والتأثير على الرأي العام، فكانت الكتب والجرائد والمجلات.
- وما لبثت الحياة طويلاً بعد الطباعة حتى ظهر المذياع ، ثم التليفزيون ، ثم الفضائيات ، ثم الشبكات العنكبوتية المذهلة.
- فأصبحت الكلمة تصل إلى كل أحد في هذا العالم، محمولة في أجمل وأبهى إطار، تحفها : الصورة والنعمة والألوان.



- حتى إن الكلمة الباطلة لتتزين عبر وسائل الإعلام، وتلبس ثوب الحق، وربما قالت فعلاً بالحق ؛ لتصل من وراء ذلك إلى الباطل.
- لقد أفحشت وسائل الإعلام المعاصرة في العبث بعقول الناس، واللعب بعواطفهم، واستغلال حاجاتهم ، ودغدغة شهواتهم.
- لقد دخل الإعلام بوسائله المتنوعة إلى عمق حياة الناس، حتى إن الشاشة الصغيرة لتسترقُّ الناس، وكأنهم عبيد بين يديها.
- ينسى أحدهم نفسه أمام الشاشة، فيغيب عن واقعه، مستغرقاً فيما يشاهد، لا يفعل مثل هذا في الصلاة، ولا عند قراءة القرآن ، ولا في خطبة الجمعة.
- أيها الإخوة: إن الناس في هذا العصر يتعرَّضون لأبشع أنواع الاستعباد عبر وسائل الإعلام، التي تتحكَّم فيها شرذمة متنفِّذة من وكالات الأنباء، ومؤسسات الإنتاج الإعلامي والإعلان، وحنفئة من الشركات الاقتصادية الكبرى ، العابرة للقارات.
- يتسلَّطون على الناس من خلال الصنعة الإعلامية المتقنة، فيصلون إلى أهدافهم السياسية والاقتصادية والاستعمارية.
- يقلبون الحقائق، ويزيِّفون الوقائع، ويشوِّهون الحق، حتى ملأوا الدنيا بالزيف والباطل والضلال.
- لقد غاب المسلمون في هذا العصر عن الصناعة الإعلامية، وبقوا قابعين في ركب المقلدين، يردِّدون الباطل، ويعرضون الفساد.
- حتى إن الناظر في الإعلام العربي المعاصر، ليتساءل: ما علاقة هذا الإعلام بعقيدة العرب المسلمين، وأخلاقهم ومصالحهم؟
- إن الإعلام العربي لا يعدو أن يكون - في غالبه - صورة مكررة عن الإعلام الغربي، يحكي طريقته، ويبلِّغ رسالته.

- إن الإعلام في المفهوم الإسلامي: هو لسان الأمة المسلمة الناطق بالحق، المعبر عن عقيدتها وأخلاقها، وقيمتها ومبادئها.
- إن الإعلام الإسلامي: هو الكلمة الطيبة، والخبر الصادق، والبرنامج الهادف، إنه الرسول الأمين بين العالم والمواطن العربي من جهة، وبين الأمة المسلمة والآخرين من هذا العالم.
- وليس هو الإعلام الخائن العميل، الذي يعمل لغير صالح أمته، يحطم الأخلاق، ويزيف الحقائق، ويُلهي عن الحق.
- أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾.

\* \* \*

- أيها الإخوة: إن الناظر في وسائل الإعلام المعاصرة لا يخالجه شك أن الإعلاميين قد عزموا على خطة محكمة تهدف إلى تخريب العالم وإفساده.
- فعلى ماذا عزم المواطن العربي المسلم؟ هل يُسلم نفسه لهذه الوسائل تعبث بفكره وعقيدته وأخلاقه، أم يستعلي عليها بالإعراض عنها؟
- إنه لا فرق بين القائل بالباطل وبين السامع للباطل، فكلاهما يشترك في جريمة واحدة.
- اللهم اكفِ المسلمين شرَّ الأشرار، وكيد الفجار.

## ١٢ - ماذا يريد الإعلاميون من الناس؟

- أيها المسلمون : لم يعد خافياً على أحد أهمية وسائل الإعلام بفروعها المختلفة، وما وصلت إليه في هذا الزمان من التأثير البالغ ، والحبكة الإعلامية الفائقة.
- حتى إن التربويين من الآباء والمعلمين ورجال الفكر : ليناشدون الإعلاميين ويستعطفونهم ليخففوا من تأثيرهم ، رجاء أن يعطوا لرجال التربية الفرصة للتربية والتهديب.
- لقد سلب الإعلاميون الدور التربوي للآباء والمعلمين ورجال الفكر والعلم، ليعطوه: المطرب، والمُلحن، ولاعب الكرة، والممثلة والمغنية.
- إن قصة المؤسسات الإعلامية ترجع إلى سنوات سابقة، حين سيطر نصارى العرب على بواكير بداياتها.
- فقد سيطروا على : الصحافة، والمسرح، والسينما، ثم سيطروا على التلفزيون، والفضائيات الحديثة.
- حتى أصبح الإعلام الحديث - بعد هذه السيطرة الغربية - صناعة الكفار.
- وأصبح من العسير اليوم التخلُّص من هذه السيطرة النصرانية المباشرة أو غير المباشرة على هذه الوسائل الإعلامية بأنواعها.
- ولهذا لا تجد اختلافاً كبيراً بين ما تبثه أكثر الدول الإسلامية من مواد إعلامية، وما تبثه الدول غير الإسلامية، إلا في جوانب يسيرة.
- ولم يكن النصارى ليفوتوا فرصة عبر هذه الوسائل ليبثوا : أفكارهم، وعقائدهم، ومذاهبهم الهدامة، وسلوكياتهم المنحرفة.
- فقد اجتمع المنصرون قبل بداية البث المباشر بخمس سنوات في مؤتمر جامع

- بولاية كلورادوا في الولايات المتحدة تحت عنوان: (كيف نستغل البث المباشر في تنصير المسلمين).
- ولا شك أن هدف النصارى ليس هو التنصير فحسب، وإنما هدفهم الحقيقي هو جعل المسلم بلا هوية ولا معنى ولا هدف.
- أيها المسلمون: إن الناظر في الإعلام المعاصر في بلاد المسلمين ليتساءل:
- ماذا يريد الإعلاميون من بثّ الصور الفاضحة للمرأة الماجنة : بائعة الهوى والراقصة ، والمطربة ؟
- ماذا يريد الإعلاميون من الكلمة الساقطة ، والأكذوبة التي يطلقونها ثم تبلغ الآفاق؟
- ماذا يريد الإعلاميون من إذاعة النغمة المطربة ، التي تفتن السامع ، وتثير شجونه؟
- ماذا يريد الإعلاميون من الدعاية الخادعة للمواد الاستهلاكية والمنتجات التجارية؟
- ماذا يريد الإعلاميون من بثّ مسلسلات: الغرام، والحب، والعشق ؟
- ماذا يريد الإعلاميون من عرض أفلام : الجريمة، والمخدرات، والعنف بأنواعه؟
- ماذا يريد هؤلاء الإعلاميون من رجالنا وشبابنا ونسائنا وأطفالنا؟
- أيجوز عقلاً أنهم يريدون تحقيق التوحيد والعقيدة الصحيحة من عرض برامج الكفار، وأفلامهم، ومسلسلاتهم ؟
- أيجوز أنهم يريدون تحقيق الأخلاق والعفة والأدب ، حين يعرضون التمثيليات الغرامية ، والغناء الماجن ، والدعاية القبيحة ؟
- أيجوز أنهم يريدون التخفيف من الجريمة والانحراف ، حين يعرضون أفلام

- العنف ، والجريمة ، والمخدرات؟
- أيجوز أنهم يريدون أن ينهضوا باقتصاديات الأمة ، حين يروجون لمنتجات الكفار الاستهلاكية والتجارية؟
- أيها المسلمون: لقد ثبت بالإجماع عند الباحثين أن هناك علاقة قوية بين المضمون الإعلامي المنحرف ، وبين الانحرافات بكل أنواعها.
- وأصبح من المسلّم به أن هذه الوسائل تشكّل شخصية الفرد، وتبني معالمها، فأى شخصية تبنيتها ، وأي معالم تنشئها ؟
- أيها المسلمون: إن من الحقائق المفروغ منها أن ما يجري على الجوارح لا بد أن يصيب القلب، وما وقع في القلب لا بد أن ينعكس على الجوارح.
- ومن قال إنه : لا يتأثر بما يسمع ويرى ، فإما مكابر كاذب، وإما جاهل جهلاً مركباً، وإما مجنون لا تكليف عليه.
- أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ .

\*\*\*

- أيها الإخوة : إن الإعلام هو الإسلام، هو صورة هذا الدين في : أحكامه وآدابه وسننه، ثبت في أفضل صورة عبر : الإذاعة والتلفاز والمجلة والإنترنت.
- إن الإعلام هو لسان الأمة الصادق ، المعبر عن : دينها وعقيدتها وأخلاقها وثقافتها.
- إن الإعلام هو شهادة الأمة المسلمة على الناس كافة بتبليغ رسالة الإسلام، وإقامة الحجّة على الناس بالحق.
- إن الإعلام هو وسيلة الأمة للوحدة والتكاتف والتعاون.

- إن الإعلام هو وسيلة الأمة للتوعية والتعليم ونشر العلوم والمعارف.
- إن الإعلام هو أمانة المضمون : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ .
- أيها الآباء، أيها المعلمون: إذا أصرَّ الإعلاميون على موقفهم في الاستمرار على الباطل، فما أنتم فاعلون؟
- إن أقلَّ ما يفعله المؤمن الصادق هو الكف عن هذه الوسائل حتى وإن فاته شيء من الخير، فإنه مدركه، والقاعدة تقول: درء المفسد مقدم من جلب المصالح، إذا اجتمع الحلال والحرام : غلب الحرام.
- وللعبرة ، تقول إحدى الفتيات المفتونات بوسائل الإعلام : «إني وكلُّ فتاة ترى العالم من حولها عن طريق الإعلام ، من : صحافة وإذاعة وتلفزيون وفيديو، ترى من خلالها الحريات والحقوق التي حصلت عليها كلُّ فتيات العالم ، في حين أنني ما زلت وراء الجدر ، أنظر ولا أفعل».
- أخي المسلم ، أيها الأب : اسأل نفسك : هل قالت ابنتك شيئاً من هذا أم لا ؟

## رابعاً : التربية الاجتماعية:

- ١ - الحقوق الشرعية .
- ٢ - المظالم الاجتماعية .
- ٣ - الحياة الاجتماعية بين المغام والمغرم .
- ٤ - مداراة الناس .
- ٥ - صناعة المعروف .
- ٦ - صلة الأرحام .
- ٧ - إصلاح ذات البين .
- ٨ - خطر التناقض الاجتماعي على التربية .
- ٩ - حاجة الأمة إلى الشباب .
- ١٠ - حال المرأة في آخر الزمان .
- ١١ - ضوابط تشغيل النساء .
- ١٢ - المرأة والعمل السياسي .
- ١٣ - غطاء وجه المرأة بين الواقع والفقہ .
- ١٤ - المرأة والرياضة البدنية .
- ١٥ - المرأة وقيادة السيارة .





## ١ - الحقوق الشرعية

- أيها المسلمون : إن من أعظم المقاصد التي من أجلها أرسل الله الرسل، وأنزل من أجلها الكتب: إقامة الحقوق بين الناس بالعدل.
- كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ .
- والناظر في شريعة الإسلام يجد أن باب الحقوق، وما يتعلق بها من المعاملات من أوسع أبواب الشريعة المباركة.
- وما ذاك إلا لضبط حقوق الناس فيما بينهم بالعدل، وتمكين أصحاب الحقوق من حقوقهم دون ظلم.
- وقد كرّس رسول الله ﷺ وأصحابه ومن بعدهم جهودهم وأوقانهم لإقامة العدل بين الناس، وتمكينهم من حقوقهم.
- حتى إن رسول الله ﷺ ليقترض من نفسه، فلقد جلس لهم يوماً قبل وفاته يستبيحهم فيما عسى أن يكون قد صدر منه تجاههم من أخطاء اجتهادية.
- وكان يقول: «لتؤدّنّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقادَ للشاة الجِلحاء من الشاة القرناء، تنطحها».
- ويقول مقابل ذلك في حق أهل العدل والقسط: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا»، يعني من أمور الناس.
- أيها المسلمون: إن الناظر في أنواع الحقوق في شريعة الإسلام: يجدها متنوّعة ومتعدّدة ومتشعبّة، تشمل كل جوانب الحياة.
- فأينما تشعب نشاط الإنسان وجد الحقوق الشرعية تلاحقه في كل جانب

- من جوانب نشاطه، وحركته الاجتماعية.
- ابتداءً من حق النفس، بعدم ظلمها، أو سَوْق الأذى إليها، أو قتلها؛ فإن نفس المسلم أمانةٌ عنده يُسأل عنها يوم القيامة.
  - وكذلك حق الوالدين، والأقارب والأرحام، وحق الزوجين والأولاد، وحق الخدم والجيران، والأصدقاء والزملاء.
  - إضافة إلى حق المريض في الزيارة، وحضور الجنازة، والتلطف بالجلس، ورحمة الصغير واليتيم، وتوقير العالم والكبير.
  - إلى جانب حق المرأة بالرعاية : الأم والزوجة وال بنت، إضافة إلى حق الطريق والمجلس، وحقوق الفقراء والمساكين والسائلين.
  - فالناظر يجدها حقوقاً كثيرة متشعبة، فإذا أضاف إليها حق البيئة والحيوان والنبات وجد المسلم نفسه مطوّقاً بمنظومة واسعة وكبيرة من الحقوق الشرعية ، التي ألزمه الله تعالى برعايتها، والتي يشملها ويتنظمها قوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ .
  - فما من حق شرعه الله تعالى إلا وجدت ظلَّ العدل والإحسان قد أظله بظلاله الصالحة، وما من باطل حرمه الله تعالى إلا وجدته ممقوتاً مظلماً، تأباه النفوس الكريمة، وتمجُّه الطباع الحسنة.
  - أيها الإخوة المسلمون : إذا استقر هذا الفهم، فما بال مجتمعات اليوم التي تتشدّق بالحرية والديموقراطية، ما بالها قد تنكّبت طريق الحق والعدل والقسط، في صور من المآسي والمظالم الكثيرة.
  - حتى إن مجتمعات اليوم من كثرة ما فيها من المظالم والمآسي لتوصف بالغايات، التي تقوم على شريعة القوة والبطش، لا على شريعة العدل والقسط.

- ولئن كانت المجتمعات الكافرة تعذر بجهلها، فليس بعد الكفر ذنب، فما بال المجتمعات الإسلامية؟
- التي تُتلى فيها آيات الله، وتسمع فيها أحاديث الرسول ﷺ، ويعظ فيها العلماء، ويحدّث فيها الفقهاء، ما بالها غرقت في المظالم والمآسي؟!
- حقوق ضائعة بين الآباء والأبناء، ومظالم بين الرجال والنساء، واضطهاد بين العمال والكفلاء.
- الكل حريص شحيح بحقوقه، بارد ثقيل سمج عند حقوق الآخرين، ولا تكاد تنتزع منه حقاً إلا بشق النفس.
- يستمتع أحدهم ويطرب حين يحتال على الآخرين، وقد نسي: ﴿ وَيَلْ لِّلْمُطَفِّينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزُّوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ .
- ونسي قوله ﷺ: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة، وإن كان قضيباً من أراك»، يعني: وإن كان سواكاً.
- فكيف بمن اغتصب الأموال الطائلة ، من الأراضي والممتلكات ، ممن يأكلون أموال الناس بالباطل.

\* \* \*

- أيها الإخوة : يقول الرسول ﷺ في شأن ظلم الحقوق: «من أعان ظالماً ليدحض بباطله حقاً : فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله».
- ويقول في حقوق الضعفاء : «إن الله تعالى لا يقدرس أمة لا يعطون الضعيف منهم حقه».
- ويقول في شأن المحتالين: « إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليّ، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن

- قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو ليتركها».
- ويقول في شأن حق الحيوان: « ما من إنسان يقتل عصفوراً فما فوقها بغير حقه إلا سأله الله عنها يوم القيامة».
- ويقول في حق النبات : «من قطع سدره صوب رأسه في النار».
- إن المسلم لا يعيش في الحياة هملاً بلا أحكام تضبطه، وإنما قد أحاطته شريعة كاملة ، تنتظم حياته كلها، وتحدد له سلوكه، وتضبط له معاملاته، ليس مع بني البشر فقط ، ولكن مع كل ما حوله.

## ٢ - المظالم الاجتماعية

- أيها المسلمون : أينما نظر المتأمل في واقع الحياة المعاصرة : وجد الجميع يندد بالظلم، ويطالب بالعدل.
- فترى الحكومات والمنظمات والهيئات ، وآحاد الناس : الكل يذمُّ الظلم ويمتدح العدل ويُشيد به.
- ولا يُعرف عصر تشدق أهله بمدح العدل وذم الظلم كعصرنا هذا، حتى إنك لتتعجب: أين الظالمون؟!
- ومع كل هذا فلا يُعرف عصر كثرت فيه المظالم، وقلَّ فيه العدل كعصرنا هذا للأسف.
- فأينما نظر المتأمل وجد الظلم قد استشرى في جميع جوانب الحياة المعاصرة، وعلى جميع المستويات.
- فهذا ظلم الدول بعضها بعضاً، وهذا ظلم الجماعات والأقليات، وهذا ظلم الآباء والأمهات، وهذا ظلم الأبناء والبنات، وهذا ظلم المديرين والرؤساء، وهذا ظلم الموظفين والعمال، وهذا ظلم المساكين والفقراء، وهذا ظلم النساء والأطفال.
- فأينما جُلَّتْ بصرك في عالمنا المعاصر: وجدت مظلوماً في ماله، أو عرضه، أو نفسه.
- فهذا المسجون بغير حق، وهذا المضروب بغير ذنب، وهذا المقتول بغير جرم.
- حتى إن ظلم العباد قد ملأ فضاء السماء، وقيعان البحار، وأودية الدنيا، فلم يسلم من ذلك طير ولا دابة ولا سمكة.

- حتى إن بعض العقلاء من فرط تشاؤمهم لا يتوقعون أملاً في الإصلاح إلا بالمهدي، يملؤها عدلاً كما ملئت ظلماً.
- أيها الإخوة : يقول الله تعالى في التحذير من الظلم : ﴿ وَمَنْ يَظْلِمِ مِّنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ .
- ويقول : ﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ .
- ويقول : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .
- وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً بينكم ، فلا تظالموا».
- والرسول ﷺ يقول : «اتقوا الظلم ؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة».
- ويقول أيضاً ﷺ : «من أعان على خصومة بظلم : لم يزل في سخط الله حتى ينزع».
- ويقول ﷺ : «يا أيها الناس اتقوا الله، فإنه لا يظلم مؤمن مؤمناً إلا انتقم الله تعالى منه يوم القيامة».
- أيها الإخوة : إن الله لا يرضى بظلم دواب الأرض وحشراتهما، فقد دخلت امرأة النار في هرة حبستها حتى ماتت، وعاتب الله نبياً حين أحرق قرية نمل ، فكيف بظلم الناس؟!
- يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: «إياك ودعوات المظلوم، فإنهن يصعدن إلى الله كأنهن شرارتٌ من نار».
- وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى عماله يعظهم : «إذا دعيتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم فاذكر قدرة الله عليك».
- ولما انتقم الله من البرامكة وصاروا إلى السجون بعد الملك والعز ، قال ولدٌ

لأبي يحيى البرمكي: «يا أبتِ بعد الأمر والنهي والأموال صرنا إلى هذا؟! قال: يا بني دعوة مظلوم غفلنا عنها، لم يغفل الله عنها».

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾.

\* \* \*

- أيها المسلمون : الظلم ثلاثة أنواع: ظلم يغفره الله، وهو ظلم العبد نفسه، فيما بينه وبين الله تعالى من الذنوب والمعاصي.

- وظلم لا يغفره الله أبداً ، وهو الشرك الأكبر، كما قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

- وأما الثالثُ ، فهو ظلم لا يتركه الله، وهو ظلم العباد فيما بينهم، فلا بد فيه من القصاص يوم القيامة ، وإرجاع الحقوق إلى أهلها.

- وليس ثمّة دينار ولا درهم يومئذٍ ؛ وإنما هي الحسنات والسيئات، فإذا فنيت حسنات الظالم أخذ من سيئات صاحبه فطحرت عليه.

- فَلْيَسْتَعِدِّ الظالمون ليوم يُسألون فيه عن الصغير والكبير ، والعظيم والحقير، لا يخفى على الله من أمرهم شيء.

- وليستبشر المظلومون ، فعمّا قليل تنجلي العمّة ويظهر المكنون، ويأتيهم نصر الله : « وعزتي وجلالي لأنصرتك ولو بعد حين ».

- فإذا أغلقت الأبواب في وجه المظلوم ، فإن أبواب الله مشرعة مفتوحة، وفي الحديث: «من دعا على من ظلمه فقد انتصر».

- وقد جعل الله المظلوم بين ثلاث: إما أن يدعو على من ظلمه، أو يصبر عليه، أو يسامحه، ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

- ثم إن من واجب المجتمع المسلم أن يقوم مع المظلومين، وأن يسعى في رد الظلم عنهم، فإن قصر وهو قادر فلا خير فيهم.
- يقول الرسول ﷺ: «إذا رأيتم أمتي تهاب الظالم أن تقول له: إنك أنت ظالم، فقد تُودَّع منهم».



### ٣ - الحياة الاجتماعية بين المغام والمغرم

- أيها المسلمون : يفتقر الإنسان إلى البيئة الاجتماعية، يحيا فيها، ويتفاعل معها، ويؤثر فيها، ويتأثر بها.
- ولا يمكن للإنسان أن ينال صفاته الإنسانية إلا من خلال المجتمع، يتلقى عنه اللغة والعقائد والثقافة ، والمهارات المختلفة.
- فلو قدر للإنسان أن يحيا حياته كلها محروماً من المجتمع: فإنه يفقد إنسانيته الحقيقية ، ولا يبقى معه إلا صورة الإنسان.
- أيها الإخوة : ومع الأهمية الكبرى للمجتمع في حياة الإنسان، فإن العيش في الوسط الاجتماعي له ضريبتة وآلامه ومعاناته.
- إن المجتمع يُطالب الفرد بمسؤوليات كبيرة تجاه : نفسه، وأسرته، ووسطه الاجتماعي ، لا تخلو هذه المسؤوليات من معاناة وجهد وجهاد.
- إن المجتمع من خلال نظمه المتعددة يطالب الفرد في خاصة نفسه بمعايير وأخلاق وسلوكيات لا بد منها.
- فإن خالف واتبع هواه : عُوتب وعُزِر وعُوقِبَ ، حتى يعود إلى الاستقامة والانضباط الاجتماعي.
- وهو مطالب بمسؤوليات تجاه أسرته، من: النفقة، والقوامة، والرعاية، والتربية، فإن قصر: حُوسب على ذلك.
- وهو مطالب - أيضاً - تجاه المجتمع العام: بمسؤوليات اجتماعية عامة، تفرضها طبيعة الحياة الاجتماعية، وتُلزم بها الأفراد.
- فهو مطالب تجاه المجتمع باحترام نظام الدولة، ومراعاة الآداب العامة، والتلطف بالقرابة والصداقة والجيرة، وإتقان العمل والصناعة.

- فإن فرط في شيء من ذلك، أو أهمل فإنه يُعاقب، أو يُسجن، أو يُغرّم بقدر مظلّمته وتقصيره تجاه أصحاب الحقوق.
- وهكذا - أيها الإخوة - لا تخلو الحياة الاجتماعية من معاناة ومكابدة ، يلتزم فيها الفرد تجاه : نفسه وأسرته ومجتمعه بأمور لا بد منها.
- فبقدر ما يغنم الفرد في المجتمع من مصالح كثيرة، فإنه مقابل ذلك يغرم، فيقدّم من نفسه جهداً لا بد منه.
- ولهذا نصّ الفقهاء: (أن العُنم بالغرم، والغرم بالعُنم) يعني: بقدر ما تغنم من المصالح : تغرم من المفسد.
- فالإنسان في المجتمع يغنم من السلطان مصالح كثيرة في : حفظ الأمن، وطلب المعاش، ومع ذلك يغرم - في بعض الأحيان - بسببه مفسد من ظلم وتقصير.
- والإنسان في وسطه الاجتماعي يأنس به، ويتنفع منه، ومع ذلك لا يسلم من أذى يلحقه في : نفسه أو عرضه أو ماله.
- فهذا يظلمه، وهذا يشتمه، وهذا يختلس من ماله، وهذا يفترى عليه، وأقلُّ القليل : متهورٌ يأتي فيصدم سيارته.
- وأما الإنسان مع أسرته؛ فإنه ينعم بزوجته، ويأنس بولده، ومع ذلك فإنه يكدح عليهم ويشقى، وربما لاقى من زوجته العنت والصدود وكفران العشير، وربما لاقى من ولده العقوق ونكران الجميل، وهكذا الإنسان في سيره الاجتماعي لا يخلو من مغنم ومغرم.
- فلو أراد أحدنا أن تصفو له الحياة الاجتماعية بمصالحها دون مفسدها : فإنه واهم يسعى نحو السراب، ويطلب المستحيل.
- فإن رأى الانعزال عن حياة الناس وترك الاختلاط بهم، والتخفُّف من

- الأسرة والأولاد ، والخروج إلى البوادي والشعاب ؛ فإنه يطلب أمراً عسيراً لا يقدر عليه إلا نواذر الناس .
- فمن يطيق أن يحيا بلا أسرة يأوي إليها، ولا مجتمع يخالطه، ولا مسجد يصلي فيه، ولا سلطان يرعى شؤونه ، ويحمي الثغور ؟
- إنه يروم المستحيل ، ويطلب ما لا يكون ، ومن هنا - أيها الإخوة - جاءت الشريعة الإسلامية - في المسألة الاجتماعية - بالأمر : بالصبر والاحتساب والعفو والصفح .
- ﴿ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ،  
﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ .
- ﴿ اذْفَعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ السِّيئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ .
- ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ... ﴾ .
- ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ... ﴾ .



- أيها المسلمون : إن الحياة الاجتماعية لا تخلو من مفاصد ومظالم وآلام، مع ما يتخللها من مصالح ومنافع وخيرات، ومن هذا الذي تصفو له الحياة بغير كدر؟!
- أيها الإخوة: أي ألم يجده الرجل حينما يكتشف أن زوجته تخونه مع أعز أصدقائه، كيف تطيب له الحياة ؟
- كيف تأخذ الفتاة حقها من زوج طلقها في نفاسها بعد أن دخل بها بتسعة أشهر، ثم أخذ مالها ، وانتزع منها رضيعتها فلم ترها خمس سنوات ؟

- ماذا يصنع جار بجاره ، يُطلق عليه مياه الصرف الصحي ، ويترك أولاده يعبثون بممتلكاته، ولا يترك فرصة إلا شكاه هنا وهنا.
- يُصادق أحدهم صاحبه دهنراً طويلاً ، وفي يوم من الأيام ، وبلا مقدمات ينقلب عليه عدواً لدوداً ، يفترى عليه ويكذب.
- طبيب تسلّمه نفسك، وتثق في علمه ومهارته ، فتخرج من عنده أسوأ مما كنت، هذا فقد بصره، وهذا شلّت أطرافه وهكذا.
- يوشي أحدهم بالرجل عند السلطان، فيكتب فيه التقارير الباطلة، فيأخذه أعوان السلطان ويعذبونه، ثم يتضح أنه بريء.
- كم هو صعب - أيها الإخوة - أن يأتي الظلم ممن تنشد عنده العدل، وتأتي القطيعة ممن ترجو عنده الوصل ؟
- كم هو شديد أن تأتي الخيانة ممن تظن عنده الأمانة، ويأتي الافتراء ممن تظن به الصدق ؟ إنها ضريبة المجتمع لمن أراد الحياة بين الناس.
- اللهم اكفنا شر الأشرار ، وكيد الفجار ، وشر طوارق الليل والنهار ، إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمان.

## ٤ - مداراة الناس

- أيها المسلمون : لقد خلق الله الإنسان اجتماعياً بطبعه، لا يستغني عن الناس، وتصعب عليه الوحدة والانفراد.
- وقلّ أن يُوجد في الناس من يطيق الوحدة والانعزال، ولاسيما في هذا الزمان ، الذي كثرت فيه حاجات الناس وتشابكت مصالحهم وتداخلت.
- جاء رجل إلى وهب بن منبه رحمه الله فقال: « إني قد حدثت نفسي أن لا أخالط الناس، فما ترى ؟ قال : لا تفعل؛ إنه لا بد للناس منك، ولا بد لك منهم، لك إليهم حوائج ، ولهم إليك حوائج».
- أيها الإخوة: وعلى الرغم من أهمية المخالطة للناس ؛ فإن فيها كثيراً من الآلام والأحزان، وتحتاج إلى مجاهدة وصبر ومداراة.
- يقول أبو الدرداء رضي الله عنه : «أدركت الناس ورقاً لا شوك فيه، فأصبحوا شوكاً لا ورق فيه، إن نقدتهم نقدوك، وإن تركتهم لا يتركوك، قالوا: كيف نصنع؟ قال: تُقرضهم من عرضك ليوم فقرك».
- ويقول - أيضاً - : «ما من يوم أصبح فيه لا يرميني الناس فيه بداهية، إلا عددتها لله عليّ نعمة».
- إن أقلّ ما يتنازل عنه المسلم العاقل في مخالطته للناس: أن يغض الطرف عن الإساءة، ولا يدقق في معاملته مع الناس ؛ فإنه إن أصرّ على معاملة الناس بالمثل، والتدقيق معهم: طال حزنه، ولم يشف غيظه.
- ثم إن تنازل المسلم عن بعض حقّه، ولاسيما من عرضه فإنها صدقة، فقد دعا عُبلة بن زيد الأنصاري رضي الله عنه فقال: «اللهم إني ليس لي مال أتصدق به، فأيا رجل من المسلمين نال من عرضي شيئاً فهو عليه صدقة،

- فلما كان من غدٍ، قال الرسول ﷺ: أين المتصدق بعرضه البارحة؟ فقام عُليّة بن زيد فقال: أنا، فقال النبي ﷺ: قد قبل الله صدقتك».
- يقول الرسول ﷺ عن الصبر على الناس في مخالطتهم: «المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم : أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم».
- وقد يتلى المسلم بشخص يعاشره، ولا يستطيع الفكاك منه، فلا بد - والحالة هذه - أن يعاشره بالمعروف، وإلا تفاقم الشر بينهما.
- وفي هذا يقول محمد بن الحنفية رضي الله عنه : « ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدءاً حتى يجعل الله له فرجاً ».
- والناس إما مؤمن قد كفاك شره، وعصمه الإيمان من أن يُسيء إليك ، فهو ملجئٌ بلجام التقوى، وهذا النوع من الناس قليل.
- وإما جاهل معاند سليط اللسان ، إن جاريته غلبك، وإن نصحته ردك، وإن سكت عنه ما تركك، وهذا النوع من الناس كثير.
- ومع هذا الصنف من جهلة الناس يقول الله تعالى في نهج السلوك معهم: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ ؛ يعني : يصفحون عنهم ، ولا يخوضون معهم في باطلهم ، ولا يجارونهم في سلوكهم.
- يقول أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ، قال: «الرجل يشتمه أخوه، فيقول: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك».
- يقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله : «يا بني إذا سمعت كلمة من مسلم فاحملها على أحسن ما تجد، حتى لا تجد محملاً».

- وكان يقول: «أعقل الناس أعذرهم لهم».
- ويقول الحسن البصري رحمه الله: «التودد إلى الناس نصف العقل».
- ويقول أيوب السخيتاني رحمه الله: «لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عما يكون منهم».
- يقول حميد بن هلال العدوي البصري رحمه الله: «أدركت الناس يعدُّون المداراة صدقة، تُخرجُ فيما بينهم».
- وقال - أيضاً - : «إذا بلغك من أخيك ما تكره، فآلقه بما يُحب ، فإنك تقضمه جمرته ، وهو لا يشعر » ؛ يعني تعيد إليه إساءته وهو لا يشعر.
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾.



- أيها الإخوة : إن من الضروري أن يفرِّق المسلم بين المداراة التي أمرنا بها، وبين المداهنة الممنوعة شرعاً، فالمداراة : خفض الجناح للناس ، ولين الجانب ، والعفو عن الخطأ ، وبذل الكلمة الطيبة، وترك الغلظة في القول والفعل، وتجنب الصدام والإثارة.
- أما المداهنة: فهي معاشرة أصحاب الباطل بإظهار الرضا بأفعالهم القبيحة، وعدم الإنكار عليهم، وهذا ممنوع شرعاً.
- وقد كان الرسول ﷺ يداري الناس ، ولاسيما جفاة الأعراب، من أصحاب الجاه والسلطة، ولكنه ما كان يداهنتهم ، ولا يقرُّهم على باطل.
- فقد قال - عليه الصلاة والسلام - عن أحدهم حين سمع صوته : « بسس

أخو العشيرة «، ثم بَشَّ له وهشَّ في وجهه حين دخل عليه ، وقال مبرراً سلوكه هذا - عليه الصلاة والسلام - : « إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من ودَّعَهُ الناسُ ، أو تركه الناسُ اتقاءً فحشاه » ، فهذه - أيها الإخوة - المداراة التي أمرنا بها.



## ٥ - صناعة المعروف

- أيها المسلمون : يظن بعض الناس أن الأعمال الصالحة مرتبطة بمواسم معينة ، تبدأ معها وتنتهي بانتهائها.
- فترى بعض الناس ينشط للأعمال الصالحة والبر والإحسان في رمضان، فإذا انقضى الشهر قطع على نفسه الأجر والثواب.
- ولئن كانت مواسم الخير تتأكد فيها الأعمال الصالحة لمضاعفة الأجر، فإنها مع ذلك غير مرتبطة بها، ولا مشروطة بها.
- فالصلاة المفروضة والنفل، والزكاة، والصدقة، وقراءة القرآن، والذكر، كلها - وغيرها كثير- غير مرتبطة برمضان ولا بغيره من الشهور ، وإن كانت تضاعف في بعض الأزمنة والشهور.
- وكذلك صيام النفل، وصلة الأرحام، والتوسعة على العيال، ولبس الجديد، ليست مرتبطة بشوال، وإن كانت تتأكد فيه.
- إن أيام المؤمن وساعاته ولحظاته كلها مواقع للعمل الصالح، لا يُبدد شيئاً منها في غير نفع، وليس للمؤمن منتهى من العمل الصالح إلا بالموت.
- وحتى الموت فإنه لا يحول دون استمرار الأجر والثواب، فأين الصدقة الجارية ، والعلم الذي ينتفع به ، والولد الصالح الذي يدعو له؟.
- أيها المسلمون: لقد فتح الله لنا أبواب المعروف والخير كأوسع ما يكون، نلجها في كل وقت وحين، لا تتقيد بزمان ولا مكان.
- كما قال تعالى : ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾.
- وقال: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.
- قال الرسول ﷺ : «كل معروف صدقة».

- وقال -أيضاً- : « صنائع المعروف تقي مصارع السوء » .
- وقال - أيضاً - : « إن أهل المعروف في الدنيا: أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا: أهل المنكر في الآخرة » .
- وقال - أيضاً - : « إن من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس ناساً مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه » .
- أيها المسلمون: إن من أوسع أبواب الخير التي فتحتها الله تعالى لنا: صناعة المعروف للناس، فقد قال الرسول ﷺ : «خير الناس أنفعهم للناس» .
- وهذا باب شامل واسع يستوعب كل فعل أو قول حسن يمكن أن ينفع الناس ، ابتداءً من إنقاذ حياتهم من الهلاك ، حتى التبرُّم في وجوههم .
- فهذا الملهوف الذي اجتاحتته مصيبة ، يحتاج إلى من يأخذ بيديه ليدلّه على المخرج من مصيبتة .
- وهؤلاء أصحاب الحاجات المكروبون ، يحتاجون إلى من يمشي معهم في حاجاتهم لتتقضى ؛ فإن الله عبادةً خصّهم لقضاء حاجات الناس .
- وفي الحديث : «من فرّج عن أخيه كربة من كرب الدنيا : فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر على مسلم : ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله عز وجل في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه» .
- وهؤلاء الفقراء ممن ضاقت بهم السبل، وعجزوا عن الكسب، هم في حاجة إلى أهل المعروف يتصدّقون عليهم .
- وفي الحديث: «إن العبد ليتصدق بالكسرة، تربو عند الله حتى تكون مثل أحد» .

- وفي الحديث - أيضاً - : «إن الله تعالى يُدخل بلقمة الخبز ، وقبضة التمر، ومثله مما ينفع المسكين ثلاثة الجنة: صاحب البيت الأمر به، والزوجة المصلحة، والخادم الذي يناول المسكين».
- والإسلام يحترم الصدقة وإن كانت قليلة، والمسلم لا يحتقر شيئاً يقدمه بين يدي لقاء ربه، فإن المرء في ظل صدقته يوم القيامة ، فهنيئاً لمن وسَّع ظله.
- ومن الناس من لا حاجة له إلى المال ولا إلى الجاه، فعنده ما يكفيه منهما، ولكنه في حاجة إلى استشعار الرحمة من إخوانه المسلمين.
- فإن الشعور بالرحمة والود من المسلمين من أعظم معاني السعادة التي ينشدها الإنسان ، حتى وإن كان غنياً .
- والنبي ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده لا يضع الله الرحمة إلا على رحيم، قلنا: يا رسول الله كلنا رحيم، قال: ليس الذي يرحم نفسه وأهله خاصة، ولكن الذي يرحم المسلمين».
- وقال - أيضاً - : «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض : يرحمكم من في السماء».
- وإن من أعظم أبواب المعروف : تعليم الناس الخير، ودعوتهم إلى الهدى، ودلالتهم على الخير وأعمال البر ؛ فإن من دعا إلى هدى كان له مثل أجور من تبعه، ومن دلَّ على خير كان له مثل أجر فاعله، فهذا باب واسع لطلاب الأجور والثواب .
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

\* \* \*

- أيها المسلمون : إن فضل الله عظيم، ورحمته واسعة، تنتظر طلابها ومستحقيها، ممن بذل المعروف، وصنع الخير.
- لقد غفر الله لزانية من بني إسرائيل حين سقت كلباً، أفلا يغفر لمسلم مصلٌ يبذل المعروف للمسلمين؟ فيهيئ لهم من الماء ما يشربونه.
- لقد غفر الله لرجل أزاح شجرة عن طريق الناس حتى لا تؤذيهم ، أفلا يغفر لرجل سعى لفتح طريق يعبر منه المسلمون لحاجاتهم ؟
- إن الله يثيب الرجل حين يخدم أهله، ويثيبه على الكلمة الطيبة يقولها، ويثيبه حتى على تبسُّمه في وجه إخوانه المسلمين حين يلقاهم .
- أيها المسلمون: إن المشكلة لا تكمن في قلة أبواب الخير، أو صعوبة بلوغها، أو جهلنا بها، وإنما تكمن في قصور هممتنا، وضعف عزميتنا، وقلة رغبتنا في بلوغها، فهل من عزيمة صادقة، ونية خالصة نبلغ بها بعض أبواب الخير.
- اللهم وفقنا لذلك، وبلغنا إياه بفضلك يا رب العالمين.

## ٦ - صلة الأرحام

- أيها المسلمون : لقد خلق الله الإنسان اجتماعياً بطبعه، يستوحش الوحدة، ويكره الانفراد بنفسه.
- ولقد خلق الله الإنسان بأشواق لا يمكن أن تنمو وتزدهر إلا في وسط اجتماعي فعّال يحتك فيه بالآخرين.
- فالإنسان مفتقر بطبعه إلى الجماعة الإنسانية يعيش فيها، ويتعامل معها، ويتفاعل مع أفرادها.
- ولما كان للإنسان هموم وأشواق وحاجات لا يمكن أن ييئتها في جميع الناس في المجتمع : جعل الله له الرحم من قراباته.
- فالرحم تجمع العائلة الواحدة في قلب من التراحم والتعاطف والتكافل، مما لا يجده الفرد في المجتمع ككل.
- فالقرابة مجتمع صغير أكثر انسجاماً وتوافقاً وتفاهماً من الوسط الاجتماعي الكبير.
- يجد الفرد في ذوي رحمه : الأُنس والانسجام والتأييد، إذا حزن وجد من يواسيه، وإذا احتاج وجد منهم العون ، وإذا مرض جاء منهم من يعود.
- ولكم أن تتخيلوا شخصاً منقطعاً عن رحمه وقراباته كيف تكون حياته، وكيف يواجه مشكلاته؟
- إذا احتاج إلى المال لم يجد من يعينه، وإذا احتاج إلى الأُنس لم يجد من يُؤنسه، وإذا مرض لم يجد من يعود.
- وربما مات في بيته، فلا يتفطن أحدٌ لموته إلا حين تتعفن جثته، فيتفطن الناس له.

- ومن هنا ، ومن هذه الحاجات الضرورية الفطرية : جاءت الشريعة بالأمر بصلة الأرحام، والحرص على القربات، والتحذير من القطيعة.
- يقول الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ .
- ويقول الرسول ﷺ : « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم » .
- ويقول ﷺ في فضل الصلة وثوابها: «صلة الرحم تزيد في العمر» .
- ويقول ﷺ أيضاً: « من أحبَّ أن يُبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره ، فليصل رحمه » .
- وكان أول كلامه ﷺ للناس حين دخل المدينة : « يا أيها الناس: أفسحوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام » .
- وكان إذا سأله السائل عن عمل يدخله الجنة قال: « تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم » .
- وفي الجانب الآخر جاء التهديد الشديد على قطيعة الأرحام، يقول الرسول ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴾ .
- ويقول ﷺ : « الرحم تنادي: ألا من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله » .
- وقال: « لا يدخل الجنة قاطع » .

- وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يروي عن رسول الله ﷺ قوله: «إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم».
- فكان إذا أراد الدعاء يناشد من في المجلس إن كان بينهم قاطع رحم أن يقوم عنهم ، فإن أبواب السماء تغلق عن قبول الدعاء.
- اللهم وفقنا للصلة، وجنبنا القطيعة، ولا تجعل فينا ولا معنا شقياً ولا محروماً يا رب العالمين.



- أيها الإخوة : إن الناظر في أحوال الناس مع صلة الأرحام، يجدهم على ثلاث مراتب : إما واصل ، أو مكافئ ، أو قاطع.
- فأما الواصل فهو الذي إذا قُطعت رحمته وصلها، بمعنى أنه يصل من قطعه، ويصبر على أذاه.
- وأما المكافئ فهو الذي يصل من وصله، ويقطع من قطعه، بمعنى أنه يعامل أرحامه بمثل ما يعاملونه به من الأخلاق الاجتماعية.
- وأما القاطع - والعياذ بالله - فهو الذي يقطع من وصله، ويقطع من قطعه، لا يبالي بشيء من ذلك ، وهذا بأخبث المنازل.
- لقد أجمع المسلمون على مرّ التاريخ الإسلامي على وجوب صلة الرحم، وحرمة القطيعة، حتى مع غير المسلمين.
- فقد أذن الشرع للمسلم أن يصل رحمه من غير المسلمين، فقد أذن الرسول ﷺ لعمر رضي الله عنه أن يصل أخاه الكافر ، وأذن لأسماء رضي الله عنها أن تصل أمها الكافرة.
- والرحم تشمل جميع الأقارب ، إلا أنها تتأكد للوالدين، ثم للمحارم، ثم الأقرب فالأقرب.

- والصلة واجبة على الجميع من الصغار والكبار ، بعضهم تجاه بعض ، إلا أنها تتأكد من الصغار إلى الكبار من باب الاحترام ، وإلا فالكل مطالب بالصلة ، والمسارة فيها.
- والصلة تحصل بالزيارة، والمساعدة، والاتصال، والتهنئة، وإجابة الدعوة، وعبادة المريض، والتعزية، وكل ما من شأنه ربط الأقارب فيما بينهم.
- وأقلُّ الصلة : السلام من وقت لآخر، وفي الحديث قال الرسول ﷺ : « بلُّوا أرحامكم ولو بالسلام».
- وإن العاقل ليتعجب من بعض الآباء والأمهات ، إذا دبَّ الخلاف بين الكبار فتقاطعوا ألزموا بذلك الصغار، فأمرهم بالقطيعة .
- والشريعة تنصُّ على أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ومع ذلك فقد يُجبر الصغار على مسايرة الكبار في القطيعة، وهذا حرام لا يجوز.
- إن من أعظم أسباب القطيعة بين الأقارب : التحاسد فيما بينهم ، والمظالم الواقعة فيهم ، ولاسيما في الأموال، ومواقف سوء التفاهم، والنميمة التي ينقلها بعض الناس بين الأقارب، ولاسيما فيما ينقله النساء إلى أزواجهن من الأخبار الكاذبة ، أو المبالغ فيها.
- فلو طهَّر الناس قلوبهم من الحسد، وأقاموا العدل فيما بينهم، وكفُّوا عن سماع النميمة : لانتهدت مشاكل الناس ، وحصل الاستقرار الاجتماعي.
- أيها المسلمون: لقد اشتق الله للرحم اسماً من اسمه، فهو الرحمن وهي الرحم، وما من ذنب أجدر أن يعجِّل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا من قطيعة الرحم، فاستعينوا بالله على صلة أرحامكم، وكفِّ الأذى عنهم.
- اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه من الأقوال والأعمال.



## ٧ - إصلاح ذات البين

- أيها المسلمون : إن من أعظم ما يضرُّ بالمجتمعات ، ويفتك بها، ويقوِّض أركانها: فساد ذات البين.
- فإن المجتمع الإنساني يقوم على روابط وعلاقات متنوعة ، تضم الناس في إطار اجتماعي واحد.
- فإذا دبَّ الخلاف بينهم، وكثر الشقاق والنزاع: افترق الناس وتباعدوا، وربما تناحروا وتقاتلوا.
- إن فساد العلاقات الاجتماعية، واتساع رقعة الخلاف بين الناس: نذيرٌ بأفول المجتمع واندثاره.
- أي كيان يبقى لمجتمع افترق أهله وتناثروا وتباعدوا، وطعن بعضهم في بعض، وخونٌ بعضهم بعضاً؟!!
- والناظر في بعض المجتمعات المعاصرة يجد الأثر المدمر للتنازع والاختلاف، وفساد ذات البين .
- مجتمعات كاملة دبَّ فيها فساد ذات البين، فاختلَّ فيها الأمن، فاختلط فيها الحق بالباطل، وتشابك الناس وتداخلوا، واختلط بعضهم ببعض، فلم يعد يعرف الرجلُ غريمه من صديقه، ولا أخاه من عدوه.
- لقد اختلَّ كلُّ شيء، واضطربت الموازين، فلم يعد أحدٌ يأمن أحداً، حتى الأرحام والأصدقاء والجيران، الكلُّ يتوجَّس من صاحبه.
- فأبي عيش يطيب حينئذٍ؟! ولهذا ترخص الحياة في المجتمعات المضطربة، وتصبح مستباحة بلا حرمة.
- لا يبالي أحدهم أن يبيت قاتلاً أو مقتولاً، لقد استوى في حسه الموت

- والحياة؛ لأنه لم يعد عنده ما يخاف عليه.
- لقد جرّده فتنه فساد ذات البين من مشاعره الإنسانية ، وعواطفه البشرية، وأخلاقه الاجتماعية ، وحوّله إلى كائن بلا مشاعر ولا عواطف ولا أخلاق، غلظة وجفاء، وكذب وافتراء ، حيوان في صورة إنسان.
- أيها المسلمون : لما كان لفساد ذات البين هذه الخطورة الاجتماعية : جاء الإسلام بالنهي عنها، والسعي في الإصلاح والإصلاح.
- يقول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ ، إلى أن قال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ .
- ويقول في الخلاف الاقتصادي: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ .
- ويقول في الشأن الأسري: ﴿ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ .
- ويقول الرسول ﷺ في فضل الإصلاح بين الناس: « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا: بلى، قال: صلاح ذات البين ؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة ».
- وجاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه : « ألا أدلك على تجارة ؟ قال: بلى يا رسول الله ، قال : تسعى في إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا ، وثقارب بينهم إذا تباعدوا ».
- وربما قال لأصحابه: « ألا أدلكم على صدقة يجبها الله ورسوله؟ إصلاح ذات البين إذا تفاسدوا ».
- وكان رسول الله ﷺ أحرص الأمة على إصلاح ذات البين، وجمع الكلمة، ونزع فتيل الشر وأسبابه.

- فما أن يبلغه عن بوادر الشر بين المسلمين إلا سعى إليهم ليصلح بينهم، فيعظهم ويذكرهم بحقوقهم فيما بينهم.
- وكان عليه الصلاة والسلام إذا تنازع اثنان في أمر: قضى بينهما بالعدل، وأصلح الخلاف فيما بينهما بالحق.
- وأعجب من هذا أن يبيح الرسول ﷺ الكذب للإصلاح بين الناس، رغم قبح الكذب، وحقير مقامه.
- فقال ﷺ: « ليس الكاذب الذي يُصلح بين الناس، ويقول خيراً، ويُنمي خيراً».
- فإذا بالكاذب، الذي يُعدُّ من أسوأ الأخلاق ينقلب حسناً من أجل الإصلاح بين الناس.
- بل ربما كان الصدق في مثل هذه المواطن قبيحاً، إذا كان يزيد من الفرقة والشقاق بين المتنازعين.
- اختلف رجل مع زوجته، فقال لها يستحلفها: « أتبغضيني؟ فقالت: أما إنك قد استحلفتني، فنعم »، فبلغ ذلك عمرَ رضي الله عنه، فدعاها وعاتبها على صراحتها مع زوجها، فقالت: « أفأكذب يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، فاكذبي، فإن كانت إحدانك لا تحبُّ أحدنا فلا تحدّثه بذلك؛ فإن أقلَّ البيوت الذي يُبنى على الحب، ولكنَّ الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب».

\* \* \*

- أيها المسلمون: يقول الرسول ﷺ: « تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين

- والخميس، فيُغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا».
- أيها الإخوة : دعوة صادقة لأن نتنازل عن بعض حقوقنا من أجل إصلاح ذات البين، نأخذ على أنفسنا من أجل الصلح ، ورأب الصدع.
- لقد وقف الحسن بن علي رضي الله عنهما موقفاً عظيماً ، تنازل فيه عن حقه في الخلافة لمعاوية رضي الله عنه ، فجمع الله بتنازله هذا كلمة المسلمين ، وحقن دماءهم ، وكان عام الجماعة.
- وقد قال الرسول ﷺ عن الحسن وهو طفل: « إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ».
- فكل من تنازل عن حقه لجمع الكلمة فقد تشبه بالحسن بن علي رضي الله عنهما.

## ٨ - خطر التناقض الاجتماعي على التربية

- أيها المسلمون : يتفق الناس على أهمية القدوة في التربية، وضرورتها في العملية التربوية ، في : البيت والمدرسة والمجتمع.
- فالطفل النامي في حاجة إلى القدوة في والديه وفي معلّميه وأقربائه، وفي كلّ من يحنّكُ به في المجتمع.
- فهو شديد التأثر بمن حوله، يتشرب سلوكهم، ويتقمّص شخصياتهم، ويحاكي طريقتهم في الحياة.
- حتى إن الطفل لينطبع بطابع المجتمع من حوله، فما يلبث طويلاً حتى يصبح واحداً من أفراد المجتمع.
- يشبههم في سلوكهم وأخلاقهم وأفكارهم ، كما يشبههم في لغتهم ولباسهم وأشكالهم ، والإنسان كما قيل : ابن بيئته.
- وإلى هذا الحد يتفق الجميع ولا يختلفون، يقرّون بأهمية القدوة وتأثيرها في الإنسان.
- إلا أنهم حين لا يجدون أثرهم التربوي الصالح في أبنائهم وتلاميذهم: يتعجّبون ويستنكرون.
- يزعمون أنهم قاموا بأدوارهم التربوية خير قيام، ومع ذلك لم يجدوا الأثر المطلوب في النشء.
- فبدلاً من أن يرجعوا باللائمة على أنفسهم وعلى مجتمعهم، يلتقون بها على القضاء والقدر.
- فهم حسب زعمهم قد قاموا بما أوجبه الله عليهم، ولكن الله أراد غير ذلك، فلا دخل لهم في ضلال أولادهم وتلاميذهم.

- وكأنهم يقولون: إن الإنسان لا مشيئة له، سواء قام بواجبه التربوي أو لم يقم به، فإن ما أَرَادَهُ اللهُ حَاصِلٌ لَا مَحَالَةَ.
- إنهم بهذا الفهم القاصر للقضاء والقدر يهدمون جانب التكليف الذي أمرنا اللهُ تعالى به إذ يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ... ﴾.
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾.
- ويقول الرسول ﷺ: « يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ: مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتَيْتُهُ».
- هذه هي الحقيقة الشرعية التي أمرنا اللهُ بالقيام بها، أن يكون سلوكنا صادقاً، ومطابقاً لأقوالنا ونداءاتنا.
- إلا أن هذه الأزمة التي غرق فيها أكثر المرابين، أنهم اكتفوا بالكلام دون الأفعال، وبالرسوم دون الحقائق.
- أيها الإخوة: لقد تزوج كثير من الناس، وأنجبوا الأبناء والبنات: ثم اتضح أنهم لا يصلحون للرعاية ولا للتربية.
- ودخل جمع كبير من الناس سلك التربية والتعليم، فإذا بهم لا يصلحون لتربية ولا لتعليم.
- وكم من أناس تقلدوا مناصب التوجيه والإرشاد، ثم هم بعد ذلك لا يصلحون لشيء من التوجيه ولا للإرشاد.
- لقد ظنَّ بعضهم أن مقام الشخص أو منصبه يعطيه دوره التربوي.

- فظنُّوا أن الأب ما دام أنه أب فلا بد أن يُطيعه أبنائُه، ويمثّلون أوامره ، حتى وإن لم يكن قدوةً صالحةً لهم.
- وظنُّوا أن المعلم ما دام أنه معلم فلا بد أن يمثّل التلاميذ بتوجيهاته، حتى وإن لم يمثّل هو بهذه التوجيهات في سلوكه الواقعي.
- فإذا بالواقع المشهود يكذب الجميع، فلا الأبناء أطاعوا الآباء، ولا التلاميذ انصاعوا للمعلمين.
- إن الأبناء والتلاميذ يقولون بلسان الحال: « إنا لا نطيع إلا من كان قدوةً صادقةً صالحةً في نفسه ».
- لقد وضعنا هؤلاء الصغار على المحكِّ التربوي الفاضح ، شئنا أم أبينا، أحببنا ذلك أو كرهنا.
- أيها المسلمون : لقد مرَّ على الحياة الإنسانية نماذج عظيمة للقدوة من الأنبياء والعلماء والفضلاء، ومع ذلك لم يؤثروا في جميع الناس.
- بل إن النبي القدوة ، المؤيّد من السماء يأتي يوم القيامة ومعه الرجل والرجلان، وربما جاء بعضهم وليس معه أحد.
- فإذا كانت القدوة الكاملة، بكل ما تحمله من الجمال والبهاء : تفقد في بعض الأحيان تأثيرها في الناس أو يضعف، فكيف إذا تخلّفت القدوة وضعفت في نفسها ؟
- أيها الإخوة : إن النشء في حاجة إلى أن يرى معتقداتنا ومبادئنا مطبّقة في واقع حياتنا، وليس في خيال زائف لا حقيقة له.
- إن النشء في حاجة إلى أن يعيش الأخلاق التي تعلّمها في المنهج المدرسي في الواقع الذي يعيشه في المجتمع.
- لقد صكّت أذان أبنائنا وتلاميذنا من كثرة كلامنا ووعظنا، دون أن يعيشوا

الجانب التطبيقي العملي للقدوة التربوية الصالحة.

- إنها مصيبة كبيرة حين يفقد النشء الجديد القدوة الصالحة في المرين، من الآباء والمعلمين ، فلا يجدون النماذج السلوكية التي تترجم الأقوال إلى أفعال.

- أيها الإخوة : ليستقر في أذهاننا : أن النص من القرآن أو السنة لا يؤثر وحده في النشء ، حتى تحمله إليهم القدوة الصالحة بالأسلوب الصحيح في سلوك عملي واقعي، وما لم يتحقق ذلك من المرين فلن ينصاع النشء للنصوص وحدها ، إلا أن يشاء الله تعالى.

\* \* \*

- أيها الإخوة : لا يُعرف عصر انتشرت فيه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة كعصرنا هذا، ولا يُعرف - أيضاً - عصر ضعف فيه تأثير النصوص الشرعية في الناس كعصرنا هذا، وما ذاك إلا حين جاء النص مجرداً عن القدوة العملية، منفصلاً عنها.

- وكم شاهد النشء في المجتمع وعلى وسائل الإعلام أناساً لا خلاق لهم يلوكون النصوص الشرعية، ويستشهدون بها على قبيح صنيعهم، حتى غدت النصوص الشرعية مطية الفساق إلى مقاصدهم الخبيثة.

- يؤولون القرآن على غير تأويله، ويضعون الحديث في غير مواضعه.

- أيها الإخوة : ماذا نقول للنشء الجديد وهو يشاهد تناقضاتنا الأخلاقية والسلوكية في المجتمع ؟ كيف نستطيع أن نخرج من إحراجنا هذا ؟

- إن أبناء المسلمين يشاهدون على الشاشة الصغيرة صورة الكعبة المشرفة، ويشاهدون معها - أيضاً - صورة المغنية المائعة، وصورة الممثلة الماجنة،



- والمغني الفاتن، والمسلسلة القبيحة.
- ويسمعون في الإذاعات القرآن الكريم، ويسمعون معها الأغاني الهابطة،  
والنغمات الساقطة.
  - ويشاهدون في الأسواق المصاحف وكتب السنة، وإلى جانبها المجلات الخليعة  
والهابطة، والقصص الوضيعة.
  - إنها مسالك متناقضة لا يمكن الجمع بينها، ولا يمكن معها تربية جيل صالح  
سليم من التناقضات السلوكية.
  - أيها الإخوة: هذا واقع غالب مجتمعاتنا الإسلامية، قد غرقت في  
التناقضات التي تصعب معها التربية السليمة.
  - وما لم تحل هذه الأزمة التربوية فلن نتوقع أي تحسُّن جاد في النشء الجديد.
  - اللهم أصلح أولادنا صلاحاً من عندك، ولا تكلِّهم إلينا فيضيعوا.
  - اللهم أصلح ما اعوج من أخلاقنا وسلوكنا، واهدنا لصلاح الأقوال  
والأعمال يا رب العالمين.

## ٩ - حاجة الأمة إلى الشباب

- أيها الإخوة : لقد استقرَّ عند العقلاء أن الشباب في أي أمة هم عمادها، وسرُّ قوتها، وأساس نهضتها.
- فالأمة قاطبة تعتمد على شبابها في خطط تنميتها، وازدهار بلادها، والدفاع عن حياضها.
- فالشباب القوي المتعلم العامل: هم ذخيرة الأمة في مسيرها نحو التفوق والاستقلال والنهضة.
- فالابتكار والتجديد والتطوير : من وظائف الشباب العقلية، والإنشاء والتعمير والتشييد من وظائفهم العملية.
- ويكفي للحكم بالصلاح أو الفساد على بلد من البلاد بالنظر إلى واقع شبابها من جهة : الجد والحرص والمثابرة.
- وأي أمة تخسر شبابها فقد خسرت حياتها ؛ فإن البلاد لا تقوم بالأمرء والرؤساء ، ولا بالشيوخ ولا بالأموال والمنشآت، وإنما تقوم بالشباب.
- فمن هذا الذي يحرك الآلة، ويشقُّ الطريق، ويرفع البناء، ويرد العدو، ويعمرُّ المدارس والجامعات، إنهم الشباب.
- نعم إن الأمم لا تستغني عن علمائها وأمرائها وشيوخها في نظراتهم وتوجيهاتهم وحكمتهم، ولكن يبقى الشباب قاعدة النهضة، وعصب الحياة، وإلا فمن ينفذ أوامر الأمراء، ومن يأخذ بتوجيهات الحكماء، ومن يجلس لدروس العلماء، إنهم الشباب.
- أيها الإخوة : ولئن كان منهج الإسلام قد اهتم بالإنسان في جميع مراحل عمره، فقد خصَّ مرحلة الشباب بمزيد اهتمام ورعاية.

- فقد زكى الله تعالى الفتية الذي اعتصموا بالكهف، ووصفهم بالإيمان:  
﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾.

- ووعده سبحانه وتعالى الناشئ من الشباب في عبادة الله أن يكون في ظلّه يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظل الله تعالى، ففي الحديث: «سبعة يُظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظل إلا ظلّه - وذكر منهم -: وشاب نشأ في عبادة الله».

- وخصّ الله تعالى مرحلة الشباب بمزيد سؤال يوم القيامة، ففي الحديث: «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسألَ عن خمس - ومنها: وعن شبابه فيم أبلاه».

- ولما كانت مرحلة الشباب مرحلة عطاء وقوة وإنتاج: وجّه الرسول ﷺ المسلم لاغتنامها فقال: «اغتنم خمساً قبل خمس - وذكر منها -: وشبابك قبل هرمك».

- ولقد اهتم الرسول ﷺ في دعوته بجيل الشباب، حتى كان جل أتباعه من فئة الشباب؛ لما انطوت عليه طباع الشباب من الرقة، والرغبة في الخير، والشجاعة والإقدام، فكان منهم الشجعان من أمثال: البراء بن مالك، وأبي دجانة، وعامر بن فهيرة، وكان منهم القادة من أمثال: علي بن أبي طالب، وجعفر بن أبي طالب، وأسامة بن زيد، وكان منهم الحفاظ والعلماء من أمثال: ابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو، رضي الله عنهم جميعاً.

- ثم توارثت الأمة الإسلامية هذا المنهج في الاهتمام بالشباب جيلاً بعد جيل، حتى كان العصر الحديث، الذي ظهرت فيه الأمة، وكأنها لا تحسن شيئاً، فخرجت أجيال من أبناء المسلمين على غير النهج الصحيح.

- لقد ظهر على كثير منهم الوهن والكسل، والميوعة والخلاعة، وعمّ كثيراً منهم الجهلُ والترَف، والاستخفافُ بالمبادئ والقيم.
- وأعجب من هذا أن يخرج من شبابنا من يسعى في تحطيم الأمة من خلال التكفير والتفجير، فلا يميّز بين مؤمن وكافر، وبين معاهد ومحارب.
- لقد أخفقنا للأسف في كلِّ شيء حتى في تربية أبنائنا، فأسلمناهم للفضائيات وشبكات الإنترنت تربيهم وتوجههم.
- وها هي ثمار تقصيرنا وتحاذلنا في أجيال من الشباب خرجت لغيظنا وإرهاقنا، بين متطرفٍ ومفرط، وغالٍ وجافٍ.
- لقد ظهرت هشاشة تربيتنا المعاصرة حين غزينا فكرياً، فاستُخِفَّ ببعض شبابنا في مسالك الغلو والتطرف، واستخف بعضهم في مسالك الفساد الخلقي، وإذا بنا نعود في تربيتنا من حيث بدأنا، وكأننا ما عملنا شيئاً.
- إن الشباب طاقة جبارة متحرّكة، لا تقبل الوقوف ولا السكون، إما أن توجه إلى البناء والصلاح، وإما إلى الفساد والضياع والتدمير، فهم طاقة لا تقبل السكون ولا الوقوف.
- ثم لننظر في واقعنا: كم هيأنا لشبابنا من فرص الصلاح؟ وكم هيأنا لهم مقابل ذلك من فرص الضياع والفساد والفتنة؟
- واعلموا- أيها الإخوة- أن الشباب لا يصطنعون الأزمات والمشكلات، وإنما يعكسون واقع المجتمع من حولهم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

\* \* \*

- أيها المسلمون : إن معاول الهدم في مجتمع اليوم كثيرة، وأدوات البناء فيه قليلة، وهذا يحتم علينا مزيد جهد في التربية والإصلاح.

- فالشباب في حاجة إلى المربي القدوة، والأسرة المستقرة، والمدرسة المتفوقة، والإعلام الهادف، والعمل الاقتصادي المنتج.
- إن الشباب في حاجة إلى أمة قوية عزيزة ينتسب إليها، يشعر بالأمان والاطمئنان في ظلها.
- إن الشباب لا يرضى بالذل لأمته أمام دول الكفر حتى وإن أدى ذلك إلى سفك دمه، إنها طبائع الشباب شئنا ذلك أم أبينا.
- ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾.

## ١٠ - حال المرأة في آخر الزمان

- أيها المسلمون : تحدّث النبي ﷺ في أحاديث كثيرة عن أشراف الساعة وأماراتها، وما سيحدث من أمورٍ عظيمة عند قرب قيام الساعة.
- وذلك تمهيد يسبق نهاية العالم، وإعلام للأمة الإسلامية عن قرب النهاية، وكذلك تحذير للمسلمين من الفساد والضلال في آخر الزمان.
- لقد كان الرسول ﷺ حريصاً على أمته، فيما يرشدها إليه من الخير، وفيما يحذرها من الشر، لا سيما عند تبدل الأحوال ، وظهور الفتن.
- وما تحدّث النبي ﷺ عنه من أشراف الساعة ونبّه عليه: تبدل أحوال النساء، واختلال سلوكهن، وانفراط عقدهن.
- لقد ربّى الرسول ﷺ المرأة أحسن تربية، واعتنى بها أحسن عناية، ووضع لها معالم أخلاقها وسلوكها، ثم جعلها أمانة عند الرجل.
- وما مضى رسول الله ﷺ إلى ربه إلا وقد اتضح للمجتمع نهج تربية المرأة، وانضبطت حقوقها، وتمت ممارسة ذلك في حياته عليه الصلاة والسلام ، والقرآن ينزل يُقرّ ذلك.
- أيها الإخوة : لقد مات الرسول ﷺ وقد شاهد النساء مصوناتٍ في بيوتهن، لا يخرجن منها إلا لحاجة ، فإذا خرجن تسترن بالجلابيب في غير تبرج ولا سفور.
- ولقد أقرّ الرسول ﷺ الرجال على إدارة الحياة العامة : القيادة السياسية، والعسكرية، والجمعة والجماعات، والقضاء، والحدود ، ونحوها كلها بإدارة الرجال ، لم يعط المرأة شيئاً من ذلك.
- حتى إنه ما أذن للمرأة أن تسافر بغير محرم لها ، ولا تعقد نكاح نفسها

- ولا غيرها، وأمرهن بطاعة أزواجهن في غير معصية.
- وبهذه الأحكام ونحوها نالت المرأة حقوقها، ورضيت بها، ومارستها في واقع الحياة بإشراف رسول الله ﷺ، وإقرار المولى عز وجل.
- ومن زعم من المسلمين أن الإسلام لم يُنصف المرأة، وأن الرسول ﷺ لم يُعط المرأة حقوقها: فليس بمسلم مهما ادعى.
- أيها الإخوة: لقد تدرّجت المرأة المسلمة منذ العصر الأول في أحوال بعد أحوال، وأوضاع بعد أوضاع، حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن من البؤس والشقاء.
- ولقد أشار الرسول ﷺ عن هذا التبدل في وضع المرأة وحالها، سواء ما كان من باب القضاء والقدر، أو ما كان بسبب الفساد والضلال، بما كسبت أيدي الناس.
- فقد قال الرسول ﷺ عن كثرة أعداد النساء في آخر الزمان: « لا تقوم الساعة حتى يدبر الرجل أمرَ خمسين امرأة».
- ويقول ﷺ عن تبرجهن في آخر الزمان: « ... نساء كاسيات عاريات مائلات ، رؤوسهنّ كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها».
- ويقول ﷺ عن ملابس النساء المتبرجات في آخر الزمان: « ... تظهر ثياب تلبسها نساء كاسيات عاريات».
- ويقول ﷺ عن وقوع نساء آخر الزمان في الفواحش: « والذي نفسي بيده، لا تفنى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى المرأة يفتريها في الطريق...».
- وقال ﷺ - أيضاً - : « لا تقوم الساعة حتى يتسافدوا في الطريق تسافد الحمير» ، يعني: يتناكحون في الطريق العام ، كما تصنع الحمير والحيوانات.

- وقال ﷺ - أيضاً - : « إن القوم لتمرُّ عليهم المرأة ، فيقومُ إليها بعضهم فيجامعها، ثم يرجع إلى أصحابه يضحك إليهم ، ويضحكون إليه».
- وقال ﷺ - أيضاً - : «... تُؤخذ المرأة نهاراً جهاراً تُنكح وسط الطريق، لا ينكر ذلك أحد ولا يُغيره...».
- وقال ﷺ عن انحراف فطرة المرأة في آخر الزمان وشذوذها الجنسي : « إن من أعلام الساعة وأشراطها: أن يكتفي الرجال بالرجال، والنساء بالنساء».
- وقال عن اشتغال المرأة بالغناء والموسيقى: « ليشربن ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها، يُعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات ، يخسف الله بهم الأرض ، ويجعل منهم القردة والخنازير ».
- ويقول ﷺ عن عظيم فتنة النساء بالدجال في آخر الزمان ، حين ينزل خارج مكة والمدينة: «... فيكونُ أكثرُ من يخرج إليه النساء، حتى إن الرجل ليرجع إلى حميمه ( يعني قريبه ) ، وإلى أمه وابنته وأخته وعمته، فيوثقها رباطاً مخافة أن تخرج إليه ... » ، وقال في رواية أخرى : « ... أكثر من يتبعه: اليهود والأعراب والنساء».
- وقد ذكر النبي ﷺ جمعاً من الأخبار المتعلقة بالمرأة في آخر الزمان ، ومنها : اشتغال النساء في آخر الزمان بالتجارات، وتسُلُطهنَّ على الرجال في البيوت، وقيام بعضهن على الحياة العامة، وكل ذلك في مجموعه يُنذر بخطر عظيم، يُوَدِّي بالأمة إلى الهلاك والدمار.
- أيها الإخوة : إن البشرية عموماً، والأمة الإسلامية خصوصاً تقدّم في المستقبل على فساد عظيم، يشترك في إعداده وتنفيذه شياطين الإنس والجن، ممن يسعون في الأرض بالفساد، ممن يدعون الدفاع عن حقوق المرأة في بعض المنظمات الدولية.



- يزعمون أنهم يحررون المرأة من سلطة محارمها، ويفتحون لها أبواب الحياة العامة، ويقنعونها بجرية تصرفها في نفسها وما تملك بلا قيود.
- إنهم يريدون تحطيم حياة المرأة الاجتماعية من خلال بعض المواثيق الدولية؛ ليصبح حال المرأة المسلمة كحال المرأة الكافرة.
- وما لم يتنبه المسلمون لخطر الهجمة الأخلاقية الشرسة على المرأة المسلمة: فإن مزيداً من الفساد سوف ينال المجتمع ، وعندها يصعب الإصلاح.

\* \* \*

- أيها الإخوة : إن هذه الأحاديث عن مفاسد آخر الزمان، لا تعني السلبية، بل لا بد من مواجهتها بما أوجبه الله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- إن العبء الأكبر من المفاسد النسائية في آخر الزمان يبوء بإثمها الرجل، الذي فرط في تربيتهن، والأخذ على أيديهن، فهو القائم عليهن ، والمسؤول عن تصرفاتهن .
- إن المرأة المسلمة مدعوة للالتزام بدينها، والانضمام إلى الطائفة المنصورة في آخر الزمان، فلا يضرها - بإذن الله - كيد الكافرين.
- اللهم وفقنا لهذاك ، واجعل عملنا في رضاك.

## ١١ - ضوابط تشغيل النساء

- أيها المسلمون : تختلط المفاهيم والتصورات وتتداخل في زمن انفتح فيه العالم بعضه على بعض، واختلطت فيه الثقافات ، وتنوعت فيه المشارب.
- ولم يعد لكثير من المسلمين تلك الحاسية الانتقائية بين ما يناسبهم وما لا يناسبهم ، من الثقافات والأفكار المعروضة.
- فإذا بمجتمعات المسلمين المعاصرة تتحول إلى ساحة مستباحة تنعكس فيها آراء الآخرين وتصوراتهم وثقافتهم.
- وكأن الأمة الإسلامية فقيرة إلى غيرها في ثقافتهم ومبادئهم، وقد أغناها الله بما آتاها من الوحي المبارك.
- أيها المسلمون : من المفاهيم التي اختلطت عند بعض المسلمين : المفاهيم المتعلقة بالمرأة ، وحدود مشاركتها في خطط التنمية الاقتصادية العامة.
- حيث يظن البعض أن المرأة كالرجل تضرب في الأرض ، وتعمل كما يعمل الرجل، وتأكل كما يُقال: بعرق جبينها، وهذا فهم خاطئ.
- فالشارع الحكيم لم يكلف المرأة بالعمل حتى تتفرغ لعملية الإنجاب ورعاية النسل، وإنما كلف المجتمع بالإنفاق عليها ، ورعاية شؤونها.
- ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تتخفف المرأة من أعباء الحمل والإنجاب ورعاية النسل؛ لتشارك بجهدا في التنمية الاقتصادية.
- أيها المسلمون : أي تنمية أعظم من إيجاد الإنسان وبنائه وتربيته ؟ ثم إذا أعرضت المرأة بالفعل عن الإنجاب والتربية؛ لتشارك في التنمية الاقتصادية العامة : من تراه يقوم بعملية الحمل والإنجاب وتكثير النوع نيابة عنها ؟!
- إن الخدمة التي تقدمها المرأة من خلال الإنجاب ورعاية النسل لا تقدر

بشمن، فبأي ثمن يمكن أن تُقدَّر قيمة الإنسان؟

- ولكن أهل الشهوات والفتنة ينظرون إلى المرأة نظرة أداة للإنتاج الاقتصادي، ينظرون إليها نظرة استثمارية على غرار نظرة الماركسية المنحدرة.

- لا يعبأون بشخصها باعتبارها إنساناً، ولا بأولادها باعتبارها أمّاً، ولا بزوجها باعتبارها زوجة، وإنما هي أداة للإنتاج الاقتصادي .

- أيها المسلمون : إذا كان لا بد من تشغيل النساء، وفتح الباب لهن: فلا بد من مراعاة الضوابط الثمانية التالية:

- الضابط الأول : مراعاة الحلّ ، بأن يكون العمل في أصله مباحاً، فلا تعمل في ملهى، ولا بائعة هوى، ولا مرابية، ولا في مصنع خمور.

- الضابط الثاني : مراعاة الأخلاق ، فلا تعمل مختلطة بالرجال، ولا يستغل العمل جسدها أو صورتها أو صوتها لترويج البضائع ، ولا تستغل لتوقيع العقود مع التجّار ، ولا تكون واجهة للمحلات التجارية لجذب الزبائن ، والواقع - للأسف- يشهد بأن كل هذه المخالفات موجودة في الواقع العملي.

- الضابط الثالث : مراعاة إنسانية المرأة، فلا تستذل في الأعمال الوضيعة، ولا ترهق في الأعمال الشاقة ، ولا تظلم في حقوقها المالية ، والواقع يشهد بأنها مستغلة في الأعمال الوضيعة والمرهقة ، ولا تعطى حقوقها المالية كاملة.

- الضابط الرابع : مراعاة الجانب الصحي، فلا يؤثر العمل على جسم المرأة، ولا على نفسها ، ولا على سلامة إنجابها ، والواقع يشهد بأن المرأة العاملة أرهق فئات المجتمع ، وتعاني كثيراً من الاضطرابات النفسية والعضوية، وأن بعضهن يضعن حملاً ناقصاً ، أو مريضاً ، وكثيراً ما يسقطن ما في

- بطونهن من الأجنة بسبب الإرهاق.
- الضابط الخامس : مراعاة الأسرة، فلا يكون العمل سبباً في إعراض المرأة عن الزواج، ولا يكون سبباً في إضعاف قوامه الرجل على زوجته، ولا يكون سبباً في التقليل من نسلها، ولا بد من تجنب صراع الأدوار بين عمل المرأة في بيتها وعملها في المؤسسات العامة، ولا بد - أيضاً - من سلامة أولادها من الانحراف بانشغالها عنهم.
- الضابط السادس : مراعاة التخصص، فكل جنس له ما يناسبه من الأعمال، بل إن الرجل لا يستطيع أن يقوم بكل عمل فكيف بالمرأة؟! ولو أراد الله من الجنسين عملاً واحداً لخلقهما جنساً واحداً، لذا لا بد من مراعاة مجالات المرأة الضرورية : كالتعليم والطب ، والأعمال المختصة بهن .
- الضابط السابع : مراعاة الحاجة : فلا بد أن تكون هناك علاقة بين المرأة والعمل، فالمرأة محتاجة للعمل، والعمل محتاج إلى المرأة، فلا يكون عمل المرأة سبباً في زيادة البطالة في الرجال، وقد ثبت أن سبب البطالة الرئيس: وجود النساء العاملات، ولكم أن تتخيلوا وظيفة تقدم لها رجل وزوجته، فقبلت المرأة ورفض الرجل!!!، ولا بد - أيضاً - أن تكون المرأة محتاجة للعمل ، وليس لمجرد التسلية، أو إثبات الذات.
- الضابط الثامن : مراعاة أنوثة المرأة، بحيث لا تعمل عملاً تُشترط له الذكورة كالعمل في السياسة، وقيادة الجماهير، والولايات العامة، ومجالس الشورى العامة، والسلك العسكري في الجيش.
- إن الذي ينظر في هذه الضوابط يجد أنها مستحيلة وتعجيزية، وهذا حق؛ لأن عمل المرأة خارج بيتها يخالف الفطرة، ويحتاج إلى جهود كبيرة تناقض الطبيعة؛ كتوجيه النهر أو السيل في غير اتجاهه المعتاد.

- أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

\* \* \*

- أيها المسلمون : هناك بعض الحقائق لا بد أن نعرفها ، ومن أهمها : إن مجالات تفوق المرأة تختلف عن مجالات تفوق الرجل ، فليس كل ما يتفوق به الرجل يصلح أن تتفوق به المرأة .

- ومن الحقائق أيضاً : أن النهضة التنموية لا تقوم على أيدي النساء الناعمة اللينة ، فإذا عجز الرجال عن القيام بالنهضة الاقتصادية فهل يمكن أن تقوم بها النساء؟! .

- ومن الحقائق أيضاً : أن المرأة في عصور الإسلام الذهبية لم تشارك في الحياة العامة ، بل كانت في بيتها تصنع الرجال ؛ ليكونوا أدوات الأمة للتفوق والإنتاج .

- ومن الحقائق أيضاً : أن المرأة المسلمة في تاريخ الأمة لم تشارك في الحياة الاقتصادية العامة زمن الأزمات الاقتصادية ، بمعنى أنها لم تُدع للمشاركة في خطط التنمية الشاملة ، وإنما واجه الرجال والشباب هذه الأزمات ، وتغلبوا عليها بفضل الله تعالى .

- أيها المسلمون : لا بد من إعادة إقناع النساء بأهمية العمل المنزلي ، وأنه قيمة معنوية واقتصادية تفوق أعمالهن خارج المنزل .

## ١٢ - المرأة والعمل السياسي

- أيها المسلمون : في خضم المغالطات التي تعيشها الأمة في هذا الزمن: يُريد بعض الناس أن يجعلوا من المرأة رجلاً.
- يريدون من المرأة أن تقوم بما يقوم به الرجل، فلا فرق بينهما - في زعمهم - إلا في بعض المظاهر الجسمية الطفيفة.
- يريدون من المرأة أن تتجرّد مما هي به أنثى؛ حتى تجاري الرجال في ميادينهم، وتنافسهم في أنشطتهم.
- وبالفعل فقد تم للمبطلين معظم ما أرادوا، حين دخلت المرأة في كل ميادين الرجال، ابتداءً من رئاسة الدول، وانتهاءً بالعمل في المناجم وصناعة الكهرباء والبتروك.
- فقد رأينا في عصرنا هذا المرأة السياسية، والمرأة الجندية، والمرأة الخادمة في الفندق والمهوى، والمرأة التي تحفر الطريق، والتي تزفلت الشارع، وتصون المركبات.
- كيف تستطيع المرأة أن تجمع بكفاءة بين هذه الأعمال الشاقة، وبين أن تكون زوجة وأمّاً وراعية في أسرتها.
- فلو أمكن للمرأة أن تجمع بكفاءة بين هذه الأعمال الخارجية، وبين أعمال الأمومة والإنجاب والرعاية، فما الداعي إذاً لوجود الرجل في الحياة؟!!
- ما هي الحكمة من وجود الرجل في هذه الحياة، إذا كانت المرأة تستطيع أن تقوم بعمله؟! فلا داعي حينئذٍ لجنس الرجال أصلاً.
- لقد استقر في الفطرة أن الرجل مهما حاول لا يستطيع أن يقوم بكل أعمال المرأة، فكيف تستطيع هي بكل ضعفها، ومحدودية قدراتها: أن تقوم بكل

## أعمال الرجل ؟

- إنها مغالطات تخالف العقل والحس، يريد أصحابها منا أن نكدّب بالحقائق الفطرية، وبالمشاهدات الواقعية المتواترة.
- أيها المسلمون : لو أراد الله من الجنسين عملاً واحداً لخلقهما جنساً واحداً، ولكنه بحكمته أراد من كل منهما عملاً مغايراً للآخر ؛ حتى يكمل بعضهم بعضاً ، ويتمم بعضهم بعضاً.
- لم يكن عالمنا الإسلامي والعربي بعيداً عن هذه المغالطات الشاذة، فقد تبناها جمع كبير من المثقفين والمفكرين العرب والمسلمين للأسف.
- وها هم يدفعون المرأة نحو العمل السياسي زاعمين أنه يجوز لها أن تكون قاضية، ووزيرة، وأميرة، ورئيسة للدولة.
- وإن الإنسان العاقل ليتعجب متسائلاً : إذا كان غالب الرجال لا يصلحون لهذه الأعمال، فكيف تصلح لها النساء؟!
- إن الشريعة الإسلامية لا تستحب ابتداءً الاستشراف للعمل السياسي، وتبغض الحريص على الولايات العامة.
- ولهذا يقول الرسول ﷺ : « إنا لا نولي هذا الأمر من سأله ولا من حرص عليه » ، يعني: أن العمل السياسي ليس حقاً لكل أحد يطالب به ، فلو كان حقاً لم يسقط بالمطالبة ؛ فإن الحقوق في الشريعة تتأكد بالمطالبة ولا تسقط بها.
- من الأدلة القاطعة على أنه ليس للمرأة مكان في العمل السياسي كون الرسول ﷺ لم يول امرأة عملاً سياسياً ، بل ولم تكتب له امرأة الوحي، أو حتى رسالة من رسائله إلى الملوك ، رغم وجود نساء كاتبات في ذلك العصر.

- وأما مبايعة الرسول ﷺ للنساء فهي بيعة إيمانية أخلاقية، وليست بيعة على تولية الرسول ﷺ القيادة السياسية، فسلطته على الناس يستمدّها من النبوة وليس من البيعة.
- ولهذا لم يبايع الخلفاء من بعده النساء، وقد أجمع المسلمون أنه لا يجب على الحاكم مبايعة النساء بطريقة رسول الله ﷺ ، فلو كانت واجبة ، أو حتى سنة لما تركها الخلفاء من بعده.
- وأما مشورة أم سلمة رضي الله عنها للرسول ﷺ يوم الحديبية عندما تباطأ الصحابة في الحلق حين أحصروا ، فهو موقف تشريع وليس موقفاً سياسياً.
- والسؤال الذي يطرح نفسه : إذا لم تشر أم سلمة رضي الله عنها على الرسول ﷺ بالحلوق ، ماذا كان يحدث ؟ أليس الرسول ﷺ سوف يخلق بكل حال ، سواء أخذ بمشورتها أو لم يأخذ بها ؛ لكون الحلوق واجباً في هذه الحالة ؟
- يقول الإمام الجويني رحمه الله : « لا نعلم امرأة أشارت برأي فأصابت إلا أم سلمة » ، ومع ذلك قارن بين مشورتها ومشورة سلمان الفارسي رضي الله عنه ، حين أشار بجفر الخندق ؛ فقد توقف مصير الأمة على مشورته.
- ولقد وقف المسلمون نفس الموقف عام حجة الوداع ، حين أمرهم الرسول ﷺ بأن يخلقوا ويجعلوها عمرة لمن لم يسق منهم الهدى.
- فتباطأ الصحابة في تنفيذ الأمر ، وغضب الرسول ﷺ ودخل هذه المرة على عائشة رضي الله عنها ، ثم حلق الصحابة بعد ذلك ، والرسول ﷺ نفسه لم يخلق ، فما كانوا ليعصوه.
- وأما كون المرأة تنتخب الرجل وتزكيه فهذا غريب ، فهذه كتب الجرح والتعديل ليس فيها قول لأي امرأة عبر التاريخ الإسلامي.



- وأما خبر عائشة رضي الله عنها حين خرجت للإصلاح السياسي فيكفي أنها كانت سبياً في أول اصطدام مسلح بين المسلمين ، لا تزال الأمة تعاني آثاره حتى الآن.

- وقد تواترت عنها الأخبار بالندم على هذا الخروج ، وكانت تقول: «وددت أني كنت غصناً رطباً ولم أسر مسيري هذا».

- وأما قول بعضهم أن عمر رضي الله عنه ولّى امرأة السوق، فهذا لا يصح من جهة السند، والمعروف أن هذه المرأة هي الشفاء رضي الله عنها كانت تسكن في السوق ، وكان عمر رضي الله عنها إذا دخل السوق جلس عندها ، فلا يبعد أن تخبره بأشياء عن السوق ، وهذا ليس بولاية.

- ثم أليس من العيب في حق عمر رضي الله عنه أن يولي امرأة لا يُعرف عنها العلم على أهل بدر والحديبية، وعنده كبار تجار المدينة ، كيف يتركه الصحابة يصنع هذا ، وقد أنكروا عليه مجرد إدخال ابن عباس رضي الله عنهما مجلس الشورى ، ثم كيف يختارها وعنده من هو أفضل منها: عائشة رضي الله عنها !!؟

- وأما خبر عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، حين وقع عليه الاختيار بين عثمان وعلي رضي الله عنهما في كونه استشار النساء ، فهذا الخبر لا يصح من جهة السند ، وإنما تنقله كتب التاريخ ، وقد نقلت بعض كتب التاريخ أنه استشار الولدان في الكتاب ، فهل يسوغ سؤال الأطفال في مثل هذا الشأن الجليل !!؟

- وأما ما حدث فيما بعد من تولّي بعض النساء للولاية الكبرى في التاريخ الإسلامي ، فهذا شذوذ في الحياة الإنسانية، ولم يثبت قط أن كان الهيكل السياسي في أي بلد نسائي ١٠٠٪، وإنما تكون المرأة فيه مشاركة أو رئيسة، والباقي من الرجال، فإن الطفل لو حفّه العلماء والساسة والمفكرون من

حواله لأحسن السياسة وأتقنها.

- أيها المسلمون : أين العقلاء؟ إن الله لم يبعث امرأة رسولاً ولا نبياً، والرسول ﷺ أمر المرأة بالموث في البيت، وإذا خرجت أن تلتزم بحافة الطريق، وأن تستتر عن الرجال، وأن لا تخرج إلا بإذن زوجها، ولا تسافر إلا مع محرم لها، وأسقط عنها الجمعة والجماعة والجنائز، أمن المعقول بعد هذا أن يجيز لها الإسلام أن تكون رئيسة دولة أو وزيرة أو قاضية ، ترأس الناس، وتتوسط المجالس ، إن هذا لا يمكن أن يكون أبداً .
- تمكث المرأة الأيام والليالي لا تصوم ولا تصلي ولا تدخل المسجد ، ولم يجعل لها الإسلام ولاية على زوجها ، فكيف يجيز لها الولاية عليه وعلى باقي الرجال في الحياة العامة.

\* \* \*

- أيها المسلمون : ألا يكفي المؤمنين قول رسول الله ﷺ: « لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة » ، ألا يكفيهم ذلك في كف النساء عن العمل السياسي ؟
- أليس لنا في الهدهد عبرة حين قال متعجباً: ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ ، لو أنه وجد عليهم رجلاً ، أتراه يقول : « إني وجدت رجلاً يملكهم »؟
- وجاء لفظ : « امرأة » نكرة غير معرفة؛ وهذا لما فيه من تحقير الرجال الذين تملكهم امرأة.
- إن واجب المرأة السياسي هو الاهتمام بأمر المسلمين، ومعرفة أخبارهم، والكتابة في ذلك، والتبرع، وتقديم الزوج والولد عند الحاجة، والنفس عند الضرورة.
- إن مذهب عائشة رضي الله عنها فيما استقرت عليه ، وأم سلمة رضي الله عنها ، هو المذهب الراجح للمرأة المسلمة المعاصرة ، هو تتبع الأخبار دون

بروز عام للحياة السياسية.

- ولولي الأمر المسلم استشارة النساء العاقلات فيما يخصهن مما لا يطلع عليه الرجال.
- وللمرأة المسلمة العبرة في خبر زبيدة زوجة الرشيد ، حين عرفت حدودها باعتبارها امرأة ، وعرفت أيضاً أين تضع جهدها السياسي.
- فحين قُتل ولدها الأمين : جاء بعض الخدم وقالوا لها: اخرجي واطلبي بدمه ، فقالت : « اخساً لا أمَّ لك ، ما للنساء طلب الدماء ».
- ولكنها لما غضب الرشيد على محمد بن الحسن الشيباني ومنعه الفتوى، توسَّطت عند الرشيد وأعدت له اعتباره.
- تعرف - وهي المرأة العاقلة - أين تضع جهادها السياسي .

### ١٣ - غطاء وجه المرأة بين الواقع والفقہ

- أيها المسلمون : لقد امتنَّ اللهُ تعالى على الإنسان حين هداه إلى اللباس وستر العورة كما قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ .
- فقد أمر اللهُ تعالى الرجال بستر العورة من السرة إلى الركبة وجوباً، ثم استحَبَّ لهم أن يسترُوا باقيَ البدن احتراماً للعرف الاجتماعي، وجملهم بستر رؤوسهم بالعمامة والقلنسوة ونحوهما، ثم زاد النساء فوق ذلك بالجلابيب يسترن بها كلَّ البدن.
- ومن هذا يُلاحظ أن زيادة الثياب: زيادة في الحفظ والفضل ، فكلما زاد الستر زاد الفضل، وهكذا درج الفضلاء على الاستكثار من اللباس ، فقد كان لا يُرى من جسد موسى عليه السلام إلا الوجه والكفان .
- ولهذا ألزم نساء النبي ﷺ بكامل الستر مع القرار في البيت، وعدم ظهور شخصوهن، ولهذا كن في أسفارهن لا يختلطن بالنساء، ولكن يسافرن في مجموعة منفصلة.
- ويفهم من هذا - أيضاً - أن التخفف من اللباس مذمة خلقية، ومسلك حيواني، رفع اللهُ منزلة الإنسان المؤمن عنه.
- ولهذا ارتبط الاستكثار من اللباس بالتقدم الحضاري، وارتبط العري بالمجتمعات البدائية والهمجية.
- أيها المسلمون : لم تعرف البشرية هذا العري لاسيما في النساء إلا في هذا العصر، وبالتحديد مع بداية القرن العشرين الميلادي.

- لقد درجت المجتمعات الإنسانية المتحضرة منذ فجر التاريخ على ستر النساء، حتى إن غطاء الوجه كان معروفاً عند بعض النساء في أوروبا مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.
- وحتى المرأة العربية لم تعرف كشف الوجه إلا بعد الدعوة المشبوهة إلى تحرير المرأة مع بداية القرن العشرين، فقد بقيت المرأة مستورة عبر تاريخ الإسلام، لا تعرف الرجال ولا يعرفونها، ومع ذلك بلغت ما بلغت من العلم والفضل والفقه ورواية الحديث دون سفور أو تبرج.
- وقد ذكر أحد علماء شنقيط أنه لا توجد عندهم امرأة لا تقرأ ولا تكتب قبل مائة عام؛ وذلك حين كانت المرأة مستورة بيبتها وحجابها، وهما هم اليوم بعد دعوة تحرير المرأة تصل الأمة في موريتانيا إلى نسب عالية جداً.
- ولهذا يلاحظ أن خلاف الفقهاء في جواز كشف وجه المرأة بقي ضمن حد الكتب العلمية، نقاشاً نظرياً لا علاقة له بواقع الأمة العملي.
- ولقد جرّ كشف وجوه النساء على الأمة ويلات عظيمة، فإن الفترة الزمنية بين كشف المرأة العربية عن وجهها وكشفها عن فخذها في البلاجات والسينما والمسرح لا يزيد عن أربعين عاماً.
- ثم إن الفقهاء السابقين الذين أجازوا كشف الوجه : لم يتخيّل أحدهم أن تكون المرأة منظره للرجال على الشاشات والمجلات وفي المكاتب والمتديات، تضاحك الرجال ويضاحكونها ؟
- أيها المسلمون : لقد أجمع العلماء من المتقدمين من المجيزين للكشف ومن المانعين أنه لا يجوز للمرأة أن تكشف وجهها بقصد التبرج وإظهار الزينة، أو عند كثرة الفساق، أو إن كانت حسناء تفتن الناس، فأين هذه الضوابط في واقع الناس؟

- وهذه المجتمعات العربية والإسلامية من حولنا : أين المجتمع الذي كشفت فيه المرأة عن وجهها ثم وقفت عند هذا الحد؟
- وها هم الإعلاميون يتخيرون أجمل الفتيات ليعرضونها عبر الشاشات بكامل زينتها، وقد تجرّدت عن حجابها المفروض عليها، فلم يراعوا مسألة كشف الوجه، بل تخطوها إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير.
- إن كشف الوجه رغم الخلاف في جوازه : هو بداية الانحراف، فقد رقصت المرأة على المسرح أمام الرجال لا تستر إلا سواتها، وانتشرت في بلاد المسلمين دور الدعارة، والبغاء، والملاهي، في الوقت الذي لم يكن شيء من ذلك حتى بداية القرن العشرين.
- أيها المسلمون : إن الحجاب هو خصوصية المرأة المسلمة المميّزة لها، وهو أكبر عقبة في طريق تغيير المجتمع ونظام الأسرة؛ ولهذا كانت الحرب عليه شديدة منذ أكثر من مائة عام، وقد جند الأعداء والمنافقون من يتنادى بتحرير المرأة، والكشف عن وجهها.
- والعجيب أن دعاة تحرير المرأة قبل مائة عام ماتوا ، وماتت نساؤهم وهنّ مغطيات الوجوه، وغالب من عشن فترتهن بعد ذلك مِتْن ولم يكشفن عن رؤوسهن، وهذا يدل على أن الانحرافات تبدأ يسيرة ثم تنتهي لما لا قبَل للمجتمع به. (نعوذ بالله من الفساد).



- أيها الإخوة : المرأة حين تحتجب الحجاب الشرعي تحقق أموراً : منها: مرضاة الله ، ورحمة الرجال من الإثارة ، والتميز عن نموذج المرأة الغربية، والتميز عن الأمة المملوكة ، والحماية من أذى المنافقين ، والاستعلاء الإيماني، وكسر دافع شهوة التبرج ، وحفظ مالها وعقلها من تكاليف

- الزينة، ومؤونة التبرج.
- إن من الضروري أن تسأل المرأة المتبرجة نفسها: ماذا تريد غير المعنى الجنسي حين تظهر زينتها؟
- ولتسأل نفسها: ماذا يفهم الرجل منها غير المعنى الجنسي حين تتبرج؟
- كيف ترضى المرأة الحرة لنفسها أن تتشبه بالأمة التي لا حرمة في النظر إليها.
- كيف ترضى المرأة العفيفة لنفسها حين تتبرج فتكون منظره للرجل الخائن، يتلذذ بالنظر إليها، ويحلم بها.
- وأما قول القائل بأن الزمن كفيـل بأن يخفف من إثارة الرجال بتبرج النساء، حين يتعودون على ذلك ، فتصبح المرأة الأجنبية مثل أخته أو أمه لا تثيره، وهذا يعني أن يتحوّل الرجل إلى سلوك الخصي ، الذي استؤصلت خصيته ، فلا يضره الاحتكاك بالنساء.
- وهل الشريعة الإسلامية تجذب مثل هذا؟! بمعنى هل تحبذ الشريعة هذا البرود؛ بحيث لا ينجذب الرجال إلى النساء؟ بل إن الشريعة تريد التجاذب بين الجنسين حتى يستمر النسل وتعمّر الحياة، ثم إن الرجل إذا ضعف انجذابه للنساء تحول إلى الشذوذ ، وكلاهما مصيبة ، فأى المصيبتين يفضل المجتمع ؛ ليرضي أصحاب الشهوات ، ممن يريدون أن يميلوا بالأمة ميلاً عظيماً.
- ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ .

## ١٤ - المرأة والرياضة البدنية

- أيها الإخوة : يؤكد دين الإسلام على حفظ الصحة العامة : للأبدان والعقول والنفوس والأرواح.
- ويسعى لصالح الإنسان من جميع جوانب شخصيته، ويحُثُّه على رعاية صحته وسلامة نفسه.
- ولقد اعتبر دين الإسلام حفظ النفس من الهلاك والأذى والفساد: مقصداً من مقاصده الكبرى.
- فنهى عن كلِّ ما من شأنه الإضرار بالذات الإنسانية، وأمر برعايتها وإكرامها واحترامها.
- ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ .
- يقول الرسول ﷺ : « إن لجسدك عليك حقاً ».
- ولما كان البدن هو صورة الإنسان الظاهرة، ومركب روحه، وضرورته للحياة والحركة والعمل، والقيام بالعبادة : جاء الإسلام بالتأكيد على حفظ الأبدان، وتقويتها ورعايتها؛ لتكون صالحة للعبادة وعمارة الأرض وحفظ الملة.
- فالصلاة والصوم والحج والجهاد وغيرها من العبادات: ارتبطت بسلامة الأبدان، وصحة الأجساد.
- فأنى لجسد عليل أن يصوم أو يجاهد؟ وأنى له أن يبني أو يشيد ، أو أن يصل رحماً، أو أن يكسب قوتاً ؟
- ولهذا حثَّ الإسلام على اتخاذ التدابير اللازمة لتقوية الأبدان وحفظها من



- خلال الغذاء الصالح ، والوقاية الصحية.
- إضافة إلى اتخاذ العلاج والحمية ونحوهما مما يحفظ الأبدان، وينمي الصحة، ويقوي الأجساد على الأمراض.
  - ومما أباحه الإسلام لصالح الأجساد: الرياضة البدنية التي تقوي العضلات، وتنشط الأبدان، وتحرق الفضلات.
  - وعلى الرغم من فوائد الرياضة البدنية على العقل والنفس: فإن فوائدها على الجسد معلومة، قد أجمع عليها الأطباء.
  - ولا يُعرف عصر كعصرنا أطبق فيه الأطباء وجميع العقلاء على أهمية الرياضة البدنية على الصحة العامة.
  - وتكاد تجتمع كلمة الأطباء المعاصرين على أن علل الأبدان تنحصر في الغالب في : سوء التغذية ، وقلة الحركة.
  - وعلى الرغم من هذه الأهمية الكبرى للرياضة البدنية: فقد توجّهت الرياضة الحديثة إلى مفاهيم جديدة لا علاقة لها بالممارسة الرياضية.
  - توجّهت نحو المفهوم التجاري الاستثماري، لتصبح الرياضة سلعة استهلاكية ، يتّجر بها المستثمرون ، المتربصون بحاجات الناس ومتطلباتهم ، فراجت التجارة باللاعبيين ، وانتشرت المقامرات المالية، والدعاية الإعلامية، والشهرة العالمية ، ومتعة التفرّج ، فانتقلت الرياضة من كونها ممارسة عملية واقعية إلى ثقافة رياضية سلبية.
  - فاكتمى غالب الناس بمتعة التفرّج والتشجيع والمتابعة الإخبارية ، دون الممارسة الفعلية للرياضة.
  - حتى إنك لتجد الرجل المترهّل ، الذي تصعب عليه الحركة لثقله، يشجع ويجادل ويتابع، وربما كتب في الصحف، يحلل المواقف الرياضية، ويشخص العيوب الحركية، ويضع الحلول الفنية، وربما تقاذف مع المشجّعين الآخرين

الشتائم والسباب.

- ولا تخلو ملاعب التنافس الرياضي المحلية والعالمية من قبيح القول، وساقط الفعل، من الشتائم والافتتال.
- وأعجب من هذا وأغرب ظهور بدعة الفتاة السعودية المشجّعة، ودخولها هذه الحُمَّة التتنة من الصخب والفوضى داخل الملاعب الرياضية العامة .
- إن الشاب لا يأمن على نفسه من ضرر يُصيبه في هذه الأجواء المضطربة، فكيف بالنساء والفتيات؟
- ثم ما للمرأة وللرياضة التنافسية؟ فإنها تقفز القفزة فتفقد بكارتها، وربما انزلت، فتضع ما في بطنها.
- وتظهر للأسف الفتاة السعودية الرياضية لتشارك في المنافسات الرياضية الخارجية ، حيث لا رقيب من الناس هنا؛ لتثب للمجتمع السعودي وجودها ؛ ولتصبح أمراً واقعاً.
- ولقد سبقنا جمع كبير من الدول العربية والإسلامية إلى هذا الميدان العفن فماذا جنوا من ذلك إلا الخيبة والخسران؟
- إن الله ينهى المرأة المستورة المحتجبة أن تضرب بخلخالها عند الرجال، فكيف بالمتبرجة تضرب ببدنها ، وتهزه عند الأجنب ؟
- أيها المسلمون : ولئن كانت هذه المسالك قبيحة ومستنكرة : فإن أقبح منها وأشنع مسالك بعض الإعلاميين.
- الذين يتقصّدون تتبع سقطات بعض السفهات من فتياتنا في الملاعب الرياضية، فيبرزونهنّ على الشاشات والصحف.
- ليعلم من ذلك أن القضية ليست قضية رياضية فحسب، وإنما هي التحدي لوجهة البلاد الدينية، والسعي في تغيير وضع المرأة السعودية.

- كم هو مشين أن تنقل وسائل الإعلام بأموال المسلمين صورة فتاة شابة تربط على خصرها علم التوحيد: (لا إله إلا الله).
- ما المصلحة التي تتحقق من مثل هذا العمل القبيح، الذي تحجل منه بلاد الحرمين الشريفين، ويتأسف له كل مسلم صادق الإيمان؟
- وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «لا تزال لا إله إلا الله تنفع من قالها حتى يُستخف بها...» .
- وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: «يا موسى لو أن السموات وساكنها، والبحار وما فيها وُضعوا في كفة، ووضع لا إله إلا الله في كفة، لوزنت لا إله إلا الله»، يعني لثقلت.
- أيها الإخوة: إنه لا يتجرأ على مثل هذه الأعمال القبيحة إلا منافق، قد عشش النفاق في قلبه، أو جاهل قد أطبق عليه الجهل.
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .



- أيها المسلمون: إن قيام المرأة بالحركة المنزلية في خدمة بيتها، ورعاية أسرتها كافٍ في تحقيق المقصود من الممارسة الرياضية.
- ولكنهن للأسف ترهّلن بتركهن الخدمة للخادمات، فإذا أرادت إحداهن أن تنقص وزنها ذهبت إلى أندية التخسيس.
- ثم إن المرأة العاقلة لو مارست شيئاً من الرياضة الخفيفة في حصن بيتها، مع زوجها وولدها لحصل لها المقصود من الرياضة البدنية.

- أما الأندية النسائية الرياضية فمع ما فيها من كشف العورات، واحتمال التصوير بكاميرات الجوال، وتلصُّص الفساق، فإنها في الغالب سوف تُقضى في القيل والقال، وتناول الأطعمة السريعة والمشروبات، على الطريقة النسائية المعروفة.
- أيها الإخوة : إن لممارسة المرأة المسلمة الرياضة البدنية ضوابط لا بد منها:
- الأول : الضابط الأخلاقي : بحفظ العورة بصورة قاطعة، وهذا لا يتحقق إلا بالممارسة في حصن البيت.
- الثاني : الضابط الأنثوي : بحيث لا تؤدي الرياضة إلى خروج المرأة عن أنوثتها، وهذا لا يتحقق إلا بممارسة الألعاب الرياضية الخفيفة دون الثقيلة والعنيفة، فإن الرسول ﷺ لعن المتشبهات من النساء بالرجال.
- الثالث : الضابط النفسي : بحيث تتجنب المرأة التوترات النفسية ، التي تفسد المزاج، وهذا لا يتحقق إلا بالألعاب الفردية، أو الجماعية غير التنافسية.
- الرابع : الضابط الجسمي : بحيث تتجنب المرأة كل ما من شأنه الإضرار بصحتها الجسمية من الألعاب العنيفة ونحوها.
- أيها الإخوة : أهدي خبراً حصل في ألمانيا قبل مائة عام، أهديه لمن يستهويهم منهج الاستدراج الذي يسلكه المبتلون لتغيير نهج البلاد الاجتماعي، ففي عام ١٩٠٣م افتتح في مدينة ميونيخ الألمانية نادٍ للسباحة النسائية، وذلك لأول مرة في ألمانيا، فإذا بالمتجمع في ذلك الوقت يستنكر ذلك ويستهجنه، ثم ماذا بعد ذلك؟
- وهكذا تبدأ الانحرافات الاجتماعية صغيرة ويسيرة، ثم تصبح بالتدرج كبيرة وعنيفة، فيصعب حينئذٍ إيقافها أو إصلاحها، والله المستعان.

## ١٥ - المرأة وقيادة السيارة

- أيها الإخوة : في خضم التغيرات : الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية تعيش أمتنا الإسلامية في مهب الرياح ، وتتقاذفها الأمواج .
- وها هي رياح التغيير والتبديل التي هبت علينا من الغرب تطال خصوصياتنا الدينية والثقافية والاجتماعية .
- إنهم يهدفون إلى فرض ثقافة الغرب على المسلمين، بحيث لا يبقى للمسلم شيء من معالم دينه وثقافته الإسلامية .
- ولن يرضى الغرب المتعطرس بتنازلاتنا الجزئية حتى نتنازل عن أصل ديننا : ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ .
- فلن يرضوا عن عقيدتنا حتى نتنازل عن التوحيد إلى الشرك وعبادة الأوثان والقبور، وإقرار العقائد الباطلة .
- ولن يرضوا عن أخلاقنا حتى تصبح نفعية، يؤدّيها الشخص لتحقيق مصلحته الشخصية، وليست تعبداً لله تعالى .
- ولن يرضوا عن اقتصادنا حتى نستبيح الربا والبيوع المحرمة، وحتى تفتح أسواقنا لبيع المنتجات الغربية المحرمة .
- ولن يرضوا عن نظام اجتماعنا حتى ننزع حجاب النساء، وتقام في بلادنا الخمارات، وأندية الدعارة والفجور، ومراكز اللهو والرقص .
- إنهم يسرون في خطط التنازل مع المسلمين شيئاً فشيئاً، حتى ينتهوا إلى إزالة معالم الدين الإسلامي بالكامل .
- قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتَ

- أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٠﴾ .
- أيها المسلمون : ليس بغريب أن يصيح الغرب بنا ليغيّر من ثوابتنا، ولكن الغريب أن تلقى صيحاته آذاناً صاغية من أبناء المسلمين.
- والعجبُ كلُّ العجبِ من أناسٍ يعيشون معنا، ويتكلّمون بألسنتنا، إلا أن قلوبَهُم في غير بلادنا، ووجوههم إلى غير قبلتنا.
- يريدون منا أن نكون كالعاهرة التي لا ترد أحداً، يعملون في الخفاء مع أعداء هذا الدين، ويزعمون أنهم مصلحون، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ .
- وها هي أمتنا اليوم تعيش بين تيارين: بين تيارٍ يريد المحافظة على الثوابت والأصول، وبين تيارٍ يريد التفلت والذوبان.
- ولا مكان لمن يريد أن يعيش بين هذين التيارين، يزعم أنه في الوسط، فلا وسط بين الحق والباطل، وقد ورد في الخبر أن أمة الإسلام سوف تنقسم في آخر الزمان إلى قسمين: قسم إيمان لا نفاق فيه، وقسم نفاق لا إيمان فيه، فلينظر كل منا في أي القسمين هو ؟
- أيها المسلمون : لقد استقر عند أعداء المسلمين أن تغييرَ وضع المسلمين لا يتم إلا من خلال تغيير وضع المرأة المسلمة.
- فعملوا منذ عشرات السنين على خطط مدروسة لتغيير وضع المرأة المسلمة، وقد حصل لهم كثير من النجاح في غالب الدول الإسلامية.
- وها هم اليوم يسعون إلى ذلك في بلاد الحرمين الشريفين ، آخر معاقل الإسلام، لتغيير وضع المرأة فيها.
- وها هو المجتمع السعودي يتناقل خبر قيادة المرأة السعودية للسيارة، بين

- مشجع ومتردد ومانع ، وكأنه ليس في البلاد هيئات شرعية تفتي في الأمر.
- إن الشريعة الإسلامية جاءت بدرء المفسد وجلب المصالح، فما زادت مفسدته على مصلحته منعت، وما زادت مصلحته على مفسدته أباحت.
- ومن هذا الباب مُنعت المرأة من قيادة السيارات في هذه البلاد؛ لأن المفسدة من ذلك أكبر من المصلحة.
- والشريعة في باب سد الذرائع تمنع بعض الحلال خشية أن يؤدي إلى الحرام، فإن ما أفضى إلى حرام فهو حرام، حتى وإن كان في الظاهر حلالاً.
- إن أعلى ما تملكه المرأة بعد إيمانها هو أخلاقها، وليست السيارة حصناً يحفظ أخلاق المرأة من أن تفتن أو تُفتن.
- إن الفتاة تتردد بين بيتها ومدرستها، ولكن إذا ملكت السيارة أين تذهب؟
- لقد أرهق الآباء والأمهات بانتظار أولادهم حين يتأخرون عن المنزل، فإذا سُمح للفتيات بالقيادة، فسوف يكون انشغال الآباء مُراً على الفتيات الغائبات.
- إن السيارة آلة عنيفة، وحوادثها مؤلمة، وأدائها لا يناسب غالب النساء، ولهذا يقل السائقات في العالم.
- وقد أكّدت بعض الدراسات الغربية أن قيادة السيارة لا تناسب النساء، فغالب الحوادث تأتي من النساء، والشباب الأعزب.
- ولهذا تزيد قيمة التأمين على السيارات التي تملكها النساء والشباب.
- يُقتل في السعودية سبعة أشخاص يومياً في حوادث السيارات، فماذا يحصل لو ساق النساء؟
- إن المرأة مأمورة بالسكون والستر، لاسيما في أثناء الحمل، والقيادة مليئة بالتوتر الذي لا يناسب الإناث.
- إن جهاز المرأة العصبي رقيق لا يناسب طبيعة القيادة، إضافة إلى ما ينتاب

- النساء من الدورة الشهرية والنفاس .
- فهذا النزيف الدموي يؤثر على حاستي السمع والبصر عند المرأة، ويؤثر على الانفعالات النفسية ، إلى جانب الصداع والغثيان والمغص .
- إن واحدة من هذه الأعراض إذا أصابت الرجل امتنع عن القيادة، وإذا قاد السيارة بشيء منها كان مخالفاً للنظام .
- وقد أشارت بعض الدراسات الغربية أن غالب حوادث النساء تحصل أثناء الدورة الشهرية، وما قبلها بقليل .
- ومن المعلوم أن السائق هو همزة الوصل بين المركبة والطريق، وصفاته ومهاراته وخبرته تقوم بأدوار رئيسة في عملية القيادة .
- والواقع يشهد أن غالب الحوادث المسجلة يتحملها السائق، كما دلت على ذلك العديد من الدراسات .
- قد يستدل بعض الناس بالواقع العالمي ، في كون المرأة تقود السيارة في كل دول العالم ، أقول: متى كان الواقع دليلاً شرعياً ، أليس في الواقع ما هو كثير مما يخالف الحق ، إن المرأة في الواقع ترقص في المراقص ، وتغني في الملاهي فهل هذا واقع مشروع؟
- إن الصبي الصغير يقود السيارة وبمهارة، والشيخ الكبير الهرم الذي ضعف سمعه وبصره هو الآخر يقود السيارة، وهو واقع قائم، ومع ذلك نعتبره خطأ، وكذلك المرأة التي تسوق السيارة هو خطأ ، ولن تقف الحياة عندها لو قدر أن سُمح لها بالقيادة، فسوف تسير الحياة بكل حال .
- فاتقوا الله أيها الناس واعرفوا حدود دينكم، وإياكم وخطوات الشيطان، فإنها تبدأ بسيرة، ثم تنتهي إلى ما هو صعب وعسير .

\* \* \*



- أيها الإخوة : إن العالم اليوم يتوجه إلى التقليل من السيارات الخاصة ، ويُوَجِّه المواطنين إلى النقل العام، وبعض الدول تحرم استخدام السيارات الخاصة على الموظفين والطلبة.
- وقد جاء في توصية لمؤتمر الحد من حوادث السيارات، المنعقد في الرياض عام ١٤١٧هـ ، بحضور ممثلين عن ثلاث عشرة دولة عربية ما نصه: «ضرورة التوسع في وسائل النقل الجماعية في المدن العربية، وتوفيرها بأسعار مشجعة، لحمل ساكني المدن على استخدامها بمختلف فئاتهم، من موظفين وطلاب وغيرهم»، فلا بد من التوسع في وسائل النقل العام ، بدلاً من التوسع في مراكب النساء.
- أما الاستدلال بالتاريخ في كون المرأة تقود الفرس والجمل والبغل، فهذا لا يصح من الجهة التاريخية ؛ فإن المرأة عبر التاريخ ليست من أهل الفروسية، وإنما ارتبطت في حركتها العامة بالإبل في الهودج التي يقوم عليها الرجال ويسوقونها، ولهذا يقال عن الهودج : مركوب المرأة ، ثم أين الدابة من السيارة؟!
- أيها المسلمون : ماذا تريد المرأة السعودية بعد أن أغناها الله بمن يخدمها ؛ فهذا أبوها وهذا أخوها وهذا زوجها الكل يحملها ويرعاها، وقد كفاها الله من أن تتعامل مع البشري، والسمكري، والكهربائي، لا تدري عن شيء من هذا ، يخرجن كالأميرات ، ويدخلن كالأميرات.
- إن قيام المرأة بقيادة السيارة، إنما هو عبء جديد يُلقى على عاتقها : الصيانة، ونقل الأولاد، وشراء الحاجيات وغيرها.
- أما القول بأن المرأة مع السائق خلوة ؛ فإن الخلوة إنما تكون في البيت وليست في الطريق .

- وأما القول بأن العمالة الوافدة من طوابير السائقين ينقلون المال خارج البلاد ، فلتستغن النساء عن الخادمت في المنازل ، ويقمن بالخدمة بأنفسهن، فهؤلاء ينقلن أيضاً الأموال إلى الخارج ، فهذا أفضل من إلغاء دور السائقين.
- أيها المسلمون : نحن في حاجة اليوم إلى تعلم مهارة الثبات على المبادئ والحفاظ على إنجازاتنا في هذه البلاد حرسها الله ، بدلاً من التفلت بحجة مواكبة التقدم.
- اللهم اكفنا شر أشرارنا، وكيد فجارنا.
- اللهم احفظنا بالإسلام قائمين، وبالإسلام قاعدين، وبالإسلام نائمين، ولا تشمت بنا الأعداء ولا الحاسدين.

## خامساً : التربية الزوجية:

- ١ - سنة الزواج في الإسلام .
- ٢ - الزواج ووسائل نجاحه .
- ٣ - تيسير مؤونة الزواج .
- ٤ - التأهيل للحياة الزوجية .
- ٥ - صدمات الحياة الزوجية .



## ١ - سنّة الزواج في الإسلام

- أيها المسلمون : نظام الزوجية سنّة عامة من سنن الله تعالى في الخلق والتكوين، تنتظم الإنسان والحيوان والنبات.
- كما قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .
- والتزواج هو الأسلوب الذي اختاره الله للتوالد والتكاثر، واستمرار الحياة.
- كما قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ... ﴾ .
- ولما كان الإنسان مخلوقاً مكلفاً : جعل الله نظام تزاوجه شريعة محكمة، ونظاماً اجتماعياً ملزماً للناس.
- ولولا الشريعة لكان التزاوج البشري صورةً من صور التزاوج الحيواني، بل ربما كان أشدّ منه ضللاً وضياًعاً.
- إن الغرائز الإنسانية إذا لم تضبطها شريعة ملزمة : انطلق الناس في إشباع رغباتهم بلا قيود ولا حدود.
- مما ينتج عنه فوضى الشهوات المسعورة، التي تنتهي بالبشرية إلى الهلاك والدمار العام.
- فكل غريزة مركبة في الإنسان تحتاج إلى إشباع، وليس لهذا الإشباع عند الإنسان حدٌ يقف عنده إذا لم يضبطه ضابط شرعي ملزم.
- فغريزة حبّ التملك إذا لم تنضبط بضابط الشرع ؛ فإنها تذهب منطلقة للاستحواذ على كل شيء، فلا تشبع أبداً.
- وكذلك الغريزة الجنسية إذا لم تنضبط بضابط الشرع ؛ فإنها تنطلق مسعورة لا تشبع ؛ فتقع في حلال وحرام.

- وها هي فوضى الجنس تعم الحياة الإنسانية المعاصرة بظلالها المقيتة، ومظاهرها المخزية، في صور يترفع عنها الحيوان.
- لقد انطلق كثير من الناس في المجتمعات المعاصرة نحو إشباع غرائزهم الجنسية فلم يصلوا إلى حدّ الإشباع؛ وإنما ينتقلون من سعار إلى سعار.
- لم تشبع رغباتهم المسعورة من فروج النساء، ولا من أدبار الرجال، حتى فتكوا بالحيوان، يبحثون عما يشبع سعارهم.
- وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾.
- أيها المسلمون : لقد شرع الله تعالى لنا النكاح، وأذن لنا في الزواج فقال: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾.
- وقال تعالى أيضاً: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾.
- وقد سنّ لنا رسول الله ﷺ في سيرته المباركة التزوّج، فتزوج ﷺ وتسرى.
- وكان يقول: « النكاح سنتي، فمن لم يعمل بسنتي فليس مني، وتزوجوا، فإنني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة».
- أيها الإخوة : ولما كانت المرأة بطبيعتها الفطرية في حاجة إلى من يرعى شؤونها، وينظر لها، ويحميها، ويتلطف بها : أوجب الله لها: الولي والشهود والمهر.
- فأما الولي فإنه ليضبط حق المرأة، وليختار لها الكفء، ثم يعرض عليها لتختار لنفسها.
- وفي الحديث: قال الرسول ﷺ: « أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل ».

- وأما الشهود فحتى يخرج النكاح عن السر، إضافة إلى سماعهم الشروط لضبط الحقوق بين الزوجين.
- وفي الحديث قال الرسول ﷺ: « لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل».
- وأما المهر فإنه من حقوق المرأة، ومن مظاهر التلطف بها، فلا يحل له أن يدخل بها حتى يقدم لها شيئاً ولو يسيراً.
- كما قال تعالى: ﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾، يعني: هدية وعطية، بطيب نفس من الرجال.
- أيها المسلمون: إذا حضر الولي والشاهدان، وقُدِّم المهر ولو يسيراً، ووافقت المرأة: فهذا هو النكاح الإسلامي، وما زاد على ذلك فإنما هي شكليات وتوابع يقوم بها المسلم على ما يتيسر كالوليمة، والدف، والتوسع في الأفراح والمساكن والفرش.
- والناظر في أحوالنا الاجتماعية يجد أننا تشدّدنا وتوسعنا فيما جاءت الشريعة بالتيسير فيه، مما هو تابع وليس بأصيل.
- حتى إن الرجل ليتكلف لزواج ولده أو ابنته فوق طاقته، يبيع ما فوقه وما تحته ليظهر أمام الناس بما يظن أنه لائق به.
- ولقد رأينا في المجتمع من لا يملك بيتاً يسكنه، ومع ذلك ينفق في عرس ولده أو ابنته كما ينفق الأغنياء، لا تكاد تفرق بينهم.
- ثم يمكث بعد ذلك زمناً طويلاً يسدد ما عليه من ديون، وربما توسع في الوليمة فإذا أراد شراء الأثاث عجز عن ذلك.
- وأعجب من ذلك أن تجد الرجل الفقير، الذي يعيش على حسنة المحسنين يتوسع في أمر النكاح كحال الأغنياء أو قريباً منهم!

- لقد زوّج رسول الله ﷺ امرأة على نعلين، وزوج ابنته فاطمة رضي الله عنها بدرع، وجاءه رجل لا يملك إلا إزاراً يستر عورته ، فزوّجه على ما كان معه من القرآن ، ثم أذن له فذهب بالمرأة ، أين تراه ذهب بها ، وهو لا يملك من الدنيا إلا إزاراً يستر عورته !؟
- إن المقصود من كل هذه التدابير النبوية هو حصول النكاح ، وتحقيق العفة، وليس هو الشكليات والرياء والسمعة التي غرق فيها كثير من الناس.



- أيها الإخوة : لقد شرع الله تعالى المهر والوليمة والدف ونحوها لتكون سبباً لحصول النكاح، وليست لتكون عوائق تحول دون النكاح.
- ولقد اتفقت كلمة العقلاء في هذا العصر على أن تكاليف الزواج تقف حائلاً دون إتمام الزواج ، وحصول الإعفاف والسكن.
- يمكث الشاب بعد بلوغه، عشر سنوات ينتظر الزواج، ومنهم من يمكث خمسة عشر عاماً، ومنهم من يزيد على ذلك.
- وتقعّد الفتيات في البيوت ينتظرن الشباب حتى يتأهلوا، فتقعّد إحداهن عند أهلها حتى يملأوا منها.
- شباب متعطش مفتون، وفتيات مشتعلات مفتونات، فلا تسأل عما يجري بين الفريقين من التجاذب والتغازل والفساد.
- حتى إنك لتشعر وكأنك تعيش ثورة شهوانية بين الفتيان والفتيات، عبر الجوالات، وشبكات الإنترنت ، وفي الشوارع والأسواق.
- تخرج إحداهن إلى السوق بزيّ فاضح، وحركات غريبة، وكأنها تقول للشباب : خذوني واذهبوا بي.



- وترى الشاب على الطريق ينظر إلى الفتيات، وقد امتلأ بالشهوة، لا يبالي بمن حوله من الناس ، ولا يستحي من نظرهم إليه ، وكأنه ذئب بشري.
- ثم ماذا بعد ذلك ؟ اتصال من الهيئة: أنت فلان؟ تعالَ واستلم ابنتك من مكتب الهيئة.
- يأتي الأب في آخر الليل متعباً، فتصارحه الأم: ابنتك خرجت إلى الجامعة منذ الصباح ولم تعد حتى الآن.
- البنت البكر تشكو آلاماً في معدتها ، وتستفرغ كلَّ ما يقع في بطنها، يذهب بها أبوها إلى الطبيب، مبروك، ابنتك حامل.
- قصص كثيرة يعج بها واقعنا، ليس لها تفسير إلا أنها الفطرة ، التي لا يمكن أن يقف في وجهها شيء من العادات ، ولا التقاليد ، ولا الدراسة ، ولا المهر ، ولا الوليمة ، ولا فرش المنزل .
- إن حاجة الجنسين إلى بعضهما البعض حاجة فطرية مُلِحَّةٌ، لا تقبل التأجيل، فإما أن يلتقيا بالحلل، وإما أن يلتقيا بالحرام، وليختر المجتمع ما بدا له، الحلل مع التيسير، أو الحرام مع التعسير.

## ٢ - الزواج ووسائل نجاحه

- أيها الإخوة : الزواج فطرة كونية ، فهو نظام كوني عام ، يشمل الجوانب المادية والمعنوية: الحيوان، والنبات، والجماد، وكذلك الأخلاق: الصدق والكذب، الحق والباطل، الليل والنهار، وهكذا صورة التزاوج في كل شيء خلقه الله تعالى من الماديات والمعنويات.
- والزواج سنة المرسلين جميعاً عليهم السلام من آدم حتى محمد ﷺ.
- حرم الإسلام الرهبانية والتبتل، فقد أنكر الرسول ﷺ على الثلاثة الذين أعرضوا عن مباحات الدنيا، ونهى عن الرهبانية.
- الزواج هو النظام الوحيد لقيام الأسرة الإنسانية.
- أما فوائد الزواج فكثيرة وجليلة منها :
- تكثير النسل وحصول الولد؛ فإن عبادة الله في الأرض لا تتم إلا بالتناسل، الذي يُوجد الإنسان الذي يقوم بالعبادة.
- حصول العفة بقضاء الوطر بالطريق المشروع.
- حماية المجتمع من الانحرافات الجنسية، التي تكون العزوبة سبباً فيها.
- حصول السكن والاطمئنان النفسي، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾.
- ولقد استقر عند العقلاء أن الزواج من أعظم أسباب الراحة النفسية، والصحة الجسمية.
- كما أن العلاقة الزوجية من أعظم العلاقات الإنسانية وأقواها وأغلظها.
- كما أن أهم الانفعالات التي تحدد سعادة الإنسان هي تلك الانفعالات المتعلقة بالحياة الزوجية ، وتكوين الأسرة.

- وفي الجانب الآخر : فإن العزوبة سبب من أسباب الوسواس، والحرمان، والأمراض النفسية، والإجرام.
- وقد أثبت الواقع الميداني ارتباط الجريمة - في كثير من حالاتها- بالشباب الأعزب، الذي لم يرتبط بالزواج ، ولا تكوين الأسرة.
- ومن جهة أخرى فإن الاستقرار الزواجي من أعظم أسباب السعادة الإنسانية، والشعور بالراحة والسكن.
- لما أراد زياد بن أبي سفيان أن يعبر عن السعادة لم يجدها إلا في الزواج والاستقرار الأسري ، فقال: « رجل مسلم له زوجة مسلمة، لهما كفاف من العيش، قد رضيت به ورضي بها ، لا نعرفه ولا يعرفنا ».
- أيها الإخوة : هذه السعادة الزوجية لا تتحقق إلا بوسائل منها :
- حسن اختيار الزوجين على أساس الدين وحسن الخلق.
- تقارب السن بين الزوجين، فهو أدعى للألفة، وحسن الوفاق ، وسلامة التفاهم.
- السلامة الصحية، فالزواج تكاليف بدنية، وإنجاب، وخدمة، تحتاج إلى زوجين صحيحين.
- التغريب في النكاح، بتجنّب الأقارب، وفي الحديث: «الناكح في قومه كالمُعشِب في داره»، يعني: كالزارع في داره.
- تبادل النظر بين الخطيبين والحذر من: التشدد في ذلك، أو التفلّت فيه، ولا بد من إظهار الفتاة على حقيقتها أمام الخاطب ، وكذلك الفتى ، لا يخفي من عيوبه شيئاً.
- عدم إجبار الفتاة أو الفتى على الزواج ، ولا مانع من ترغيبهما في غير إجبار.

- تيسير مؤونة الزواج، فقد دخلت عائشة رضي الله عنها على الرسول ﷺ وليس في بيته سوى قدح من لبن، ومتاع قليل، ودخلت فاطمة رضي الله عنها على جلد كبش.
- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « لا تغالوا في مهور النساء : فتكون عداوة »، يعني: يكره الرجل المرأة؛ لما تكلف لها من المؤونة.
- أيها المسلمون : لا بد للزوج بعد دخوله بأهله أن يراعي معاشرتها بالمعروف، وهذا يشمل حسن المعاملة، والنفقة بالمعروف.
- ولا بد للزوجة أن تعترف لزوجها بالقوامة، والطاعة في المعروف.
- وبهذين الأمرين تعمر الحياة ، وتزدهر الأسرة، وتنشأ الذرية نشأة مستقرة سوية .

\* \* \*

- أيها الإخوة : إن من أكبر مشكلات الحياة المعاصرة تأخير سن الزواج بسبب الدراسة، والأمور المالية ونحوهما، مما نتج عنه انحرافات كبيرة في أوساط الشباب، حتى اقترنت الجريمة بالشباب والانحراف، وثبت ميدانياً أن غالب المجرمين من العزاب.
- إن الحاجة إلى إشباع الشهوة الجنسية لا تتأجل، ولا يمكن أن يقوم مقامها دراسة، أو شغل، أو تسلية، أو عمل.
- يقول أبو مسلم الخولاني ناصحاً قومه: « يا معشر خولان: زوجوا نساءكم وإماءكم، فإن النعظ (يعني الشهوة) أمر عارم (يعني: شديد وعنيف) فأعدوا له عدة، واعلموا أنه ليس لمنعظ أذن » ، (يعني: أن المثار جنسياً لا عقل له ولا فهم ولا سمع).
- فاتقوا الله أيها الناس ، ويسروا أمر النكاح، واتقوا الله في الشباب والشابات، فإنهم في حرج شديد.

### ٣ - تيسير مؤونة الزواج

- أيها المسلمون : إن من أعظم الحلال الذي أباحه الله تعالى، وحث عليه، ورثب عليه الأجر والثواب هو النكاح.
- وقد أجمعت الأمة على إباحته واستحبابه، وأوجبوه على من اشتاقت إليه نفسه، وهو قادر عليه.
- قال الرسول ﷺ : « أنكحوا فإني مكاثر بكم ».
- وقال أيضاً: « من أحب فطرتي فليستن بسنتي، وإن من سنتي النكاح ».
- وقال الرسول ﷺ عن فضل الزواج في حفظ دين المسلم: «إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين، فليتق الله في النصف الباقي».
- وحذر في الجانب الآخر من العزوبة فقال: «شراركم عزابكم، وأراذل موتاكم عزابكم».
- وما هذا التحذير من خطر العزوبة إلا لما فيها من الفتنة، ولاسيما في هذا الزمان الذي طغى فيه الفساد الخلقي.
- والناظر في واقع الشباب والشابات يستشعر النار الموقدة بينهم، وجنون الفتنة الجنسية ، مما يوجب تسهيل أمر النكاح.
- وقد حث الرسول ﷺ على التيسير في مؤونة الزواج فقال : « أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة ».
- وقال ﷺ: « خير النكاح أيسره ».
- وقال أيضاً ﷺ: « خير الصداق أيسره ».
- وقال ﷺ: « خيرهن أيسرهن صداقاً ».

- وقال أيضاً: « إن من يمن المرأة تيسير خطبتها، وتيسير صداقها، وتيسير رحمها».
- ولما بلغ النبي ﷺ أن أحد أصحابه دفع مهراً عالياً قال: « لو كنتم تعرفون - يعني المال - من بطحان ما زدتم».
- وقال ﷺ في حدِّ المهر: « لو أن رجلاً أعطى امرأة صداقاً ملء يديه طعاماً كانت له حلالاً».
- وقد أجاز عليه الصلاة والسلام النعل يقدمه الرجل مهراً للمرأة، فقد قدّم رجل في زمنه نعلين لامرأة، فقال الرسول ﷺ للمرأة: « أرضيت من نفسك ومالكِ بنعلين؟ قالت: نعم »، فأجاز نكاحها.
- إن الهدف من تيسير أمر الزواج هو إقامة البيت المسلم، وحصول النسل، ودرء الفتنة عن العزاب.
- وهذا هو المقصود الأعظم من النكاح، وليس المقصود هو الرياء والسمعة بإقامة الولائم العظيمة، ودفع المهور الكبيرة، وتباهي النساء بملابسهن وزيتتهن، وما يحصل من منكرات الأفراح، كلُّ ذلك لا دخل له في النكاح.
- إلا أن الواقع يشهد بأن النكاح في هذا الزمان لا يكاد يحصل إلا بارتكاب بعض المحظورات الشرعية، والتكاليف العالية.
- فالمهر الذي هو سبب ووسيلة للزواج، والذي لم يأت فيه الشرع بقدر معين؛ فلم يضع حداً لأقله ولا لأكثره: قد أصبح في هذا العصر عائقاً من عوائق الزواج، يقف في طريق الشباب.
- والوليمة التي أمر بها الرسول ﷺ للتفريق بين النكاح والسفاح، وأمر فيها بما تيسر، أصبحت عائقاً آخر في طريق الزواج؛ لما فيها من التكاليف الكبيرة.

- حتى إنك لتجد الفقير من الناس يتكلف؛ فيقيم وليمة لا تختلف كثيراً عن ولائم الأغنياء.
- ثم يجلس أحدهم سنوات يسدد ديونه، حتى يقع في نفسه بغض المرأة ، التي كانت سبباً في تكاليفه وإرهاقه.
- ولهذا يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا تغالوا في مهور النساء فتكون عداوة»، أي: تصبح المغالاة عداوة في نفس الرجل على المرأة.
- أيها الإخوة : إن الرجل قد يتزوج المرأة فلا يتوافقان، ويكون بينهما شقاق وتنافر ، وتتعسر الحياة بينهما، ويكون الطلاق هو الحل الوحيد : فلا يطلقها بل يعضلها، وتبقى معه على همٍّ وكرب، ويبقى معها على نكد وشر ؛ بسبب ما تكلفه في نكاحها من المهر والوليمة.
- لقد دخلت عائشة رضي الله عنها على سيد الناس رسول الله ﷺ وليس في بيته إلا قذح لبن، ومتاع لا يتجاوز خمسين درهماً.
- ودخلت فاطمة رضي الله عنها سيدة النساء على علي رضي الله عنه وليس لها من المتاع إلا جلد كبش ، وشيء يسير من المتاع، بل لم يكن لعلي بيت يسكنه، حتى تحول له أحد الأنصار عن بيته فدخل على زوجته، بعد أن مكث تسعة أشهر بين العقد والدخول.
- فرغم أزمة السكن في زمن النبي ﷺ فإنها لم تحل دون الزواج، حتى ذلك الرجل الذي زوجه النبي ﷺ على ما كان معه من القرآن، ولم يكن يملك من الدنيا إلا إزاره الذي يستر عورته، ومع ذلك ذهب بزوجه بعد أن عقد له النبي ﷺ.
- وإن المسلم ليتعجب من بعض الناس : لا يرضى بالعقد لابنته حتى يأتي

الخطاب بكامل المهر ، ويجهز السكن ، فإذا لم يفعل بقيا على الخطبة، يخرج معها، ويختلي بها، وربما وقع بينهما المحذور، ومع ذلك يتشدّد في مهرها، ولا يبالي بعرضها.

- أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

\* \* \*

- أيها الإخوة : يقول الله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ... ﴾ .

- إنها صفة من صفات المؤمنين : يتأمرون بالمعروف ويتناهون عن المنكر، أيها الإخوة ، لتساءل: ماذا يجري في أعراسنا؟

- أليس هو التبرج والسفور، وكشف العورات، والغناء الفاحش، وتأخير الصلاة عن وقتها وربما تركها، وإدخال الرجال على النساء؟ أين الرجال من سفهاء النساء؟

- تجد الرجل العاقل الحصيف ، المعروف بين الناس بحزمه وحكمته ، فما أن يدخل في أمر النكاح حتى يترك زمامه للنساء ، يتلاعبن به .

- حتى إنك لتتعجب كيف يتخلى عن شخصيته ، ليتحول إلى عبد طائع منفذ للأوامر ، قد تجرد من الالتزامات الشرعية ، والأخلاق الاجتماعية، ليس له هم إلا إرضاء النساء .

- والله تعالى يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ .



#### ٤ - التأهيل للحياة الزوجية

- أيها المسلمون : إن المهمة الأولى والكبرى التي أوجد الله الإنسان من أجلها هي تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى.
- فمراد الله تعالى من وجود هذا الإنسان هو القيام بمهمة العبودية له سبحانه وتعالى.
- والإنسان المكلف بهذه العبودية لا يوجد بصورة تلقائية، وإنما يوجد من خلال التناسل ، والتكاثر البشري.
- وهذا التناسل والتكاثر لا يتم كما أمر الله تعالى إلا من خلال الزواج وبناء الأسرة : لبنة المجتمع الأولى.
- والإنسان لا يُعد إنساناً على الحقيقة حتى يكون نتاجاً لأسرة اجتماعية، قد تلقى فيها المبادئ الإنسانية الأولى.
- المبادئ : العقدية والأخلاقية والسلوكية، ثم تدرَّب عليها في أسرته، واعتاد عليها وتشربها.
- فالإنسان لا يُعد إنساناً لما يحمله من الصفات الوراثية، وإنما يُعد إنساناً لما يحمله من السمات : العقلية والسلوكية والأخلاقية.
- فكم من أشخاص يحملون شكل الإنسان في سماتهم الوراثية، إلا أنهم فقراء من سمات الإنسان : الأخلاقية والعقلية والسلوكية.
- فأبي قيمة تبقى للإنسان حين يفقد المبادئ والقيم والأخلاق، إنه حينئذٍ لا يزيد عن كونه حيواناً ذكياً في صورة إنسان.
- أيها الإخوة : إن الأسرة هي المحضن الأساس، المكلف بتزويد الإنسان بما يؤهله لمقام الإنسانية ومستواها الرفيع.

- فالآباء والأمهات هم سفراء المجتمع في الأسرة؛ لنقل : العقائد والمبادئ والقيم إلى النشء الجديد، وتربيتهم عليها.
- فالطفل يتشكّل في الأسرة بما يمارسه معه أبواه من أنواع التربيّات ، وأساليبها المختلفة.
- والطفل - أياً كان - لا يعدّو أن يكون نتاجاً لتربية أسرية صالحة، أو تربية أسرية فاسدة.
- فهو بريءٌ في اختياراته لنفسه، لا يعرف ما يصلحه، ولا يدرك ما يضره، وإنما هي مسؤولية المربين في الأسرة.
- ومن هنا فإن إنشاء جيل صالح مرهون بصلاح الآباء والأمهات، وعليهم تقع المسؤولية التربوية الأكبر ، والمهمة الاجتماعية الأصعب.
- ولكن السؤال الملحّ، الذي يطرح نفسه علينا بقوة، ويحتاج منا إلى جواب: هل تأهّل الآباء والأمهات للتربية الأسرية؟
- بمعنى آخر : هل هؤلاء الأزواج، الذين نعقد لهم، ونزفهم في الأعراس، هل هم مؤهلون بالفعل للإنجاب ، وتربية الصغار؟
- ماذا عند هذين الزوجين الجديدين من العلم والأخلاق والآداب : يمكن أن يقدماه لأولادهما في المستقبل القريب؟
- يدخل أحدهم على زوجته وقد بلغ الخامسة والعشرين، فإذا به طائش عابث، لم يتجاوز سن المراهقة بعد.
- لا يستقر في عمل ، ولا يُجيد مهارة، ولا يملك صنعة، مورده مما يعطيه إياه أبوه، لا يحسن شيئاً.
- اللهم إلا الدخول على شبكات الإنترنت، والمواقع الممنوعة، عابثٌ لاهٍ، لا يصلح لدنيا ولا لأخرى.

- وأما الفتاة فلا تبعد عنه بكثير، فهي في الثانية والعشرين من عمرها، ومع ذلك لا تُحسن شيئاً في الحياة الزوجية.
- لا تزال تحمل أرقام هواتف بعض الشباب الذين كانت تكلمهم قبل زواجها، احتفظت بها لوقت الضيق!!
- وأما الصلاة، والأخلاق، والآداب، فلا شيء من ذلك، آباء بلا حقيقة، وأسرٌ بلا معنى.
- فما هي إلا أشهر معدودة حتى يملُّ كلُّ واحد صاحبه، وتعود الفتاة إلى بيت أهلها بجمل في الشهر الثالث.
- ثم يكتشف الأهل أن ابنتهم قد ضربت أكثر من مرة، وطُلقت في عدة مجالس، والشاب يشكو سوء خلقها، وإهمالها للبيت.
- ثم تبدأ الحلقة المفرغة، بين خروج الفتاة من بيتها وإعادتها مرة أخرى، كلما خرجت أُعيدت بصلح وشروط وفتوى.
- الشاب يطلُّ كالمجنون ، والأهل يبحثون عن فتوى شرعية تحفظ هذا البيت المهلهل من السقوط والضياع.
- وفي هذا الجو الأسري الممتلئ بالآلام والأحزان: يقدم البراء الصغار، يبحثون عن أبٍ صالح، وأم حنون.
- وإذا بالصغار أهونُ شيء على الأم القاسية، كلما غضبت رمت بهم وخرجت، تزعم أنها تعذب الأبَ بهم وتؤدِّبه.
- وإذا بالأب المهمل قد ألقى بهم هو الآخر عند جدَّتهم، وتفرَّغ هو في إجازة من الأسرة ، يلهو حيث يشاء.
- ويبقى الصغار مشتتين بين البيوت لا قرار لهم، قد مُلِّؤوا بالحق واليأس والضرر، فلا تسأل عن مصيرهم.

- أي صورة قائمة سوداء تبقى في أذهان هؤلاء الصغار عن الحياة الزوجية؟  
كيف تراهم يتقبلون حياتهم مستقبلاً؟
- وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾.

\* \* \*

- أيها الإخوة : إن من الضروري حين نفكر في تزويج أولادنا وبناتنا: أن نفكر - أيضاً - في تأهيلهم للحياة الزوجية والأسرية.
- قبيح جداً أن يُزفَّ الزوجان وهما أجهلُ ما يكونان بالحياة الزوجية، والتربية الأسرية.
- يلتقي الزوجان على جهل، ويعيشان على جهل، وربما افترقا على جهل، لا يعرفان حقوقاً ولا واجبات.
- إن المحاكم لتتن بالمشكلات الزوجية، وحالات الطلاق، حتى إن صكوك الطلاق - في بعض المحاكم - تفوق أحياناً عقود النكاح.
- وهذا خطر داهم، يُنذر بمأساة اجتماعية، وضياع أسري، وفتنة عظيمة، تحتاج إلى يقظة اجتماعية.
- إن التربية الزوجية تبدأ قبل الزواج بسنوات، يتأهل فيها الفتيان والفتيات للحياة الزوجية.
- يشاهدون الحياة الزوجية المثالية في الأبوين، والمنهج المدرسي، ووسائل الإعلام، والدورات التدريبية التربوية.
- يتربون على أن الزواج: مسؤولية وشراكة وشهامة، وليس الزواج نزوةً وأنانيةً ونذالةً.
- وما لم يتنبه المجتمع لأزمات الزواج القائمة: فإن العواقب ستكون وخيمة، والكارثة كبيرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

## ٥ - صدمات الحياة الزوجية

- أيها الإخوة : الأسرة هي اللبنة الأولى والأهم في بناء المجتمع الإسلامي، وهي نواة الحياة الإسلامية، بها يجيا المجتمع ويزدهر.
- وتُبنى الأسرة بعقد شراكة غليظ شديد، بين رجل وامرأة، يستبيح كلُّ منهما من صاحبه ما لا يستبيحه من شخص آخر، حتى يصبح أحدهما للآخر كاللباس الذي يخالط صاحبه ويلائمه: ﴿ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ ﴾.
- ويبدأ بناء الأسرة بالخطبة، فيتقدم الشاب لأسرة الفتاة ظناً منه أنها التي تناسبه لبناء عش الزوجية الجديد.
- وتوافق الفتاة وأهلها على أنه الشاب الأنسب والأليقُ بها، وتتم مراسم الزواج وعقد النكاح.
- وتُسَلَّمُ الفتاة لزوجها، ليذهب بها إلى داره، وعندها تبدأ الصدمة الأولى، صدمة اللقاء والتعارف والخلوة.
- فإذا غمرهم الحبُّ والوئامُ : كانت الصدمة سهلةً يسيرةً، وذكرى طيبةً حسنةً، تبقى لهما على مرّ الحياة القادمة.
- وأما إن كان اللقاء الأول مؤلماً قاسياً، فإنه يبقى نقطةً سوداءً في حياتهما، يتألمان عند ذكراها.
- ثم تسير الحياة بالزوجين إلى الصدمة الثانية، صدمة الانسجام والتوافق والتفاهم في السنة الأولى.
- فإذا تجاوزا هذه الصدمة، فما بعدها أسهل، وإذا أخفقا فيها فما بعدها أصعب، ففي هذه المرحلة أكثر حالات الطلاق.

- إن السنة الأولى من عمر الأسرة تحتاج من الزوجين إلى مزيدٍ بذلٍ وعطاءٍ وإيثارٍ، لا إلى شحٍّ وأنانيةٍ واستعلاء.
- يسعى كلُّ منهما للتوافق مع صاحبه، يُؤقلم من نفسه، ويهدِّب من طبعه، ويحسِّن من خُلُقِهِ، حتى يتَّفَقَ ويلائمَ صاحبه.
- ثم تسير الحياة بالزوجين الجديدين إلى الصدمة الثالثة: الحملِ والوَحَمِ والطفلِ الأول، وبذلك يشتد الرباط والوثاق بين الزوجين ، فمن كان منهما قد نوى الانفصال قبل ذلك ، فإنه يجبر الحمل يراجع نفسه ، ويشعر بأن مشوار الحياة قد بدأ بالفعل.
- فلا مجال هنا للعودة عن الاستمرار في مشروع الأسرة بمزيد أطفال يملؤون المنزل صخباً وبهجةً وأنساً.
- فيصبحُ الأطفال روابط جديدةً، تربط بين الزوجين، وتزيد من متانة بناء الأسرة ، واستمرار عطائها.
- ثم تسير الحياة بالأبوين إلى الصدمة الرابعة: كيف نربي أبناءنا؟ ما هو النهج الأمثل للتربية الأفضل؟
- كثيراً ما يكون نهج تربية الأولاد : موضعَ جدالٍ ونزاعٍ بين الوالدين، ينعكس في نهاية الأمر ضرراً على الأولاد.
- إن الأولاد يحتاجون إلى منهج تربوي سديد، يتفق عليه الوالدان، وينفذهانه سوياً دون تناقض أو تعارض أو تنازع.
- ثم تسير الحياة بالأسرة إلى الصدمة الخامسة: كثرة النفقات، وحاجة العائلة إلى مورد اقتصادي آخر.
- وهنا إن لم يكن ربُّ الأسرة حازماً في ضبط نفقات الأسرة، يسير ضمن خطة محكمة: فإن الأسرة تخوض صراعاً جديداً.

- المرأة والأولاد يطالبون بمزيد نفقات، ودخل الأسرة لا يسمح بذلك، ماذا يصنع الأب؟
- أيعمل عملاً إضافياً؟ هل يدفع زوجته إلى العمل لتساعده؟ هل يستدين وهو يعلم أنه لا يستطيع أن يسدد؟
- إنه صراع عام، قل من ينجو منه، يحتاج إلى ضبط وحزم، وحكمة الأم الصالحة المدبرة المشفقة.
- ثم تسير الحياة بالأسرة إلى الصدمة السادسة: زواج الأولاد والبنات، الاختيار والقرار، والعقد والنكاح.
- وهنا يأتي الصراع بين ما اعتاده الناس من الإسراف والتبذير والرياء والسمعة، وبين ما سنه الرسول ﷺ من التيسير والاعتدال.
- إن ميزانية الأسرة لا تسمح بالتوسع في نفقات الزواج، ولكن ماذا يقول الناس عنا؟ الأم تريد أن تفرح فكيف تصنع؟
- صراع تعيشه الأسر عند زواج أولادها، وغالباً ما تضعف قدرات الرجال على مواجهته، حتى ينهاروا ويستسلموا لرغبات النساء.
- ثم تسير الحياة الزوجية إلى الصدمة السابعة: التقاعد والفراغ والأمراض المزمنة، قد خلى البيت من الأولاد، وعادت الأسرة كما بدأت بلا أولاد، ولكن بخادمة وسائق، الكل قد انشغل بحياته عن والدين كبيرين يودعان الحياة.
- كلٌّ منهما يشكو آلاماً نفسية وجسدية، ويريد من شريكه دعماً وعوناً، ومزيد تضحية وإيثار.
- لم يبقَ للوالدين الكبيرين إلا ذكرى عابرة قد مضت، وشيء قليل من برّ الأولاد، وأحفاداً صغار يتلهيان بهم.

- ثم ماذا بعد ذلك؟ إنها الصدمة الثامنة، إنه الموت، إما ترمُلُ الزوجة، أو عزوبة الزوج، أيهما أسبق؟!
- ماذا يصنع الرجل بباقي حياته دون شريكته؟ وماذا تصنع الزوجة بباقي حياتها دون زوجها؟ أين وكيف تقضيها؟
- أيخوض الرجل تجربة جديدة فيتزوج بأخرى ، ويواجه صدمة تاسعة، أم ينتظر اللحاق بزوجته، ولكن من يقوم على خدمته؟
- وأما الزوجة وقد ترمّلت، فلا مكان لها إلا بين خادمة وسائق، أو ولد أو بنت تحنُّ عليها وتؤويها.
- إنها دورة الحياة وقطار الزمان، هذا يصعد وهذا ينزل، والسعيد من صعد بأمان، ونزل بأمان.

\* \* \*

- أيها الإخوة : إن صدمات الحياة الزوجية أمر طبيعي، وتجربةٌ يخوضها غالب المتزوجين، ولكنَّ الفروق بينهم في كيفية مواجهة هذه الصدمات، وما هو المنهج السديد الذي تُعالج به الصدمة؟
- إن أناساً منا نشأوا على أهوائهم، وعاشوا بأهوائهم، وماتوا بأهوائهم ، فلا تسأل عن هلاكهم.
- وإن العقلاء منا من علم أن الله أكرمه بمنهج قويم للحياة السعيدة، فأخذ به، وحكّمه في حياته، فسعد، وأسعد من حوله.
- إن الحياة الزوجية لتدوم وتزدهر: تحتاج إلى خُلُقَيْنِ اثنين : خلق الصبر، وعدم العجلة، وخلق الإيثار وعدم الأنانية.
- أما خلق الصبر فلا بد منه لمواجهة صدماتها، والتغلب عليها.
- وأما خلق الإيثار، ففي تقديم كلِّ من الزوجين صاحبةً على نفسه.



- وبغير هذين الخلقين تصبح الحياة الزوجية مأساةً وجحيماً لا يطاق ، وربما انهارت الأسرة ، وضاع الصغار.
- اللهم ألهمنا الصواب ، وبارك لنا في الأهل والأحباب ، واجعلنا من السعداء في الدنيا والآخرة.



## سادساً : التربية العقلية :

- ١ - مقام العلم بين العالم والمتعلم .
- ٢ - شروط التفوق العلمي .
- ٣ - مؤسساتنا التعليمية وأزمة الإبداع .
- ٤ - مسؤولية المؤسسات التعليمية والواقع المؤلم .
- ٥ - الموقف من التعليم الديني .
- ٦ - اللغة العربية وقضية تعليم اللغة الأجنبية .



## ١ - مقام العلم بين العالم والمتعلم

- أيها المسلمون : ليس من دين سماوي أو وضعي استحباب لأهله العلم، وحثهم عليه كحال دين الإسلام، الذي لم يقبل بالتسوية بين العالم والجاهل، فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ﴾.
- وقال أيضاً : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.
- وقال الرسول ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ».
- وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « تفقهوا قبل أن تُسودوا ».
- وامتدحت السيدة عائشة رضي الله عنها نساء الأنصار فقالت : « نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ ؛ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَسْأَلْنَ عَنِ الدِّينِ ، وَيَتَفَقَّهْنَ فِيهِ ».
- وقال الإمام ابن شهاب الزهري رحمه الله عن السؤال عن العلم : « العلم خزانة : مفتاحها السؤال ».
- وقد أجمع العلماء على أن من العلم ما يكون فرض عين على الجميع، مثل : أصول العقائد والشعائر التعبدية، ومنها ما هو فرض كفاية على المتخصصين من العلماء.
- وعلى الرغم من وجوب العلم على هذه الأمة فقد رتب الشارع الحكيم عليه عظيم الأجر والثواب؛ حيث قال الرسول ﷺ : « من سلك طريقاً بيتني فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في

- الأرض، حتى الحيتانُ في الماء، وفضلُ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ على سائرِ الكواكبِ».
- وقال الحسن البصري رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ ، قال: «العلم والعبادة»، ﴿ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ ، قال: «الجنة».
- وقال سفيان الثوري رحمه الله : «ما من عملٍ أفضلُ من طلب العلم إذا صحَّت النية».
- وقال ابن شهاب الزهري رحمه الله : «ما عبد الله بمثل العلم».
- ولما أحرقت كتبُ عروة بن الزبير رضي الله عنهما حزن عليها حزناً شديداً، وقال: « وددت لو أن عندي كتبي بأهلي ومالي » ؛ يعني أن حرق أهله وأولاده أهون عليه من حرق كتبه.
- أيها المسلمون : إن الحصول على العلم الصحيح لا يكون براحة الجسد، ولا يكون بالبخل بالمال، ولا يكون أيضاً دفعة واحدة.
- فقد سافر جمع من العلماء الأيام والليالي لطلب العلم، حتى قال ابن المسيب رحمه الله : « إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد».
- وقال الشعبي رحمه الله : « لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن لسمع كلمة حكمة : ما رأيت سفره ضاع».
- ثم إن طلب العلم لا يكون بالبخل بالمال، فقد اقترن العلم بالفقر، فكم من طالب علم باع متاعه، وأكل الخشن من الطعام، وبات طاوياً، وقد نُقل أن أم الإمام الشافعي رهن بيتها لتفرغ ولدها للعلم.
- إن العلم لا يحصل دفعة واحدة ؛ إنما بالاستمرار وطول النظر والمذاكرة، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «إن الرجل لا يُولد عالماً ، وإنما العلم بالتعلم».

- إن العلم لا ينتهي له، فمن ظن أنه قد علم فقد جهل، فإنك ما تزال عالماً ما دمت متعلماً، فإذا استغنيت أصبحت جاهلاً.
- ولو أن أحداً يمكن أن يكتفي من العلم لاكتفى موسى عليه السلام فقد قال للخضر عليه السلام: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنِّي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ .
- أيها المسلمون : إن من خصه الله بالعلم، وفقهه في الدين : فقد أوجب عليه تعليم الناس، وعدم البخل بالعلم؛ فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم في فضل تعليم الناس: « إن الله وملائكته ، وأهل السموات والأرض ، حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت في البحر: ليصلون على معلم الناس الخير ».
- وقال الرسول صلى الله عليه وسلم عن البخيل بالعلم: « مثل الذي يتعلم العلم ولا يتحدث به : كمثل الذي يكتز الذهب ولا ينفق منه ».
- وقد كان السلف لا يبخلون بالعلم حتى قال سعيد بن جبير رحمه الله: «وددت أن الناس قد أخذوا ما معي من العلم».
- وقال الشافعي للربيع بن سليمان رحمه الله: « يا ربيع لو قدرت أن أطعمك العلم لأطعمتك إياه ».
- وقد كان كثير من علماء السلف يتدرون الطلاب بالعلم ، ويثيرونهم إلى المعرفة ، ويطلبون منهم السؤال، وربما جلس بعضهم يحدث الصبيان ورعاة الإبل.
- إذا قام العالم بواجب التعليم، فإن واجب طالب العلم الاحترام والتقدير، وفي الحديث : «ليس منا من لم يعرف لعالمنا».
- قال شعبة بن الحجاج رحمه الله عن احترامه مشايخه: « كل من سمعت منه حديثاً فأنا له عبد ».
- إن أقل حقوق العالم ألا يُعْضَ ; فقد قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

« إن استطعت فكن عالماً، فإن لم تستطع فكن متعلماً ، فإن لم تستطع فأحبهم ، وإن لم تستطع فلا تُبغضهم .»

\* \* \*

- إن آفة العلم العظمى أن يُطلبَ لغير الله تعالى؛ فقد قال الرسول ﷺ :  
« لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ، ولا لتماروا به السفهاء ،  
ولا لتحزازوا به المجالس - أي: تتصدروا به المجالس - فمن فعل ذلك فالنار  
النار»، وقال أيضاً : « من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله ، لا يتعلمه إلا  
ليصيب به عَرَضاً من الدنيا : لم يجد عرف الجنة يوم القيامة ».

- إن من أعظم المصائب التي ابتلي بها كثير من الناس: طلب العلم لغير  
العمل، وإنما هو للتكسب والتجمل، فقد قال أبي بن كعب رضي الله عنه:  
« تعلموا العلم واعملوا به، ولا تتعلموه لتتجملوا به، فإنه يُوشك إن طال  
بكم زمان أن يُتجملَ بالعلم كما يُتجملُ الرجل بالثوب ».

- وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول: « زِينُوا العلم ولا تزيّنوا به ».

- وكان نقش خاتم الحسن بن علي رضي الله عنهما : «علمتَ فاعمل».

- قال الحسن البصري رحمه الله : « إن أشدَّ الناس حسرة يوم القيامة رجلان:  
رجل نظر إلى ماله في ميزان غيره، سَعِدَ به وشقي هو به، ورجل نظر إلى  
علمه في ميزان غيره سَعِدَ به وشقي هو به».

- وقال الشعبي رحمه الله : « يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم من أهل النار  
فيقولون: ما أدخلكم النار إنما أدخلنا الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم ؟  
قالوا: إنا كنا نأمركم بالخير ولا نفعله ».

- اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع، ومن دعوة  
لا يستجاب لها.



## ٢ - شروط التفوق العلمي

- أيها الإخوة : لا توجد أمة معاصرة أو بائدة لها من نصوص دينها ما يحث على العلم ويرفع مقام العلماء، وطلاب العلم كأمة الإسلام.
- لقد ربط الإسلام بين الدين والعلم برباط وثيق لا ينفصم، حتى جعل العلم فريضة على جميع المسلمين ، كلٌ بحسبه.
- وفي الحديث يقول الرسول ﷺ : «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، بمعنى أن الجهل ممنوع في ديننا، مذموم ومرفوض في شريعتنا.
- ليس شيء من ديننا أفضل من طلب العلم، والاستزادة منه، بعد قيام المسلم بأداء الفرائض والواجبات.
- يقول الله تعالى مؤدباً نبيه ﷺ: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾، لم يأمره بالزيادة من شيء إلا في العلم.
- ويقول الرسول ﷺ: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالماً ومتعلماً».
- ويقول أيضاً: « لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة».
- يقول الشعبي رحمه الله : « لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن لسمع كلمة حكمة: ما رأيت أن سفره ضاع ».
- ويقول سفيان الثوري رحمه الله : « ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحّت النية».
- ويقول الزهري رحمه الله : «ما عبّد الله بشيء أفضل من طلب العلم».
- ويقول الإمام الشافعي رحمه الله : «طلب العلم أفضل من صلاة النافلة».
- أيها المسلمون : إن ديناً يرفع مكانة العلم والعلماء إلى هذه المرتبة كيف

- يسوغ أن يكون أهله أكثر الناس تخلفاً وأمية في هذا العصر؟! -
- إنه لا يصح مجال أن يقبع جمع كبير من أبناء المسلمين في الجهل حتى بالقراءة والكتابة ، في الوقت الذي وصل فيه ممالك المسلمين وعبيدهم إلى أعلى درجات العلم والمعرفة في الزمن الأول.
- لقد استوعب العلم في القرون الثلاثة الأولى الأمة بأكملها ، حتى لم يعد في الأمة جاهل أو أمي، لقد كان العلم للجميع دون استثناء.
- لقد انطلق الناس في طلب العلم ومحو الأمية من مبدأ وجوب التعلّم الذي فرضه الإسلام عليهم.
- وانطلق العلماء في تعليم الناس وتربيتهم من مبدأ وجوب التعليم، والنهي عن كتمان العلم عن طلابه.
- قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ .
- ويقول الرسول ﷺ : «من سئل عن علم فكتمه: أجم يوم القيامة بلجام من نار».
- لقد انطلق علماء الإسلام، لاسيما في القرون الأولى المفضّلة: ليستوعبوا الحياة كلّها بالعلم، من المهد إلى اللحد، ومن المحبرة إلى المقبرة، حتى خرج إلى الدنيا نواذر الدهر من أمثال الأئمة الأربعة: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد رحمهم الله ورضي عنهم.
- لقد خرج هؤلاء العلماء وأمثالهم كثير كأغرب وأعجب ما صنعه الإسلام من العقول البشرية.
- لقد خرّج الإسلام عجائب الدنيا من أمثال: البخاري ، والطبري ، والخطيب البغدادي ، وابن حزم ، والغزالي ، وابن الجوزي ، والنووي ،

- وابن قدامة، وابن تيمية ، والذهبي ، والسيوطي وغيرهم كثير.
- إن السر الذي خرَّج هؤلاء بين أيدينا، لا يزال غضاً طرياً صالحاً، إنه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.
- ولكن السؤال الذي يطرح نفسه علينا: هذا كتاب الله وهذه سنة رسول الله ﷺ بين أيدينا، فلماذا لم يخرج في هذا العصر أمثال هؤلاء الماضين ؟
- أيها الإخوة : إن بلوغ القمة في العلم يتطلب شروطاً أربعة لا بد منها :
- الشرط الأول : الإخلاص ، بأن يكون طلب العلم لوجه الله تعالى، لا رياء ولا سمعة، ولا مباهاة، ولا جدال.
- وفي الحديث: «من تعلم علماً مما يُبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا: لم يجد عرف الجنة يوم القيامة».
- وأما الشرط الثاني : فهو إفراغ الوسع في طلب العلم، فليس عند طالب العلم شيء أغلى من العلم، لا الوقت، ولا المال، ولا الصحة.
- ولقد كان السلف لا ييخلون بشيء في طلب العلم؛ فقد فارقوا الأوطان، وهجروا الأهل والأصحاب، واختاروا الفقر على الغنى، والتعب على الراحة من أجل الحصول على العلم، فبلغهم الله مرادهم، فكانوا أئمة الدنيا بلا منازع.
- وأما الشرط الثالث: فهو تجنب المعاصي؛ فإنه لا مستقر للعلم في قلب قد مليء بحب الشهوات، وغرق في المنكرات ، وحُشي بالفتن.
- يقول بشر بن الحارث رحمه الله: « إن أردت أن تلقن العلم فلا تعص ».
- وقال القاسم بن عبد الرحمن رحمه الله: « إنني لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها ».

- وأما الشرط الرابع: فهو العمل بالعلم، فهو أهم الشروط وأعلاها، وعليه مدار القضية كلها : لماذا نتعلم؟
- إن ثمرة العلم العمل، ولا خير في علم لا يتبعه عمل، إنها الربط بين النظرية والتطبيق، وما فائدة النظرية بلا تطبيق؟
- يقول الرسول ﷺ : « العلم علمان: علم في القلب، فذاك العلم النافع، وعلم على اللسان، فذاك حجة الله على ابن آدم».
- وكان يقول: « سلوا الله علماً نافعاً، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع».
- يقول أبو الدرداء رضي الله عنه : « لا تكون عالماً حتى تكون بالعلم عاملاً».
- اللهم ارزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

\* \* \*

- أيها المسلمون : حديث صحيح متفق عليه يرويه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، ليعرض كلُّ منا نفسه على هذا الحديث ، يقول الرسول ﷺ : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقيّةٌ - يعني أرضاً طيبة - قبلت الماء، فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب - يعني لا تنبت الزرع - أمسكت الماء - يعني حفظت الماء للناس - فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفةٌ أخرى إنما هي قيعانٌ، لا تمسك ماءً ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به».
- فهنا قسم الرسول ﷺ الناس في موقفهم من العلم الذي أتى به إلى ثلاثة

أصناف : صنف قبل هذا العلم، فعمل به بعد أن تعلّمه، وصنف حفظوا  
هذا العلم، ونقلوه إلى الناس وعلموهم، وصنف لا علم ولا عمل ، نعوذ  
بالله من الخذلان.

- فانظر أخي في نفسك من أي الأصناف الثلاثة أنت؟

### ٣ - مؤسساتنا التعليمية وأزمة الإبداع

- أيها الإخوة : ومع نهاية العام الدراسي يتجدد في نفوسنا الأمل والفرح بنجاح أولادنا، وتفوقهم، وتخرجهم.
- فليس للأبوين هم أكبر ولا أعظم من نجاح الأولاد وتخرجهم، ومن ثم تعيينهم، وتأهيلهم للعمل والزواج والاستقلال.
- ومع ذلك تمتزج هذه الفرحة بألم عميق، وحزن شديد عند عقلاء المجتمع، وخبراء التربية والتعليم.
- يدفعهم إلى هذا الألم والحزن واقع حضاري متردٍ، ومستقبلٌ قادم مخوفٌ، وواقع مضطرب، ومستقبل لا يبشر بخير كثير.
- إنه ليهول المراقبين حجم الإنفاق الكبير من : المال والوقت والجهد على التعليم، ويهولهم أكثر ضالة النتائج المحبطة.
- فمع كل هذه الجهود المبذولة لإخراج الأمة من التيه الحضاري الذي ترزح فيه منذ عشرات السنين، فإن الأمة لا تزال تراوح مكانها.
- فما أن تتقدم خطوة إلى الأمام، فنبتهج لذلك، حتى تفاجئنا بخطوات إلى الوراء؛ فإذا بنا في ذيل ركب الحضارة المعاصرة.
- لقد ملكنا اليأس من خروجنا من أزماننا الحضارية الخائفة، حتى أيقنا بعد تراكم الإحباطات أننا لا نحسن شيئاً.
- لقد أخفقنا في صناعة ملابسنا وطعامنا ومراكبنا وأدواتنا، لقد أخفقنا حتى في صناعة ألعابنا وتحفنا المنزلية.
- لو حاصرنا أعداؤنا اقتصادياً، فمنعوا عنا حاجاتنا، فماذا ترانا نصنع؟ كيف نأكل؟ وبماذا نستر عوراتنا في صلاتنا؟

- أين الخريجون من المؤسسات التعليمية والصناعية والعسكرية، ألم يتزوّدوا بالمعرفة والمهارات اللازمة للنهضة الحضارية؟!
- أمن المعقول أن أبناءنا لا يحسنون شيئاً؟ يتخرجون من هذه المؤسسات التعليمية كما دخلوا، ليس معهم من العلم والمهارات إلا يسير.
- أين المبدعون؟ أين الموهوبون؟ إن أحدنا يعيش دهرأ طويلاً لا تكتحل عيناه بمبدع واحد، ينعقد الأمل عليه بعد الله تعالى.
- وإن وجد فينا مبدع أو موهوب: أحاطت به ظروف الإحباط من كل جانب، ورمقه الحاسدون من كل صوب، حتى ينسجم مع الركب ضمن باقي القطيع.
- وإن قدّر الله للمبدع أن يتجاوز إحباطات مجتمعه، ويحافظ على إبداعه: استقطبته قوى الشر لتستثمر إبداعه في خارج وطنه، وربما ضدّ أمته.
- فها هي آلاف العقول العربية والإسلامية المهاجرة من أوطانها إلى أوروبا وأمريكا وكندا وأستراليا، يبحثون عن ملاذ لهم من ظلم ذوي القربى.
- لقد ظلمهم الأقربون في أوطانهم، وضيقوا عليهم في عيشتهم، حتى اضطروا إلى الرحيل إلى بلاد الكفار لينتجوا فيها، ويحققوا شيئاً من آمالهم.
- حتى أصبحت بلاد المسلمين - للأسف - بلاد طرد للإبداع والتفوق، لا تنسجم إلا مع التخلف والتبعية والانحطاط.
- إن جمعاً من المتنفذين في بلاد المسلمين تلتقي أهدافهم مع أهداف أعداء الإسلام في إبقاء الأمة في تخلفها وتبعيتها.
- إنهم يقتاتون على أنقاض المسلمين، وعلى جراحهم وآلامهم، لا يسعدهم أبداً أن يخرج المسلمون من أزماتهم.
- إنهم في كل مناسبة يقذفون بالعقبات في طريق نهضة الأمة، واستقلالها،

- لا تتحقق مصالحهم إلا في تخلفها وتبعيتها.
- لقد سعى المبطلون لإقناع الأمة بواقعها المتردي، وضرورة السير في طريق الغرب، والتبعية له.
- مغفلين تاريخ الأمة الحضاري في زمن عافيتها، حين تعاملت مع الكون ومدخراته، وسخرته لمصالحها وحاجاتها.
- فكان الإبداع والتفوق هو عنوان الأمة في كل مناشط حياتها، حتى ذخرت كتب التراجم بألوف المبدعين والموهوبين.
- لقد تفوقت الأمة حين كانت مصطلحة مع ربها، فطوع لها الله كل شيء في الكون، وفتح لها خزائنه، فانتفعت ونفعت.
- وحين خاصمت الأمة ربها، وأعرضت عن دينها: تنكر لها كل شيء في الكون، وأغلقت دونها خزائنه: فضلت ودلت.
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾.

\* \* \*

- أيها المسلمون: إن الطالب في حاجة إلى المؤسسة التعليمية المتفوقة، التي يجد فيها ما ينمي عقله، ويزكي نفسه، ويستثمر طاقته.
- إنه في حاجة إلى المعلم المتخصص، الصالح في نفسه المصلح لغيره، الذي يجد فيه دفء الأب، وفقه العالم.
- إنه في حاجة إلى المنهج المدرسي المشوق، الزاخر بالعلم والمعارف، الذي يفتق العقل، وينمي الفكر.
- إن الطالب في حاجة إلى الأسرة العضوية المستقرة، التي يجد فيها القدوة



- الأبوية الصالحة، ويشعر فيها بالأنس والأمان.
- إنه في حاجة إلى المجتمع الصالح النظيف، الذي يوجه طاقاته، ويحترم إبداعه، ويشجعه على التفوق.
- إن الطالب في حاجة إلى الإعلام الهادف المؤدّب، الذي لا يُضيّع وقته بالساقط الحقير، ولا يחדش حياءه بالصورة الفاضحة، ولا بالنغمة الفتانة.
- إنه في حاجة إلى إعلام يراعي حاجاته العلمية، فلا يشغله بالتافه من البرامج فضلاً عن المحرم منها.
- إن الطالب قبل هذا وبعده في حاجة إلى الإيمان الصادق الذي يعمر قلبه، ويزكي نفسه، وينور وجهه.
- إنه في حاجة إلى الطاعات والحذر من المعاصي والمنكرات؛ فإن الطاعة تنير العقل، والمعصية تذهب بنوره، وتغلق منافذه.
- اللهم وفق أولادنا وبناتنا للعلم النافع والعمل الصالح، اللهم وفقهم للنجاح والتفوق، وحب إليهم العلم حبه للطعام والشراب والراحة يا رب العالمين.

## ٤ - مسؤولية المؤسسات التعليمية والواقع المؤلم

- أيها الإخوة : لا يخفى على أحد من المسلمين فضل العلم والتعلم، ومكانة العلم والعلماء في الإسلام.
- قال الله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾.
- وقال رسول الله ﷺ: « الدنيا ملعونة، ملعونٌ ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالمًا ومتعلمًا ».
- إن المؤسسة التعليمية لا تكون مؤسسة تربية بحق إلا أن تقوم بواجبات ضرورية منها:
- تحقيق التربية الإسلامية في المجتمع، بمعنى نقل معايير المجتمع إلى النشء، وتربيتهم عليها.
- المحافظة على التراث الإسلامي؛ وذلك من خلال نقله بأمانة من جيل إلى جيل.
- توحيد الرأي العام على المذهب الحق في : العقيدة والسلوك والأخلاق.
- إحياء حب العلم في نفوس الطلاب؛ حتى يصبح جزءاً من كياناتهم.
- تحقيق القناعة لدى الطلاب بالمعارف التي يتلقونها؛ فلا يكون العلم مجرد الشهادة، بل للعمل به.
- تكوين الأخلاق لدى الطلاب وتنميتها، ومساعدتهم على ضبط سلوكهم بحيث تصبح المؤسسة التعليمية ساحة لتطبيق المعارف والآداب السلوكية.
- الصمود أمام متغيرات الحياة الاجتماعية الحديثة، التي تسعى لإفساد النشء، والذهاب بهم بعيداً عن مصالح أمتهم.

- إحياء معاني الرجولة والفتوة في الطلاب، وفي الجانب الآخر إحياء معاني الأنوثة والحياء في الإناث.
- مساعدة الطلاب على إتقان المهارات العلمية الأساسية؛ بحيث يخرج الطالب من المؤسسة التعليمية متقناً لما تعلمه.
- تزويد المجتمع بالطاقات العلمية المدربة للنهوض بالبلاد، والإسهام في نهضة الأمة الإسلامية.
- أيها الإخوة : إن الأمة تعقد آمالاً كبيرة على مؤسسات التربية والتعليم للنهوض بالبلاد الإسلامية نحو الحضارة والتقدم.
- ولا يخفى على المتأمل إخفاق هذه المؤسسات التعليمية في تحقيق آمال الأمة وتطلعاتها ، فأصبحت الأمة بجيئة أمل.
- وهذا الإخفاق يرجع إلى الخلل الكبير الذي أصاب عناصر التعليم الثلاثة: المعلم، الطالب، المنهج.
- فأما المعلم فقد اختلَّت مكانته في المجتمع.
- لم يعد المعلم قدوة للطلاب لا في سلوكه ولا في أخلاقه.
- ضعف مستوى المعلم العلمي، ولم يعد قادراً على تطوير ذاته.
- ضعفت قناعة المعلم بمهنة التدريس.
- وأما من ناحية الطالب:
- فقد استفحلت الأزمة الروحية بين الطلاب.
- وتفشَّت بين الطلاب الانحرافات الأخلاقية والسلوكية.
- ضعفت رغبة الطالب في العلم، وانحصرت في الحصول على الشهادة، والنبى ﷺ يقول : « من تعلم علماً مما يُبتغى به وجه الله ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا : لم يجد عرف الجنة يوم القيامة ».

- احتقار الطالب للمدرسة وإدارتها ومدرسيها؛ فلم تعد المدرسة مؤسسة محبوبة.
- ظهور سلوك التمرد لدى بعض الطلاب، حين أخفقت المدرسة في تعديل سلوك الطالب المنحرف.
- وأما من ناحية المنهج:
- قصور المنهج عن متطلبات النهضة الحضارية الحديثة.
- إخفاق المنهج في إعداد الطلاب للإنتاج وسوق العمل.
- قصور المنهج عن إتقان الطلاب للمهارات الأساسية: القراءة والكتابة والحساب.
- إخفاق المنهج في إعداد الإنسان الصالح في : إيمانه، وأخلاقه، وعقله، وجسمه، ونفسه.
- أيها الإخوة : كيف يمكن للأمة أن تنهض، وأن تؤتي هذه المؤسسات التربوية ثمارها في ظل هذه الإخفاقات الكبيرة؟
- لا بد من إعادة بناء أنفسنا من جديد: بناء المعلم، والطالب، والمنهج؛ بناء يقوم على أساس ديني واقعي تقدُّمي ، يحترم الأصول ، ويراعي الواقع.
- وما لم تقم المؤسسات التعليمية بواجباتها التربوية؛ فإنه من الصعوبة بمكان وصفها بالتربوية.

\* \* \*

- أيها المسلمون : لم يبدأ التعليم في الأمة حديثاً؛ فأمتنا أمة العلم، فقد بدأ التعليم مع الرسول ﷺ.
- قام التعليم في الأمة الإسلامية على أنه جزء من الثقافة الإسلامية، والثقافة

- في مفهومها الاصطلاحي خاصة أعمية.
- لقد كانت غاية المؤسسات التربوية الإسلامية: تحقيق العبودية الخالصة لله، وكان منطلقها ربط الدنيا بالدين، وكانت وسيلتها إنشاء الإنسان الصالح في : عقيدته، وأخلاقه، وعقله، ونفسه، وجسمه.
  - ولئن كانت السلبيات كبيرة، والواقع مؤلماً، فإن هناك إيجابيات لا تُنكر من طلاب جادين، ومدرسين صالحين، ومناهج طيبة.
  - ولكن الواقع مؤلم، فكم نسبة المعلمين القدوات في علمهم وسلوكهم؟
  - وكم نسبة الطلاب الجادين الراغبين في العلم وخدمة بلادهم؟
  - وأين هو المنهج الشامل الذي يُعد الطالب المتفوق؟
  - لا شك أن الإيجابيات قليلة تحتاج إلى إعادة نظر ومراجعة للنفس.

## ٥ - الموقف من التعليم الديني

- أيها الإخوة : ليس من شك أن الإسلام بمنهجه العظيم يولي العملية التعليمية عناية بالغة فائقة، فالعلماء أفضل من العباد في المفهوم الإسلامي.
- والعلماء ورثة الأنبياء، والملائكة تضع أجنحتها لطلاب العلم، وتحفُ مجالسهم، وتستغفر لهم.
- والعلم نور في الصدور، وبصيرة في العقول، وبهجة في المجالس، كم من بيتٍ فقيرٍ رفعه العلم، وكم من بيتٍ غني حطَّ الجهل.
- بالعلم يعرف العبد ربه فيعبده على بصيرة، ويعرف أحكام دينه فيقوم بها، ويعرف حدود ربه فيقف عندها.
- العلم رياض العقول، ولذة الأرواح، وأنس المستوحش، ودليل المتحير، وهادي الضال.
- إن العلم من أعظم النعم التي أكرم الله بها عباده، حين عرفهم نفسه جلّ وعلا، ووضّح لهم نهج عبادته، وسبيل شريعته، وطرق مرضاته.
- وإن من النعم الجليلة أن زوّد الله عباده بالعقول، ومدّهم بالفهم، ليعقلوا أحكام دينه، ويفهموا مراد ربهم.
- وإن من نعم الله على عباده أن بصّرهم بسنن الحياة، وسبل الكسب والمعاش، وطرق الاستفادة من كنوز الأرض وعلومها.
- إن الناظر المتأمل ليدرك عظيم نعمة الله بالعقل، حين ميّز الإنسان به، وخصّه به دون سائر المملكة الحيوانية.
- وللمتأمل أن ينظر حال الإنسان بغير العقل، فإنه لا يعدو أن يكون دابة من أنواع دواب الأرض.

- فليُنظَرُ أحدنا فيمن ابتلاههم الله في عقولهم بالضعف أو الخلل، لا يكاد أحدهم يهتدي لشيء في صلاح حاله ومعاشه ، حتى يقوم الناس عليه.
- أيها المسلمون : إن أجلَّ النعم التي أنعم الله تعالى بها على عباده: نعمة العقل ونعمة الوحي ، وبينهما ارتباط وثيق لا ينفصم.
- فبالوحي يعرف الإنسان ربَّه، ونهج عبادته، وشرائع دينه، وبالعقل يفهم الإنسان الخطاب، ويعقل الأمر، ويعمِّر الحياة ويطورها.
- والإنسان بصورة دائمة في حاجة إلى هاتين النعمتين، لا حياة له إلا بهما، ولا سعادة له إلا بهما معاً.
- فإذا فقد الإنسان العقل نزل إلى مرتبة الحيوان الأعجمي، ورفع عنه التكليف ، وإذا فقد الوحي ضلَّ وارتكس، فلا غنى للإنسان عنهما.
- ومن هنا كان لا بد من العناية بالعقل والوحي، فكان حفظ العقل من الآفات والتلف مقصداً من مقاصد الشريعة الإسلامية المباركة.
- وكان حفظ الوحي الذي هو الدين مقصداً آخر من مقاصد الشريعة، جاءت لحفظه وتحكيمه رحمة بالعباد.
- ومن هنا كان لزاماً على المؤسسات التربوية في المجتمع المسلم أن تراعي هذين المقصدين في : أهدافها وبرامجها وخططها ومناهجها.
- فلا بد من رعاية عقول الناشئة بالعلم النافع، والتدريب الصالح، والثقافة الواسعة؛ فإن المعرفة هي غذاء العقول.
- وإن من الظلم ألا يحظى الناشئة بالقدر الكافي من التربية العقلية، التي تفتق أذهانهم، وتوسّع مداركهم.
- إذ لا بد لكل مسلم - منذ الطفولة - أن يحظى بالرعاية الكافية في مجتمعه، ولاسيما الرعاية التعليمية المدرسية.

- والرسول ﷺ يقول: «طلب العلم فريضةً على كل مسلم»، ومع ذلك فإن جمعاً كبيراً من أبناء المسلمين في العالم لا يجدون فرصاً للتعليم.
- وإن وجدوها تكون - في كثير من الأحيان - فرصاً قاصرة مبتورة، لا تبني الشخصية، ولا تُنشئ العالم ولا المفكر.
- وأعجب من هذا وأغرب أن لا يجد التعليم الديني - الذي هو أعظم مقاصد الشريعة - حظّه الكافي ضمن المناهج التعليمية في كثير من بلاد المسلمين.
- فينشأ الجيل مفتقداً أعظم مقوماته، وأخصّ خصائصه وهي المعرفة الدينية التي تتميز بها الشعوب بعضها عن بعض.
- وإن من أعجب وأغرب ما كشفته بعض الدراسات التربوية الحديثة: أن جميع دول العالم ولاسيما الدول المتقدمة في أوروبا وأمريكا واليابان: تقدم جرعات دينية كبيرة في مناهجها، ولا تجد في مناهجهم ما يعارض - صراحة - أديانهم، أو يشينها بشيء.
- في الوقت الذي تتدمر الحكومات الغربية من التعليم الديني في بعض بلاد المسلمين، وتتهم مناهجها بالغلو والتطرف والإرهاب.
- أيها الإخوة: إن إقصاء التعليم الديني أو إهماله أو إضعافه هو أعظم جريمة تقع فيها مؤسسات التعليم في بلاد المسلمين.
- أي كبيرة أكبر من تجهيل الناشئة بدينهم، فلا يعرفون عقيدة ولا عبادة ولا شريعة، نعوذ بالله من ذلك.
- اللهم فقهنّا في الدين، وعلمنا التأويل، وارزقنا العلم والعمل يا سميع الدعاء.

\* \* \*



- أيها المسلمون : إن التأكيد على التعليم الديني لا يعني أن تكون جميع المناهج أو أكثرها مواداً دينية وتربية إسلامية، وإنما المقصود ألا يوجد في المناهج التعليمية ما يخالف الدين، وأن تدرس جميع العلوم والمعارف من الوجهة الربانية الإسلامية.
- فجميع العلوم خلقها الله، وأرشد العباد لتعلمها والاستفادة منها؛ فلا بد أن تُربط بالله تعالى ، بما فيها علم: الفيزياء والكيمياء والرياضيات وباقي العلوم ، فضلاً عن المواد الدينية.
- فينشأ الطفل محباً لله تعالى، يرى آثاره في كل شيء من حوله، حتى في المواد التطبيقية التي يتعلمها في المدرسة، ومن هنا بداية الطريق.
- فلا فصل بين الدين والدنيا ، فكلُّ العلوم تصبُّ في رحاب الله تعالى ، ولا مكان للكفر والإلحاد في مناهج المسلمين.
- اللهم أحیی قلوبنا بالعلم النافع، واستخدم جوارحنا في العمل الصالح، واهدنا سبل السلام، وجنبنا الفواحش والآثام.

## ٦ - اللغة العربية وقضية تعليم اللغة الأجنبية

- أيها المسلمون : يخلط كثير من الناس بين مفهوم الثقافة ومفهوم العلم؛ فالعلم معرفة شائعة بين جميع الناس ، لا تختص بجنس دون جنس.
- مثل علم الفيزياء والكيمياء والرياضيات ونحوها، فهذه علوم مشاعة بين الناس ليس لها وطن ، وليس لها جنس.
- وأما الثقافة فإنها خاصة أممية، تتضمن عقيدة أهلها وعاداتهم وتقاليدهم، ونهج عباداتهم، وما يتميزون به عن غيرهم.
- ثقافة أي أمة من الأمم تتكون من عنصرين: الأول: الشكل وتمثله اللغة، والثاني: المضمون ويمثله نهج حياة الأمة في عاداتها وتقاليدها وعقيدتها ونظامها، وكل ما يخصها ويميزها عن غيرها من الأمم.
- ومن هذا الفهم للثقافة تظهر أهمية اللغة للأمم في حفظ ثقافتها وتراثها وحضارتها، ولهذا تحافظ الأمم على لغاتها ، وتدود عنها.
- والناظر في سياسات جميع الدول والشعوب يجد الجميع حريصاً على المحافظة على لغاتهم القومية ، ونشرها وتعليمها والتمكين لها.
- ينطلقون في ذلك من أن اللغة هي رمز وجود الأمة، ومن فقد لغته : فَقَدَ نفسه، وخسر ذاته.
- ولهذا تحرص غالب دول العالم -لاسيما المتقدمة منها- على ألا تشارك لغتها القومية لغة أخرى، فإذا احتاجوا إلى علم مدوّن بلغة الأخرى : ترجموه إلى لغتهم ، وقدموه لأبنائهم، كما فعلت اليابان، وغيرها من دول العالم.
- فهذه اللغة العبرية التي كان من المفروض أنها اندثرت منذ ألفي سنة

- مضت: أخذت تتقوى في هذا العصر بعد قيام دولة اليهود، وأخذت تتطور لتصبح لغة للعلم والتدريس، حتى أصبحت لغة الشارع في فلسطين، وما ذلك إلا باستماتة أهلها في نشرها وتقريبها من الحضارة الحديثة.
- أيها المسلمون : إن اللغة ليست مجرد أصوات ينطق بها الإنسان؛ وإنما هي وعاءٌ تراثِ الأمة وعلومها وعقائدها، وكلُّ خصوصياتها الثقافية.
- واللغة فوق ذلك تؤثر في العقل وعمليات التفكير والذكاء، فالإنسان يفكر باللغة ويعبر بها، فتدخل في صلب كيانه العقلي والنفسي.
- ولما كان للغة تأثيرها في فكر الإنسان وكيانه: حرصت الأمم على وضع الحواجز بين شعوبها واللغات الأجنبية، فإن احتاجت إلى شيء من العلوم الأجنبية ترجمته إلى لغتها، كما فعلت الأمة المسلمة في زمنها الأول حين ترجمت العلوم والمعارف إلى اللغة العربية.
- لقد استقرَّ في حسِّ الشعوب قاطبة : أن اللغة عنوان أهلها ، تحيا بحياتهم وتموت بموتهم، وتتطور وتتقدم بتطورهم وتقدمهم ، وحرصهم عليها.
- أيها المسلمون : إن تبني لغة أجنبية وتمكينها لتهيمن على جميع مجالات الحياة هو الانتحار الحضاري في أبشع صورته.
- ولا يسعى لمثل هذا في أي أمة من الأمم إلا خائن لأُمته ووطنه.
- أيها المسلمون : إذا كان هذا هو موقف شعوب الدنيا من لغاتهم القومية، فما هو موقف الأمة المسلمة من لغتها؟
- لقد ارتبطت اللغة العربية بكيان الأمة، وامتزجت بروحها، فهي لغة العبادة، ولغة التراث، ولغة الوحدة والاتصال بين الشعوب الإسلامية.
- لقد منَّ الله على أمة العرب أن خلد لغتها، فلا تعرف الإنسانية لغة خُلدها كتاب إلا اللغة العربية، فإن معجزة محمد ﷺ هي القرآن، المعجزة البيانية.

- ولقد أثبت التاريخ أن اللغة العربية تصلح لأن تكون لغة كونية؛ لأنها تحمل الرسالة الربانية للبشرية جمعاء، وكونها أيضاً ناقلة بارعة للعلوم والمعارف بكل أنواعها.
- ويكفي هذه اللغة تعظيماً وتشريفاً أن تكلم الله بها، وتعبدنا بها في صلاتنا وقراءتنا.
- أيها المسلمون : إن اللغة العربية في هذا العصر تواجه هجمة عالمية شرسة، تستهدف انتزاعها من أهلها، وبالتالي انتزاع الدين الخاتم.
- إنها تتعرض لأزمات : مشكلة العامية ، أزمة المصطلحات العلمية، تدريس اللغات الأجنبية، التدريس بغير اللغة العربية في الجامعات، كلُّها تصبُّ في إرهاب اللغة العربية وإقصائها.
- لقد أصدرت المؤتمرات العربية العالمية، والمجامع اللغوية توصياتها - الكثيرة والمتكررة- باعتماد اللغة العربية لغةً لجميع الشعوب الإسلامية ، وتمكينها من التدريس.
- وقد نجحت بعض المؤسسات التعليمية بالفعل في تدريس جميع العلوم باللغة العربية، إلا أن هذه التجارب في حاجة إلى دعم وتعاون.
- فما زال كثير من الدول العربية والإسلامية لا تعتمد اللغة العربية في تعليم العلوم، لاسيما في الجامعات.
- وهناك فئات من أبناء المجتمع - بحسن نية أو بسوء نية- يسعون جاهدين لأن تدخل اللغة الإنجليزية إلى الصفوف الدنيا في التعليم.
- يظن هؤلاء أن هذه أفضل وسيلة لكسب التقنية الحديثة ، ومجارات العالم في تقدمه، ومن العجيب أن في أفريقيا دولاً كاملة تتحدث الفرنسية، وأخرى تتحدث الإنجليزية ، ومع ذلك بقيت من أكثر الدول تخلفاً.
- وقد ثبت أن تعليم لغة أجنبية لطفل المرحلة الابتدائية يضر باللغة الأم .

- ثم إن تعليم اللغات الأجنبية لا يأتي مجرداً عن ثقافة أهلها، فلا بد أن تأتي اللغة الأجنبية محمّلة بعادات أهلها وتقاليدهم ، بل ربما بشيء من دينهم الباطل.

- ومن المعلوم أن الشخص لا يمكن أن يتعلم لغة قوم ، ويصل في تعلمها إلى المنتهى إلا أن يحترم أهلها ، ويمتزج بهم عاطفياً.

\* \* \*

- أيها الإخوة : إن ربط التقدم الحضاري اليوم باللغة الإنجليزية أمر مرفوض؛ فقد تجد في اليابان العالم الذي لا يعرف الإنجليزية، والطالب الياباني يأتي ترتيبه الثامن عشر في إجادة اللغة الإنجليزية.

- وتعليم اللغة الأجنبية في ديننا مكروه، وإنما الحاجة تقدر بقدرها بعد الدراسة والبحث.

- وقد أثبت الواقع أن مقررأ دراسياً لا يمكن أن ينهض باللغة الجديدة.

- أيها الإخوة : وليبيان أهمية اللُّغة في السيطرة على الشعوب : يقول الحاكم الفرنسي لجيشه حين غزا الجزائر: «عَلِّمُوا لُغَتَنَا وانشروها حتى نحكم الجزائر، فإذا حَكَمَتْ لُغَتُنَا الجزائرَ فقد حكمتنا حقيقةً».

- تقول ممثلة فرنسية ممن عاش قبل مائة عام من الآن : « لقد اجتزتُ البحارَ، وتجشَّمتُ الأسفارَ ، حاملةً فَنِّي على منكبِّي ، ولغةً بلادي في فمي، فغرستها في كبدِ اللغاتِ الأجنبيةة، وهذا فخري وشرفي ».

- فهذا فخر امرأة ساقطة بلغة بلادها ، فما هو فخر أهل الإسلام بلغتهم العربية؟.

- إن النهضة - أيها المسلمون - ليست بتعليم اللغات الأجنبيةة، بل إن للنهضة شروطاً كثيرة من أهمها الصلح مع الله، وبعد ذلك يكون الخير وتلهم الأمة الصواب.



## سابعاً : التربية الصحية:

- ١ - المرض والتداوي في الإسلام.
- ٢ - الإسلام بين الروحية والجسدية.
- ٣ - أزمة حوادث المرور.
- ٤ - أزمة المخدرات.





## ١ - المرض والتداوي في الإسلام

- أيها المسلمون : لقد جرت سنة الله في خلقه على الابتلاء، إما في النفس، أو المال، أو الولد، أو الوطن، فمن سلم من البلاء في شيء لحقه في آخر، وهكذا فالأصل في الدنيا البلاء والاختبار.
- والظاهر من أحوال الناس أن الابتلاء بالمرض في الأبدان لا يكاد ينجو منه أحد إلا نوادر الناس.
- وعلى الرغم من كراهية الإنسان للمرض فقد ورد في فضل المرض للمؤمن ما هو كثير، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ : « ما يُصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يُشاكها : إلا كفر الله بها من خطاياها».
- ويقول ﷺ أيضاً: «ما زال الله يبتلي العبد حتى يلقاه وما له من ذنب».
- ويقول ﷺ أيضاً: «إذا أراد الله لعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد لعبده الشر أمسك عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة».
- ويقول ﷺ أيضاً : «من يرد الله به خيراً يُصب منه».
- ويقول ﷺ أيضاً: «يودُّ أهل العافية يوم القيامة أن جلودهم كانت قُرُضت بالمقاريض مما يرون من ثواب أهل البلاء».
- وقد خصَّ الرسول ﷺ أنواعاً من الأمراض بمزيد أجر، فقد قال في الطاعون: «الطاعونُ شهادةٌ لكل مسلم».
- وقال ﷺ في الحمى: «تُذهبُ خطايا بني آدم ، كما يُذهب الكيرُ خبثَ الحديد»، ونهى عن سبها.
- وقال ﷺ فيها أيضاً : «مثل المؤمن حين يُصيبه الحمى أو الوعك : مثلُ

- حديدة تدخل النار ، فيذهبُ خبثُها ، ويبقى طيبها».
- ثم إن المرض لا ينقص من عمل العبد شيئاً ؛ فإن الله يقول للملائكة: «اخرموا له على مثل عمله حتى يبرأ أو يموت».
- ولهذا كان السلف لا يكرهون المرض لما فيه من الأجر والثواب، وقد كان بعضهم يفرح بالبلاء كما يفرح أحدنا بالرخاء.
- يقول أبو هريرة رضي الله عنه في شأن الحمى: «ما مرضُ أحبَّ إليَّ من هذه الحمى ؛ إنها تدخل في كلِّ مفصلٍ، وإن الله يعطي كلَّ مفصلٍ قسطه من الأجر».
- بل إن السلف كانوا يكرهون معاشرة من لا يُصيبه المرض، ويظنون به الظنون، ولهذا كان أشد البلاء يصيب الفضلاء، كالأنبياء والصالحين، وكلِّما كان في العبد قوة وإيمان زاد الله في بلائه ، حتى يمشي ليس عليه خطيئة.
- وقد كان الرسول ﷺ من أشد الناس بلاءً ؛ فقد كان يصيبه المرض مضاعفاً، حتى إنه ليمكث الليالي لا يستطيع النوم.
- وقد قالت عائشة رضي الله عنها : « ما رأيت أحداً الوجعُ عليه أشدُّ من رسول الله ﷺ ».
- جاءت مرةً امرأةٌ سوداء إلى رسول الله ﷺ تشكو مرضاً بها وتطلب منه الدعاء، فقال لها: « إن شئت دعوت الله أن يشفيك، وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك، قالت: بل أصبر ولا حساب عليَّ ».
- ولما أصيب عروة بنُ الزبير رضي الله عنهما في قدمه بالآكلة، وقرر الطبيب قطعها، أبى أن يتناول المخدر، وقُطعت من فخذِه بالمنشار فما جزع، وما

ترك ورده من القرآن في تلك الليلة، فما أمسى حتى بلغه وفاة ولده محمد فاحتسبه، وقال مخاطباً ربه: « لئن ابتليت فقد عافيت، ولئن أخذت فقد أبقيت »، وهكذا السلف : صبر ورضى.

- ولئن كانت الشريعة لم تكره المرض، فقد أمرت بالتداوي، ولاسيما لمن لا صبر له على المرض، فقد سئل الرسول ﷺ عن التداوي فقال : «تداووا؛ فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له دواء، غير داءٍ واحدٍ وهو الهرم».

- وذكر الرسول ﷺ في العلاج أنواعاً من الحبوب والمواد والأطعمة، فقد ذكر الحبة السوداء، والعجوة، والعسل، وذكر الحناء للجروح، والماء للحمى، والإثمد للعين، وأمر بالدعاء للمريض، وأجاز الرقية الشرعية بالقرآن والسنة، وحرّم العلاج بالخبائث والمحرمات.

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ .

\* \* \*

- أيها الإخوة : لقد سنّ لنا الرسول ﷺ زيارة المريض، وجعلها حقاً من حقوق المسلم على أخيه المسلم ، وكان يقول: «أطعموا الجائع ، وعودوا المريض ، وفكّوا العاني».

- وكان ﷺ يُرَغَّبُ في الزيارة ويقول: «ما من مسلمٍ يعودُ مسلماً غدوةً إلا صلى عليه سبعونَ ألفَ ملكٍ حتى يُمسي، ولا يعودُه مساءً إلا صلى عليه سبعونَ ألفَ ملكٍ حتى يصبح، وكان في خريف الجنة»، يعني: في ثمارها.

- وقد استحَب السلف أن لا يُزار المريض إلا بعد ثلاثة أيام من مرضه، وأن

لا يُطِيل الزائر عنده، فقد قال الإمام طاووس رحمه الله : « خير العيادة أخفها ».

- وقال أبو العالية رحمه الله : « ما أرفق العرب : لا تطيل الجلوس عند المريض ».

- والسُّنَّة في الزيارة أن يضع يده على المريض - إذا تيسَّر ذلك - ويدعو له، وفي الحديث : « ما من مسلم يعود مسلماً فيقول سبع مرات: أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم أن يشفيك، إلا شُفِيَ، إلا أن يكونَ قد حضر أجله ».

- اللهم اشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، وارزقنا العافية في الدنيا والدين.

## ٢ - الإسلام بين الروحية والجسدية

- أيها المسلمون : خلق الله الإنسان مكوناً من شعبتين عظيمتين: شعبة الروح، وشعبة البدن.
- فأما البدن فهو مخلوق من تراب هذه الأرض، إذا مات تحلل فيها، واندمج معها.
- وأما الروح فهي من الملائكة الأعلى، وهي سرُّ الله في الإنسان، لا يعلم حقيقتها إلا الله، ولولا الروح فإن الإنسان لا يعدو أن يكون حيواناً.
- وأما العلاقة بين الروح والبدن، فإن البدن بكل ما يحويه من النشاط والحيوية لا يعدو أن يكون مركوباً للروح، تمتطيه لتبلغ به الأجل الذي قدّره الله لها، فإذا ماتت الروح لحقها البدن بالموت والفناء.
- كما أن الروح لا يمكن أن تحيا بغير بدن صالح قوي، يحملها إلى أجلها المقدر، فإذا هلك البدن هلكت معه الروح.
- ولهذا جاءت الشريعة المباركة بأهمية إصلاح الأبدان ، والسعي في سلامتها وعلاجها من الأمراض، وحمايتها من الآفات.
- وما ذلك إلا لتمكين البدن من القيام بالعبادات الدينية ، والواجبات الشرعية، وعمارة الأرض على منهج الله تعالى.
- وفي الحديث : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير ».
- فالبدن القوي يمكن صاحبه من الصيام والقيام للصلاة، والحج والجهاد، والسعي في الأرض لطلب الرزق.
- فإذا تعطل البدن أو ضعف : تعطلت موارد النفس الروحية وذبلت، فيقلُّ

- بالتالي- القيام والصيام والذكر والتفكير.
- أيها المسلمون : إن هذا الفهم لأهمية الصحة البدنية، وأهميتها للإنسان لا بد أن يبقى في حدوده الشرعية ، لا يزيد عليها.
- فلا يصح أن تطغى حاجات البدن على حاجات الروح، فالإنسان إنسان بروحه لا إنسان ببدنه.
- فما الفرق بين الإنسان والحيوان إلا بالروح؟! التي أعطته - بإذن الله - الفكر والتكليف والتطور والإنتاج.
- ولولا الروح لقبع الإنسان في جسديته حيواناً من الثدييات العليا، لا يزيد عن ذلك.
- أيها الإخوة : إذا تأسس هذا الفهم : فإن ديننا لا يُجيز تقديس الجسد، ورفع حاجاته فوق حاجات الروح.
- فلو تعارضت حاجات الروح مع حاجات البدن: قُدِّمت حاجات الروح على حاجات البدن ، مهما كان الأمر.
- فالموت في سبيل الله لا يعدو أن يكون تقديساً للروح على حساب البدن، يهلك البدن في سبيل إحياء الروح.
- ﴿ وَلَا تُحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾، فرغم موت الأبدان فإن الأرواح حية ترزق.
- أيها الإخوة : إذا تقرر هذا : فإن التعمق الرياضي ، الذي تحياه البشرية المعاصرة، بكل مظاهره الفاحشة والمُسْرِفة، لا يعدو أن يكون صورة من صور تقديس الجسد، والإعلاء من شأنه على حساب الروح.
- لقد أفحش الغربيون في تقديس الأجساد على طريقة أسلافهم من اليونان والرومان، الذين عبدوا الأجسام القوية وقدَّسوها.

- وما هذه التماثيل الفاحشة عند اليونان والرومان إلا تعبيراً واضحاً لعمق الغلو المادي الذي غرق فيه القوم.
- وها هم الغربيون - في هذا العصر - يُحيون هذا التقديس الجسدي، ويفرضونه على العالم من خلال الأولمبيات الدولية والمشاركات الرياضية العالمية.
- يفرضون أنظمتهم الرياضية على العالم، حتى إنهم يُلحُّون علينا بتكوين فرق رياضية نسائية تشارك في الأولمبيات الدولية.
- ونبقى نحن على خجل أمام العالم، مترددين بين قيمنا التي تمنع من مثل هذا، وبين مسaire العولمة العالمية، ومشاركة العالم في أنشطته.
- أيها الإخوة : ما أكذبَ النتائج الرياضية في تعبيرها عن الحقيقة الواقعية، لقد فاز بكأس آسيا أذلُّ دولة في آسيا وهي العراق ، التي قد ضاعت منذ سنوات ، تعيش الاحتلال والفرقة، فما أكذب الكرة في تعبيرها عن الحقيقة.
- لقد انتعش العرب بفوز ساعة من الزمان على بعض دول شرق آسيا، ونسوا أنهم قد انهزموا اقتصادياً منذ أربعين عاماً بمنتجات اليابان وكوريا، وكأني بأحدهم يقول لصاحبه: «دع العرب يفرحوا ساعة، فلا نزال منتصرين عليهم بمنتجاتنا منذ زمن بعيد».

\* \* \*

- أيها الإخوة : لقد أكثرنا وأسرفنا في موضوع الكرة، وكان المفروض أن تبقى هذه الرياضة في حدودها: ممارسة لتقوية الأبدان لا أكثر.
- لقد اكتفى غالبنا بالثقافة الرياضية دون الممارسة الواقعية للرياضة، وهذا

- فهم خاطئ للمسألة الرياضية.
- لقد أخذت منا الرياضة السلبية كثيراً من أوقاتنا وأموالنا، إضافة إلى أعصابنا وتفكيرنا وتوترنا ومناقشاتنا.
  - نظرة عابرة إلى الجرائد المحلية تكشف حجم الصراع الثقافي السلبي في المسألة الرياضية.
  - إن الاعتدال - أيها الإخوة - هو منهج الإسلام ، لا إفراط ولا تفريط، وسط بين هذا وذاك.
  - فاتقوا الله أيها الناس، وقفوا عند حدود الله تعالى، ولا تسرفوا، ولا تغلوا.



### ٣ - أزمة حوادث المرور

- أيها المسلمون : لقد أنعم الله تعالى على الإنسان نعماً لا تحصى : ﴿ وَإِنْ تُعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ ؛ فليُنظر الناس في مآكلهم ومشربهم وملبسهم ومسكنهم ، كم يستطيعون أن يحصوا من نعم الله تعالى ؟ .
- إن من نعم الله على الإنسان أن سخر له من الدواب ما يركب : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَا هُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ .
- وامتن المولى على الإنسان بما سخر له من الدواب مثل الحيوانات والفلك : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ .
- ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ .
- ولقد كانت هذه الدواب هي مراكب الخلق إلى ما قبل سبعين عاماً ، حين بدأت المراكب الأخرى تظهر مثل السيارات والقاطرات .
- لم تكن حوادث السيارات تشكّل أزمة إلا بعد انتشارها في المجتمعات المتحضرة بصورة كبيرة .
- ورغم أن هذه المراكب من السيارات والقاطرات والطائرات نعمة من النعم إلا أنها قد تكون بسوء استخدامها نقمة على الناس .
- فهذه المركبات عنيفة الطبع رغم ما تحويه من الرفاهية والراحة لركابها .
- فالحوادث الناجمة عن هذه المركبات - خاصة السيارات - في غاية القسوة .
- فكم خلّفت هذه المراكب من الأموات، والمشوهين، والمقعدين .
- وكم أحدثت من الأحزان والآلام بفقدان الأبناء، والأزواج، والأحباب .
- وكم دمّرت هذه المراكب من الثروات والأموال في خسائرها وفي ديّاتها .
- إن نسبة الحوادث في بلادنا تفوق نسبتها في بريطانيا وأمريكا مجتمعة .

- يموت يومياً في حوادث السيارات سبعة أشخاص، عدا المعاقين ، والأموال المهدرة.
- ويمكن تلخيص الأسباب فيما يأتي :
- إن أكثر من ٨٠٪ من الحوادث يعود سببها إلى السائق ، فهو همزة الوصل بين المركبة والطريق .
- أن غالب الحوادث من الشباب المتهور ، ومن كبار السن، الذين ضعفت قواهم عن إتقان القيادة.
- كثرة أعداد السيارات، وضيق الشوارع عن استيعابها ؛ فإنه ما بين ١٣٩٥هـ - ١٤١١هـ تضاعف عدد السيارات في المملكة تسع مرات.
- حرارة الجو الشديدة، خاصة في بلادنا ، حيث تتلف الإطارات ، فتكون سبباً في كثير من الحوادث.
- السرعة وعدم احترام أنظمة المرور ، وهذه أهم الأسباب على الإطلاق.
- فاتقوا الله أيها الناس فمن كان بيده شيء يستطيع به أن يدفع عن المسلمين شر هذه المراكب فليفعل.

\* \* \*

- أيها المسلمون : لم يغفل فقهاؤنا في القديم عن الحديث عن حوادث المرور بين الدواب والسفن والناس ، ضمن بيئاتهم البدائية السابقة.
- إلا أن القضية اليوم أكبر بكثير مما هو مدوّن في كتب الفقه القديمة، فنحتاج إلى فقه جديد لمواجهة مُستجدات الحياة المعاصرة.
- والذي ننصح به هو :

- استشعار حرمة الإنسان ، فالشريعة جاءت لحفظ النفس من الهلاك، وزوال الدنيا أهون من هلاك المسلم.
- الوعي بحجم الآلام النفسية والأحزان لفقد الأحباب في حوادث المرور .
- استيعاب حجم الخسائر المادية في تدمير هذه المركبات وصيانتها.
- اتخاذ أسباب السلامة في المركبة والركاب .
- ضرورة سلامة السائق في سمعه وبصره ، وإتقانه مهارات القيادة.
- منع الصغار من القيادة مطلقاً .
- كفُّ كبار السن عن القيادة، وإعانتهم لإغنائهم عن ذلك.
- احترام أنظمة المرور ، خاصة الإشارات ، وضبط السرعة.
- صيانة الشوارع وأجهزة المرور لتكون صالحة للقيادة مطلقاً.
- تطبيق الجزاءات المرورية بالعدل على الجميع وعدم المحاباة في ذلك .
- فاتقوا الله أيها الناس في أنفسكم وفي من هم تحت أيديكم ، واعلموا أن أموالكم وأنفسكم أمانة عندكم ، وأنتم ملزمون شرعاً برعايتها.

## ٤ - أزمة المخدرات

- أيها المسلمون : ظاهرة قبيحة من الظواهر العالمية التي غزت الدنيا ، إنها ظاهرة المخدرات والمسكرات .
- لقد عرف الإنسان الخمر والمخدرات منذ القديم، حيث استعملها الأطباء في عملياتهم الجراحية.
- بدأ تعاطيها للاستمتاع في العالم الإسلامي بعد الغزو التركي لبلاد المسلمين، بين القرنين السابع والثامن.
- تصدى لها المسلمون حينئذٍ وأفتوا بحرمتها ، وتعاملوا معها مثل تعاملهم مع الخمر .
- زاد انتشارها في العالم، وتطورت صناعتها، وسهل نقلها ونشرها، ورصدت الأموال الكبيرة لتجارها.
- وبدأ معها في العصر الحديث تعاطي مواد ليست في أصلها من المخدرات، ولكنها تفعل فعلها مثل: البنزين، الغراء، الطلاء ونحوها.
- كان في السابق غالب المتعاطين لها من كبار السن ، أما اليوم فهم في الغالب من الشباب، نصفهم تحت سن العشرين.
- في عام ١٤٠٦هـ حسب إحصائيات وزارة الداخلية في المملكة العربية السعودية قبض على أكثر من ستة آلاف: ما بين مروج ومهرب ومتعاط.
- وفي عام ١٩٨٢م قبض على أكثر من ثلاثمائة طفل قد تورط في أزمة المخدرات في مختلف مناطق المملكة.
- أما النساء فقد فتح لهن مستشفى خاص لعلاجهن من الإدمان على المخدرات في المملكة ، وما تزال المستشفيات الجديدة تفتح لهن في المناطق المختلفة لكثرة أعدادهن.

- ماذا بقي للأمم إذا هلك شبابها وأطفالها ونساؤها ؟
- أيها الإخوة : أما أضرار المخدرات فقد شملت كل مقاصد الشريعة الإسلامية التي جاءت الشرائع السماوية بحفظها: فالمخدرات تهدم الدين ؛ لكونها كبيرة من الكبائر، وتُهلك النفس؛ لأنها سموم تقذف في الباطن، وتضر بالعرض والنسل؛ لأن صاحب المخدرات لا قيم ولا أخلاق عنده، وتضر العقل بالهلوسة والذهيان والذهول، وتضر المال بالتبذير والضياع والاستنزاف ، فليس مقصد من المقاصد الشرعية إلا وتعرض له هذه المادة الخبيثة بالضرر والفساد.



- أيها المسلمون : السبب الرئيس في تعاطي المخدرات هو ضعف الإيمان ، وذلك بإجماع المراقبين والباحثين ، ثم المشكلات النفسية، والاجتماعية، ورفقاء السوء، والتقليد، والرغبة في التجريب ونحوها.
- لقد سعى العالم بالإجماع لحرب المخدرات عبر (١٠) مؤتمرات دولية منذ عام ١٩٠٩م ، ولكن دون جدوى.
- في حين حلَّها الإسلام ، فقد قال الرسول ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن».
- وقال ﷺ : « لعن الله الخمر ، وشاربها ، وساقبها ، ومبتاعها ، وبائعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه» .
- ما أن بلغ الصحابة تحريم الخمر حتى أقلعوا عنها، رغم حبهم إياها، واعتيادهم عليها، فقد جاء خبر تحريمها إلى مجلس أبي طلحة رضي الله عنه وهو يشربها، فما كان منه حين عرف بجرمتها إلا أن قال: « قم يا أنس فأهرقها » ، فسالت طرق المدينة حينها بالخمور المسكوبة.

- أيها الإخوة : لابد من الضرب بيد من حديد على المروجين والمهريين ، وعقوبتهم بما يردعهم، وكذلك المتعاطين ، لابد من التعامل معهم بالحد الشرعي المنصوص عليه في الخمر.
- وقد وُقِّت هذه البلاد لقتل المهرب تعزيراً ؛ لعظم الضرر الذي يحدثه فعله الخبيث.
- لابد من نشر العلم بين الناس، وشغل وقت فراغ الشباب، ومحاربة البطالة، ومنع السفر خارج البلاد إلا ضمن ضوابط شرعية.
- فكل هذه وسائل يمكن من خلالها حرب المخدرات وكفُّ أذاها.
- إلى جانب التعاون مع الجهات الإسلامية في البلاد ، في الكشف عن المروجين والمتعاطين ، والتبليغ عنهم.

## ثامناً : التربية الجهادية:

- ١ - الفدائية في الجهاد الإسلامي .
- ٢ - معركة مؤتة الفاصلة .
- ٣ - غزوة حنين - الموقف والعبرة .
- ٤ - الحرب اليهودية على لبنان ١٤٢٧ هـ .





## ١ - الفدائية في الجهاد الإسلامي

- أيها المسلمون : لقد شرع المولى عز وجل الجهاد في سبيله ، وجعله ذروة سنام هذا الدين، به تُحمى الدعوة، ويُحفظ الدين، وتقوم الحجة.
- يقول سبحانه وتعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ... ﴾ .
- ولا شك أن في الجهاد آلاماً، وجراحات، وموتاً، حيث ترمل النساء، وتيتم الأطفال، ولكنه مع كل هذا فهو انتصار من وجه آخر.
- ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .
- يقول الرسول ﷺ : « إن في الجنة مائة درجة : أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ».
- ويقول رسول الله ﷺ عن النصر والهزيمة : « ما من غازية أو سرية تغزو في سبيل الله فيسلمون ويصيبون : إلا تعجلوا ثلثي أجرهم، وما من غازية أو سرية تخفق وتخوف وتصاب : إلا تمَّ أجرهم ».
- أيها المسلمون : ليس الموت في سبيل الله خسارة ؛ وإنما هو نصر على مستوى الفرد بنجاته ونجاحه في مهمته ، ونصر للأمة حين تُروى بالدماء ؛ فإن النصر ينبت حيث يرويه الدم.
- لقد فهم سلف هذه الأمة : أن الموت في الجهاد هو أسمى مطلب لهم، فكان الموت أحب إليهم من الحياة.
- هذا عبد الله بن جحش رضي الله عنه ، صاحب الهجرتين ، وأول أمير في

الإسلام، وصاحب أول لواء عقده رسول الله ﷺ ، لما كان يوم أحد رفع يده يدعو ربه يقول: « اللهم أقسم عليك أن نلقى العدو، فإذا لقينا العدو أن يقتلوني ، ثم يبقروا بطني ، ثم يمثّلوا بي ، فإذا لقيتُك سألتني : فيم هذا ؟ فأقول: فيك ».

- وفعلاً قُتل رضي الله عنه ومثّلَ به ، ونرجو أن يلقى ربه ، فيتمُّ له ما طلب.  
- وهذا عمرو بن الجموح الأنصاري رضي الله عنه ، يخرج بعرجته يوم أحد، يرجو أن يظأ بها الجنة، يدعو ربّه عند خروجه فيقول: « اللهم لا تردّني ».  
- وهذا حرام بن ملحان الأنصاري رضي الله عنه ، جاءه رجل من ورائه فطعنه فقال فرحاً: «فزت وربّ الكعبة».

- جاء معاذ بن عفراء رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: « يا رسول الله ما يُضحكُ الربُّ من عبده ؟ قال: غمسهُ يده في العدو حاسراً ، فألقى درعاً كانت عليه، وقاتل حتى قتل ».

- وهذا أبو دُجانة سيماك بن خرشة رضي الله عنه لما كان يوم اليمامة ألقى بنفسه وحده في حصن المشركين فقتل، ثم أعقبه البراء بن مالك رضي الله عنه ففتح الباب.

- وهذا هشام بن العاص رضي الله عنه يوم معركة أجنادين بفلسطين، لاحظ تأخراً في الناس، فصاح فيهم : « يا معشر المسلمين أنا هشام بن العاص، أمِنَ الجنة تفرون؟! فتقدم وقاتل حتى قتل »، وسقط في مضيق تمر منه الخيول ، فتقطعت أشلاؤه قطعاً قطعاً.

- وهذا علباء بن جحش العجلي رحمه الله، خرج له مجوسي يوم القادسية للمبارزة، فضرب كلُّ منهما صاحبه، أما المجوسي فمات ، وأما علباء فخرجت أمعاؤه من بطنه ، فحاول إرجاعها إلى بطنه فلم يقدر، حتى عاونه

- على ذلك أحد المسلمين ، فحزم بطنه ، ثم تناول سيفه وتقدّم إلى المعركة ، فما هي إلا خطوات حتى استشهد.
- وهذا علي بن أسد رحمه الله ، شارك في معارك الروم البحرية، وفي إحدى هذه المعارك قال: «لا أطلب الجنة بعد اليوم أبداً».
- فلما التقت السفن اقتحم إحداها ، وأخذ يقاتل الروم وحده، فانحاز أهل السفينة إلى إحدى جهاتها فانكفأت ، وغرق الجميع.
- أيها المسلمون : إنها الهمم العالية ، المترفعة عن الحياة الدنيا، المتطلعة لما عند الله، إنه الانتصار الحقيقي حين يكون الموت في سبيل الله أفضل من الحياة.

\* \* \*

- أيها الإخوة : إن جميع أمم الأرض يأتي عليها زمان فتفنى، وتعقم أرحام النساء عن إنجاب الرجال إلا أمة الإسلام فخيرها دائم باقٍ لا ينقطع.
- إن صور الجهاد والفدائية لم تنقطع ولن تنقطع، فما زالت في الأمة روح الجهاد والاستبسال متوقّدة.
- ففي عام ١٩٣٠م أثار ثلاثة من الشباب الفلسطيني الناس على الإنجليز المستعمرين وأعوانهم من اليهود ، فقبض عليهم ، وحُقق معهم، فقررُوا إعدامهم.
- وفي ليلة الإعدام أظهر الشباب الثلاثة فرحهم، وتحنّوا على طريقة أهل الخليل، ولما كان يوم الإعدام تقدم الأول، وتنازع الاثنان من يكون الثاني، وكل منهما يريد أن يكون الثاني.
- ولما كان الثالثُ طلب أن يتقدم إلى المنصّة دون قيد، فأبوا ذلك، فقطع قيده، وتقدم وقُتل.

- ومن الأبطال المعاصرين : الشاب الفلسطيني رائد زكارنة، الذي لم يتجاوز تسعة عشرَ عاماً ، أنهى الثانوية، واختفى أربعة أشهر، وبعث إلى أهله : أن لا تسألوا عني.
- ثم فاجأ العالم بعملية استشهادية كبيرة يوم ١٢/٩/١٩٩٣ م ، انتقم بها لآلاف القتلى والمشردين والمضطهدين.
- والبطل الفلسطيني عماد حسن عقل، عمره أربع وعشرون سنة، كان شديد القنص لا تخطئ رصاصاته اليهود، وقد حُوصِر أكثر من مرة، إلا أنه كان ينجو بفضل الله تعالى.
- وفي يوم حُوصِر بالدبابات والطائرات والجنود، ورمي بالصواريخ فنجا بإذن الله تعالى.
- ولما كان يوم موته حوصِر، وقتل وفرغ اليهود سبعين رصاصة في رأسه انتقاماً منه.
- إن النصر يأتي للأمة حين يخرج منها الوهن، وهو حب الدنيا وكرهية الموت.
- إن في الأمة طاقات مكبوتة تنتظر من يعلن الجهاد الإسلامي الحق، تحت راية إسلامية واضحة، لا فتنة ولا شك.

## ٢ - معركة مؤتة الفاصلة

- أيها المسلمون : في هدنة الحديبية بين المسلمين في المدينة وقريش في مكة : تفرغ الرسول ﷺ وأصحابه لدعوة الناس في أطراف الجزيرة وخارجها.
- فكتب الكتب للملوك والأمراء، يدعوهم إلى الإسلام، وحمل هذه الكتب رسلاً من خيار أصحابه، من أمثال: عمرو بن أمية الضمري، وعبد الله بن حذافة السهمي، ودحية الكلبي، والعلاء بن الحضرمي، وغيرهم كثير رضي الله عنهم.
- فأرسل إلى النجاشي ، والمقوقس، وكسرى، وقيصر، وصاحب اليمامة، وصاحب دمشق، وملك عمان وغيرهم يدعوهم إلى الإسلام ، والدخول في زمرة المؤمنين.
- ومن رسل رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزدي رضي الله عنه ، أرسله إلى عظيم بصرى، فاعترضه شرحبيل بن عمرو الغساني.
- وكان شرحبيل عاملاً لقيصر على بعض بلاد الشام، فلم يراع مبدأ احترام الرسل، وعصمة دمائهم، فأوثقه ثم قتله.
- ولا شك أن قتل الرسل والسفراء من أشنع الجرائم في الأعراف الدولية، وهو بمثابة إعلان الحرب ؛ ولهذا اشتد الأمر على الرسول ﷺ حين بلغه خبر مقتله.
- فجهز الرسول ﷺ جيشاً قوامه ثلاثة آلاف رجل، وأمر عليهم زيد بن حارثة رضي الله عنه ، وعقد له لواءً أبيض ، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، فإن قتل فعبد الله بن رواحة رضي الله عنه .
- ثم ودّع الرسول ﷺ الجيش وأوصاهم بتقوى الله، وأن لا يقتلوا وليداً ولا

- امرأة ولا عابداً في صومعته، ولا يغدروا ولا يهدموا ولا يحرقوا شجراً.
- وخرج المسلمون يشيعونهم ويودعونهم، وفيهم رسول الله ﷺ حتى بلغوا ثنية الوداع، وسار الجيش على بركة الله شمالاً نحو الشام.
- بلغ الروم وأعدائهم من العرب المنتصرين خبر الجيش الإسلامي المتجه نحوهم ، فأعدوا مائتي ألف مقاتل لمواجهة ثلاثة آلاف مقاتل فقط.
- فلما وصل الجيش الإسلامي مشارف الشام : بلغهم خبر عدد جيش الأعداء وعدتهم، فتفاجأوا، واجتمعوا للتشاور.
- وترددوا ، وفكروا بالكتابة للرسول ﷺ لطلب المدد والمشورة، فقام فيهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فقال: « يا قوم ، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون : الشهادة، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسينين، إما الظهور، وإما الشهادة».
- فاستقر الجيش على رأيه، وتقدموا نحو عدوهم ليواجه كل رجل منهم سبعين من المشركين، تشاهد الدنيا هذه المعركة العجيبة، غير المتكافئة، ولكن إذا هبت ريح الإيمان، واختلطت بشغاف القلوب أتت بالعجائب والغرائب.
- وَيَنْشَبُ القتال، وتبدأ المعركة، فليس إلا صرير السيوف، وطعن الرماح، ووخز السهام.
- ويثبت المسلمون ، ورايتهم مع قائدهم زيد بن حارثة رضي الله عنه ، هي في يده منذ عقدها رسول الله ﷺ حتى نشبت فيه رماح الأعداء من كل جانب.
- ثم تناول الراية بعده جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، حتى إذا أرهقه الأعداء من كل جانب ، نزل عن فرسه الشقراء وعقرها وأخذ يقاتلهم.

- فُقطعت يمينه التي تحمل الراية، فأخذها بشماله فقطعت، فاحتضنها بعضديه وضمها إلى صدره كي لا تسقط.
- فجاءه رومي عنيد فضربه بسيفه ضربةً عظيمةً قاسيةً قسمته إلى نصفين.
- فتناول الراية من بعده عبد الله بن رواحة رضي الله عنه القائد الثالث، وكان في نفسه شيء من التردد، ثم عزم أمره، وخاض المعركة حتى قُتل.
- وهنا خلى جيش المسلمين من القيادة، فيظهر في هذه الأثناء رجل الموقف، رجل الساعة، سيفُ الله المسلولُ على الكفار، خالدُ بن الوليد رضي الله عنه.
- فيأخذ الراية ويخوض بها في صفوف المشركين، لا يكاد أحد يقف في وجهه إلا قطعه بسيفه، حتى اندقت في يده تسعة أسياف.
- لقد تكسرت أسيافه على جماجم الروم وأجسادهم، حتى قيل: إنه قتل خمسة آلاف مشرك يوم مؤتة، قتلهم وحده رضي الله عنه.
- وفي اليوم الثاني من أيام المعركة احتال خالد رضي الله عنه فغيّر مواقع جنده، وأظهر أن مدداً وصله من المدينة ليوقع الوهن في الأعداء.
- ثم أخذ في خطة حربية للانسحاب، فأنحاز الجيشان كلٌّ على حدة، ولم يجرؤ المشركون على مواصلة القتال.
- فانتهدت المعركة، ولم يقتل من جيش المسلمين سوى اثنا عشر رجلاً فقط، مقابل آلاف من المشركين.
- ورسول الله ﷺ في المدينة، وكأنما فتحت له نافذة من الغيب يتابع أخبار المعركة، فيقول لأصحابه، وعيناه تذرفان بالدموع: « أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب، حتى أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم »، وجلس الرسول ﷺ

- يُعرَفُ الحزن في وجهه لمصاب أصحابه.
- ثم دخل على أولاد جعفر فاحتضنهم ودعا لهم، وأمر الحلاق بحلاقة رؤوسهم، وأخبر أمهم بأنه كفيلهم حتى يكبروا.
- ثم أمهلهم ثلاثة أيام ليكون على جعفر، ثم دخل عليهم، فقال: « لا تبكوا على أخي بعد اليوم »، وبشرهم بفضل جعفر ومكانه في الجنة.
- أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .



- أيها المسلمون : ولما رجع الجيش إلى المدينة دون أن يلاحقه جيش الروم : استقبلهم بعض المسلمين بالعتاب؛ في كونهم انسحبوا ولم يستمروا في القتال حتى النهاية.
- وقالوا لهم: « أنتم الفرار »، فقال الرسول ﷺ: « ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار إن شاء الله ».
- وهكذا الحمية الإسلامية تأبى الانسحاب أمام الكفار، ولو كلف ذلك موت الجميع، إلا أن الحكمة تقتضي الانسحاب.
- وهو ما أقره الرسول ﷺ ، واعتبره فتحاً للمسلمين، ولا شك أن صمود جيش المسلمين أمام الكافرين في معركة غير متكافئة هو نصر في حد ذاته.



- ولكن الدرس الأعظم والأجلّ هو أن نتيقن أن النصر من عند الله وحده، لا يُنزله ولا يصنعه إلا الله وحده.
- وما زال المسلمون عبر التاريخ الإسلامي ينتصرون على أعدائهم حين كانوا متوكّلين على الله، معتمدين عليه سبحانه، آخذين بأسباب النصر.
- وها هم اليوم حين اعتمدوا على غيره، وركنوا إلى غير جنابه : خذلوا، وما زالوا ينهزمون ويتراجعون في كل ميدان.
- ولن يفلحوا أبداً ما داموا معرضين عن دينهم، يلتمسون العزة في غيره، فقد كتب الله الذل والصغار على من اعتزّ بغيره.
- نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله.

### ٣ - غزوة حنين - الموقف والعبرة

- أيها المسلمون : لما أتمَّ الله لنبية ﷺ فتح مكة، وظهر بذلك الحق : تغيظت بعض القبائل العربية، وعزمت على قتال المسلمين.
- فجمعت قبيلة هوازن كلَّ ما تملك من الرجال والمال والأنعام، وقدمت بها إلى وادي حنين، ودعمتها على ذلك ثقيف من الطائف.
- ولما أراد الله خذلان هوازن أوقع في نفس قائدهم مالك بن عوف أنه يخرج بالنساء والذرية؛ ليكون ذلك أدعى للدفاع والقتال حسب ظنه.
- ولما علم الرسول ﷺ بعزم هوازن على الحرب : خرج لملاقاتهم بالمهاجرين والأنصار، وبعض أهل مكة من المسلمين الجدد.
- وكان خروجه بعد شهر تقريباً من فتح مكة، في شوال من السنة الثامنة للهجرة.
- وكان عدد جيش المسلمين اثني عشر ألفاً، عشرة آلاف من المدينة، وألفان من مكة.
- فقال قائل المسلمين : « لن نغلب اليوم من قلة »، قد أعجبتهم كثرة عددهم.
- خرج المسلمون إلى وادي حنين بين مكة والطائف، وقد سبقهم عدوهم إلى الوادي، حيث تمركزت المقاتلة من هوازن في الوادي، وعلى مداخله من خلف مرتفعاته، ينتظرون قدوم المسلمين.
- وكان على مقدمة جيش المسلمين جمع من الشبان الأحداث، من مسلمة الفتح، ممن لم يكن مستعداً بصورة صحيحة للقتال.
- فما أن دخل أول الجيش الوادي عند بزوغ الفجر حتى انهالت عليهم

- السهام من كل مكان، لا تخطئ أهدافها.
- فتراجعت مقدمة الجيش لتصطدم بمن خلفها، فاختلط الجند بعضهم ببعض، ولاذ جمع كبير بالفرار.
- ووقع في نفس بعض مسلمة الفتح : أن نهاية الإسلام في هذه المعركة.
- وهنا وفي هذا الموقف الشديد يثبت رسول الله ﷺ، ومازال يتقدم في وجه العدو بيغلته، حتى يكون أقربهم إلى العدو.
- حتى إن العباس رضي الله عنه ليكف البغلة بلجامها عن الإقدام ، والنبي ﷺ يصيح فيهم : « أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب ».
- ولم يثبت حول الرسول ﷺ أكثر من اثني عشر رجلاً، وكان الرسول ﷺ ينادي فيهم: « إليّ عباد الله، إليّ أنا رسول الله ».
- وربما نادى فيهم: «أيها الناس هلموا إليّ أنا رسول الله، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله».
- وربما أمر العباس رضي الله عنه أن ينادي فيهم بصوته الجمهوري : « يا أصحاب السمرة » ، فما أن سمعوا صوته حتى صاحوا: لبيك ، لبيك.
- وكان أحدهم إذا لم يطاوعه بغيره بالعودة أخذ سلاحه وترك البعير، يتوجه نحو صوت العباس رضي الله عنه.
- نزل الرسول ﷺ إلى أرض المعركة وتناول حفنة من التراب، ثم قذف بها في وجوه القوم، وقال: « شاهت الوجوه »، « انهزموا وربّ مُحَمَّد ».
- فما من أحد من الأعداء إلا أصابته رمية رسول الله ﷺ في وجهه فانشغل بها عن القتال.
- فتقدم المسلمون يضربون فيهم، ويتبعونهم : يأسرون ويقتلون ويغنمون.
- وما هي إلا فترة قصيرة، حتى تغير ميزان القوى لصالح المسلمين، فلم يعد

الفرارون إلى أرض المعركة حتى وجدوا رجال هوازن مكبلين في القيود، والنساء والذرية في الأسر، والأنعام في الغنائم.

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

\* \* \*

- أيها الإخوة : يحكي أحد رجال هوازن بعد إسلامه يقول: «لما التقينا مع أصحاب رسول الله ﷺ لم يقفوا لنا حلب شاة، حتى إذا انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء - يعني رسول الله ﷺ - تلقأنا رجال بيض الوجوه حسان، فقالوا لنا: شاهت الوجوه، ارجعوا، فرجعنا وركبوا أكتافنا، فكانت إياها» ، يعني الهزيمة.

- لقد غنم المسلمون : ستة آلاف من السبي من النساء والذرية، وأربعة وعشرين ألفاً من الإبل، وأربعين ألفاً من الشاة.

- ومن رحمة الرسول ﷺ بهوازن أنه لم يوزع الغنائم؛ بل بعث بها إلى الجعرانة ينتظر توبة هوازن وإسلامها، فتأخروا فوزع الغنائم.

- ثم جاء وفد هوازن تائبين مبايعين، وطلبوا إعادة أموالهم وسبيهم، فخيرهم الرسول ﷺ بين السبي وبين الأموال، فاختاروا السبي.

- أيها المسلمون : إن النصر مع الصبر، فقد أنزل الله نصره على اثني عشر رجلاً صمدوا مع رسول الله ﷺ.

- لم ينتصر المسلمون قط بعددهم وعتادهم، وإنما يتصرون دائماً بإيمانهم وثباتهم، ولهذا لما أعجبتهم كثرتهم أوكلهم الله إليها فهُزموا.
- اللهم إنا نبرأ إليك من حولنا وقوتنا، وأعدادنا وعدتنا، اللهم أنت ملاذنا، وأنت نصيرنا، وأنت وليُّنا، فلا تكلنا لأنفسنا طرفة عين.

## ٤ - الحرب اليهودية على لبنان ١٤٢٧هـ

- أيها المسلمون : لم تكن أحداث فلسطين ولبنان والعراق لتكشف شيئاً جديداً بقدر ما تؤكد انهيار الأمة الإسلامية سياسياً وعسكرياً.
- لقد أصبح واضحاً للجميع أن الأنظمة العربية لا تملك شيئاً جديداً تقدمه لشعوبها، يتناسب مع حجم الأحداث الجارية.
- إن الوقع عظيم ، والأزمة كبيرة، ومع ذلك يتخاذل العرب في نصره بعضهم بعضاً، وكأن ما يجري حولهم لا يعينهم.
- لقد نجح أعداؤنا في تفريق صفنا، وتكئيلنا بالاتفاقيات الدولية، وشروط الانضمام للأمم المتحدة.
- في حين تجرد الدول الكبرى الحرة الكاملة في الالتزام بهذه المعاهدات أو الإعراض عنها ، حسب مصالحها الضيقة.
- إن المسلم المعاصر ليتعجب من بعض الدول العربية الكرتونية التي تملك كل شيء إلا جيشاً قوياً رادعاً.
- تجرد فيها : الرئيس والوزراء والبرلمان، وتجرد فيها أيضاً: المرقص والملهى والخمارة والسينما، إلا أنك لا تجرد فيها جيشاً يحميها.
- إن من أهم مهمات السلطان في السياسة الشرعية أن يحمي ثغور المسلمين، فإذا لم يستطع فلا معنى لبقائه في السلطة.
- ما الفائدة من كل جهود البناء والتعمير إذا لم يكن هناك من يحميها من الدمار والانهيار والاعتداء؟!!
- كيف يأمن الناس على استثماراتهم في دول هزيلة هشة لا تملك حماية نفسها، ولا من تحت يدها، ولو للحظات يسيرة؟!!

- أمن المعقول أن أحزاباً صغيرة بأسلحة تقليدية تستطيع أن تعمل شيئاً وتردّ عن نفسها، وحكومة كاملة لا تستطيع شيئاً؟!!
- ثم يأتيك الرد البارد الهزيل : «نحن دولة ضعيفة»، سبحان الله! لماذا لا ينضوي ضعيف تحت القوي فيتقوى؟!!
- ما لهؤلاء لا يتحدّون؟! لقد زال الاستعمار الذي قسم العالم الإسلامي، فما الذي يمنع من الاتحاد؟!!
- إن الوحدة العربية والإسلامية هي خيار الأمة الوحيد، وأي قول غير هذا خيانة ومُزايدة على مصالح الأمة.
- إن من أهم أهداف دولة اليهود البغيضة أن تدوم الفرقة بين المسلمين؛ حتى تستفرد بكل دولة على حدة : تحاربها وتؤدّبها.
- إنهم لن يرضوا من دول الجوار إلا بالذل والصغار وتأمين الحدود، حتى يتفرغوا للدول الأخرى المتمردة حسب زعمهم.
- إنهم لن يتركوا أحداً بسلام حتى يدمروا الجميع، وإنما تعوقهم المقاومة الشعبية الداخلية والخارجية.
- إن أذى اليهود لن ينتهي إلا بزوال دولتهم البغيضة، وهذا لن يكون على أيدي المتخاذلين، ولا التائهين، ولا الضائعين؛ وإنما على أيدي أشبال أسود التوحيد.
- إن النصر الحقيقي لا يأتي من فراغ، وإنما يأتي بقوة الصلة بالله، ثم بإفراغ الوسع في طلب القوة العسكرية والسياسية.
- إن قوة الصلة بالله لا تعني الادعاء أننا مع الله، وإنما تعني أن حكم الله بالكتاب والسنة هو السائد في المجتمع المسلم.

- وإفراغ الوسع لا يعني أن النصر لا يكون إلا بالقنابل الذرية، وإنما بتقديم الجهد الممكن: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.
- أيها المسلمون : لنكن صرحاء مع أنفسنا، ما الفرق بين يهود اليوم الذين يجاربوننا، وبين كثير من العرب المعاصرين؟
- ألسنا نحكم مثلهم بغير ما أنزل الله؟! ألسنا نتعاطى الكبائر مثلهم، ففينا أكلة الربا، والعاقون، والسحرة، وفي غالب بلاد المسلمين تُشرب الخمر علناً، وتُفتح دور البغاء والخنا، ويظلم القوي فينا الضعيف؟!
- إن الواقع يشهد بأنه لا يكاد يُوجد فرق بيننا وبينهم، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: « يأتني على أمتي ما أتى على بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل - يعني تعمل تماماً كعمل بني إسرائيل - حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية، ليكون في أمتي من يصنع ذلك».
- وقال أيضاً : «لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم»، قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»؟ يعني: فمن غيرهم؟.
- أيها المسلمون : إذا كان هذا حالنا، قد تساوينا مع أعدائنا في معاصيهم، فأبى نصرٍ نتظر، فإن القاعدة الإسلامية تقول: إذا ذهب التقوى فإن النصر للأقوى.

\* \* \*

- أيها الإخوة : إن الله لا يخفى عليه شيء مما يجري من المآسي والمظالم اليهودية والنصرانية، وما يلقي المسلمون من الآلام والجراح.
- إن الله قادر على أن يدفع عن المسلمين، ولكنه الابتلاء بما كسبت أيدينا من التفريط في جنب الله تعالى.



- إن الناس في هذا البلاء الذي أصابهم من اليهود ومن غيرهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: صالحون يرفع الله بهذا البلاء درجاتهم، وفاسقون عصاة يكفر الله عنهم من سيئاتهم، ومناققون وكفار يُعجّل الله لهم العذاب في الدنيا قبل الآخرة.

- فحال المسلمين كُلُّه فيما أصابهم من هذا البلاء على خير؛ إن أصابتهم سراء شكروا، وإن أصابتهم ضراء صبروا، والحمد لله رب العالمين.



## تاسعاً : التربية الاقتصادية:

- ١ - فتنة المال .
- ٢ - فضل الصدقة وثوابها .
- ٣ - الأسباب الحقيقية للأزمات الاقتصادية .
- ٤ - الرشوة وخطرها على المجتمع .



## ١ - فتنة المال

- أيها المسلمون : مطلب جليل، وهدف عظيم ، الكل يسعى لبلوغه والوصول إليه، وإذا فقدته شعر بالألم الشديد، والحزن العميق.
- إنها السعادة أيها المسلمون، الكل يسعى إلى بلوغها، والوصول إليها، إلا أنهم يختلفون في مفهومها، والطريق إليها.
- فمن الناس من يرى السعادة في الاستكثار من المال، فسعادته في نمائه وازدياده، وشقاوته في نقصه وانخفاضه.
- لقد ارتبطت سعادته بالأرقام المالية في صعودها، وارتبطت تعاسته بها في انخفاضها وهبوطها.
- فيوم عيده حين تزدهر تجارته، وتروج بضاعته، ويوم تعاسته حين تكسُد بضاعته، ويضعف رواج تجارته.
- لقد اختصر الحياة كلها بما فيها من المتغيّرات الكثيرة : في الأرقام المالية، فلا يعنيه شيء في الحياة إلا ما كان متصلاً بأمواله ومصالحه المالية الخاصة.
- فإذا اهتزت الأسواق المالية، واضطربت الأسعار: اهتز كيانه، واضطربت أركانه، وربما مرض أو هلك.
- أيها الإخوة : إن المال بكل ما يحمله من الأهمية والحيوية: لا يعدو أن يكون وسيلة من وسائل المؤمنين إلى مرضاة رب العالمين.
- إن المؤمن يجمع المال من حلال فيثاب على ذلك، وينفق على نفسه وولده وأهله فيثاب على ذلك، ويهدي ويتصدق فيثاب على ذلك.
- والنبي ﷺ يقول: « نِعْمَ المَالُ الصالح للرجل الصالح ».

- كم هي نعمة أن تكون الأموال الصالحة في أيدي الصالحين من أبناء المجتمع.
- يتاجرون في الحلال، فيقيمون المشاريع الاستثمارية، وينشئون المنشآت التجارية، ويؤسسون للمصانع الإنتاجية.
- فينتفع المجتمع بمشاريعهم، فيحصل بها الاكتفاء الذاتي، والتنمية المحلية، ويجد الشباب فيها فرصاً للعمل.
- وكم هي نقمة على المجتمع حينما تكون الأموال في أيدي الفاسدين من أبناء المجتمع، فلا يزكُّون ولا يتصدَّقون، ولا يشبعون ولا يكتفون.
- يتعاملون بالربا، ويقامرون بالأموال، ويتَّجرون في الحرام ، ويهربون بأموالهم بعيداً عن أوطانهم، ينتفع بها الكفار والفجار.
- وإذا استثمروا في البلاد : استثمروا في مشاريع ترفهية أو استهلاكية ، لا تبني الاقتصاد، ولا تنفع المواطن.
- لقد عشعش حب المال في قلوبهم، لا يبالي أحدهم من أين اكتسبه، من حلال أو من حرام، فلا يكاد يشبع من حبه وجمعه.
- إن الإسلام لا يحرم جمع المال واستثماره، بل هذا من فروض الكفاية؛ إذ لا بد للمجتمع من تجار ومستثمرين ينهضون بحاجات المجتمع.
- والنبي ﷺ يقول : « التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء ».
- ويقول ﷺ أيضاً: « أفضل الكسب: بيع مبرور، وعمل الرجل بيده».
- وإنما الممنوع هو الاتجار في الحرام، والاستثمار في غير الحلال، حين يظن بعض الناس : أن الرزق يفوت إذا لم يأخذه من حرام.
- والرسول ﷺ يقول: « أيها الناس : اتقوا الله ، وأجملوا في الطلب ؛ فإن

- نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حلَّ ، ودعوا ما حُرِّمَ .» .
- ويقول أيضاً : « إن روح القدس نفث في روعي فأَنّ نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فاتقوا الله فأجملوا في الطلب، ولا يحملنَّ أحدكم استبطاءَ الرزق أن يطلبه بمعصية؛ فإن الله تعالى لا يُنالُ ما عنده إلا بطاعته .» .
- ويقول ﷺ أيضاً: « لكل بشر رزقه من الدنيا هو يأتيه لا محالة، فمن رضيَ به بورك له فيه ووسعاه، ومن لم يرضه لم يبارك له فيه ولم يسعه .» .
- فاتقوا الله أيها الناس، واحرصوا على الحلال، وإياكم والحرام .
- اللهم رضنا بما رزقتنا، وأغننا بجلالك عن حرامك يا أرحم الراحمين .
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ .



- أيها الإخوة : إن للسعادة ركنين : الأول : الإيمان بالله تعالى ، والثاني : العمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .
- لقد هاجر أصحاب النبي من مكة إلى المدينة لا يملكون شيئاً إلا ما يستر عوراتهم، لقد جرّدهم أهل مكة من كل أملاكهم .
- ومكث بعضهم بعد الهجرة حتى مات لم ينل من زهرة الدنيا شيئاً، يموت أحدهم وحاجته في نفسه لم يحقق منها شيئاً .

- لقد مات مصعب بن عمير رضي الله عنه ، وقد كان من أغنياء مكة، فلم يجدوا ما يكفونونه به، إلا شملة قصيرة، إذا غطوا بها رأسه انكشفت رجلاه، وإذا غطوا بها رجلاه انكشف رأسه.
- ومع كل هذا الفقر فقد كانت سعادتهم في قلوبهم، بساتينهم في صدورهم، لا يعرف طعمها إلا الأتقياء.
- لقد أنست قلوبهم بالله، فلم يعد شيء من هذه الدنيا يؤثر فيها، لقد ذاقوا أطيب ما في هذه الحياة الدنيا : محبة الله تعالى والأنس بذكره.



## ٢ - فضل الصدقة وثوابها

- أيها المسلمون : من حكمة الله تعالى في خلقه أن وزّع بينهم الأموال، فوسّع على بعضهم وضيق على بعضهم، يختبرهم فيما آتاهم ، وابتليهم بما حرمهم.
- فابتلى الغني بما آتاه من المال : أينفق أم يبخل، وابتلى الفقير بقلة ذات اليد: أيرضى ويصبر، أم يغضب ويضجر ؟
- وقد امتدح الله المنفقين في سبيله فقال: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ .
- وقال الرسول ﷺ: « إن الله كريم يحب الكرم ».
- وقال ﷺ: « إن الله جوادٌ يحب الجودَ، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها ».
- وقال أيضاً: « الساعي على الأرملة والمسكين ، كالمجاهد في سبيل الله ، أو القائم الليل الصائم النهار ».
- وقال الرسول ﷺ لأصحاب الحقوق : « من أنظر معسراً ، أو وضع عنه: أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ».
- وقال ﷺ في شأن بذل الكسوة والطعام والشراب: « أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً على عري، كساه الله تعالى من خضر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلماً على جوع، أطعمه الله تعالى يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلماً على ظمياً ، سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم ».
- وقال ﷺ أيضاً : « إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها، أعدّها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل

- والناس نيام « .
- ولما سئل ﷺ : « أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف « .
- وقد وعد الله تعالى المنفقين بالخلف وعظيم الأجر، فقال: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .
- ويقول أيضاً سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ .
- وفي الحديث القدسي : قال الله تعالى : « يا عبدي أنفق أنفق عليك » .
- وقد حذر الله تعالى من البخل والشح فقال : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .
- ويقول الرسول ﷺ : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً» .
- أيها المسلمون : لما كان الكرم من الأخلاق المحبوبة إلى الله تعالى، التزم به الفضلاء والأولياء، حتى خالط نفوسهم وأرواحهم، وفي مقابل ذلك هجروا البخل والشح، وتخلصوا منهما، حتى إن أحدهم ليكرم المحتاج بثوبه الذي يلي جسده ولا يجد غيره ، ولا يرضى أن يتصف مرة واحدة بالبخل.
- فهذا رسول الله ﷺ يسأله أحدهم بردة كانت عليه، فيدفعها إليه دون تردد، ويقول لبلال: « أنفق بلائاً، ولا تخش من ذي العرش إقللاً» .
- وهذا أبو الأنبياء إبراهيم ﷺ سُمِّيَ بأبي الضيفان لعظيم كرمه، وإحسانه لمن يدخل عليه.

- وهذا أبو بكر رضي الله عنه لا يدخر عن رسول الله ﷺ شيئاً، أنفق ماله كله، وأعتق المضطهدين، وستر المساكين، وأطعم الجائعين.
- وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه لا يترك باباً للنفقة إلا ولجه، في السلاح والطعام والدواب والماء، حتى وجبت له الجنة والمغفرة.
- وهذا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما من كثرة نفقته وحبه للصدقة سُمي : أبا المساكين.
- وهذا ابن عمر رضي الله عنهما ما مات حتى أعتق ألف مملوك، وكان إذا أعجبه شيء من ماله تصدق به، يتمثل قوله تعالى: ﴿ لَنْ نَسْأَلَهُ الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾.
- وهذا الحسن بن علي رضي الله عنهما ربحانة رسول الله ﷺ كان يُعطي الرجل الواحد مائة ألف درهم.
- ولما سُئل : من الجواد ؟ قال : « الذي لو كانت الدنيا له فأنفقها لرأى على نفسه بعد ذلك حقوقاً ».



- أيها المسلمون : يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.
- إن الله لا يقبل صدقة إلا من كسب طيب، فإذا كانت كذلك وقعت في يمين الرحمن ، فتربو في يده سبحانه حتى تكون أعظم من الجبل.
- وإن من القبيح أن يتوجه الرجل إلى الرديء من ماله، أو الخبيث من

- ممتلكاته: فيتصدق به ؛ فإن الله غني عن مثل هذا.
- كما أن من القبيح أن يمنَّ بصدقته على المسكين، ويظن أن له عليه فضلاً، فإن الفضل لله وحده.
- إن المسلمين اليوم في حاجة مُلِحَّة للصدقة والنفقات، فكم هو جميل أن يتعاون المسلمون فيما بينهم، كل حسب استطاعته.
- وإن من المُسَلِّم به أن المسلمين لو أخرجوا من أموالهم الواجب عليهم لانتَهت أزمة المسلمين الاقتصادية في العالم ، إلا أن الواقع ينبئ بغير هذا.
- لقد غلب الشُّح على الأكثرين، فبخلوا بالواجب من النفقات، وأمسكوا عن المفروض من الزكوات : فوقع المحتاجون من المسلمين في حرج شديد.

### ٣ - الأسباب الحقيقية للأزمات الاقتصادية

- أيها المسلمون : منذ أول الدهر ارتبطت أوضاع الناس الطيبة والسيئة بأعمالهم الصالحة والفاصلة .
- فبقدر ما تكون أعمال العباد حسنة : تكون أحوالهم طيبة، وبقدر ما تكون أعمالهم قبيحة: تكون أحوالهم سيئة.
- فالرابطة في غاية القوة بين صلاح الأعمال وصلاح الأحوال، وبين فساد الأعمال وفساد الأحوال.
- حتى إن الأعمال الصالحة تكون سبباً في ازدهار الحياة، وكثرة الخيرات، وظهور البركات، وسعة الأرزاق.
- وفي الجانب الآخر : فإن الأعمال السيئة تكون سبباً في ضيق العيش، وقلة الخيرات، وفساد الأحوال.
- وهذا التاريخ الإنساني شاهد على أقوام شكروا الله تعالى ، وأقاموا دينهم، وأطاعوا ربهم: فازدهرت أحوالهم.
- كما شهد التاريخ على آخرين، فرطوا في حق الله تعالى، وخالفوا رسله: فأذاقهم الله بأسه الذي لا يُرد عن القوم المجرمين.
- ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .
- أيها الإخوة : لقد أقام الله الحياة الإنسانية على سنن ثابتة لا تتخلف، من عمل بها وصل إلى نتائجها حتماً.
- فمن سننه الثابتة التي لا تتخلف : أن من عمل بطاعته: سَعِدَ في الدنيا والآخرة ، حتى وإن كان في ضيق من العيش.

- ومن عمل بغير طاعته : تعس في الدنيا والآخرة، حتى وإن كان في سعة من العيش، وبجوحة من الرزق.
- لقد مرَّ على الحياة أناس قاموا بحق الله : فشرح الله صدورهم، وملاً بالرضا قلوبهم، رغم ضيق العيش، وشدة المؤونة.
- وكم من أناس خالفوا أمر الله، وفرطوا في دينهم: فضاقت عليهم نفوسهم، وتكدَّر عيشهم، رغم سعة أرزاقهم ، وكثرة أموالهم.
- إن الغنى في الحقيقة هو غنى القلوب، حين يملؤها الله بالرضا، والفقر-في الحقيقة- هو فقر القلوب، حين تُملأ باليأس والضجر.
- لقد كان رسول الله ﷺ يربط الحجر على بطنه من الجوع، وهو أسعدُ الناس نفساً، وأشرحُهم صدرأً، وأزكاهم روحاً.
- لقد كان أبو هريرة رضي الله عنه يسقط صريعاً من شدة الجوع، ومع ذلك لا يسأل أحداً شيئاً، لقد ملأ الله قلبه بالإيمان، ونفسه بالرضا.
- أيها الإخوة : يشكو الناس من ارتفاع الأسعار، وضيق الأرزاق، وكثرة التكاليف، وقلة الموارد.
- ولا شك أن هذا وضع مؤلم، يُعاني المجتمع من قسوته وشدته، فإن أحدهم قد لا يجد مؤونة شهر، حتى يضطر إلى الدَّين.
- بل إن بعضهم قد لا يجد ما يكفيه لأسبوع واحد، بل ربما لا يجد بعضهم قوت يومه وليلته في ظل هذه الظروف الاقتصادية القاسية.
- إن هذه الأزمة الاقتصادية الحادة التي أصابت الناس: لها أسباب ظاهرة، وأسباب أخرى باطنة.
- فأمَّا الأسباب الظاهرة فهي ما يتناقله الناس ويعبرون عنه من: انخفاض العملة، وارتفاع أسعار النفط، وجشع التجار ونحوها.

- وأما الأسباب الباطنة ، التي يغفل عنها كثير من الناس وربما استنكرها، وهي - في الحقيقة- الأساس وراء كل أزمة ومشكلة : إنما هي المعصية.
- حينما يجاهر بها الناس في المجتمع، ولا يجدون من ينكر عليهم، ويأخذ على أيديهم، فهؤلاء يصبحون شؤماً على المجتمع.
- يستجلبون بمنكراتهم غضب الله تعالى وسخطه، فيأخذ الله الجميع بذنب الخاصة منهم حين سكتوا ، ورضوا بأفعالهم.
- فلننظر - أيها الإخوة - في أنفسنا، ولنتساءل : كم هو حجم التقصير الذي وقعنا فيه في جنب الله تعالى؟
- كم هي المعاصي التي اعتدنا عليها، وأصبحت جزءاً من حياتنا، لا نستنكرها ولا نستقبحها؟!
- إن الصلاة والصيام والحج طاعة من بين الطاعات الكثيرة التي أمرنا الله تعالى بالقيام بها.
- فالدين الذي ألزمتنا الله به ليس مجرد صلاة وصيام وحج فقط، بل هو منهج الحياة بأكملها، في جزئياتها وکلياتها.
- لقد كلفنا الله القيام بدين ينتظم الدنيا كلها، لا يغيب عن ذلك شيء: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.
- إنه الدين الشامل الذي أمرنا الله بالدخول فيه، والصبغة الربانية التي أمرنا أن نصبغ بها حياتنا.
- فما قيمة الشعائر التعبدية إذا كانت الحياة تقوم على غير منهج الله؟ فإما أن يكون الدين كله لله، أو يكون لغير الله ؛ فإن هذا الدين لا يقبل الشركة.

- أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ .

\* \* \*

- أيها المسلمون : لنعود إلى أنفسنا، ونتلمس الخلل الذي كان وراء أزماتنا الاقتصادية، لننظر في تفريطنا وتقصيرنا ، هذا خير لنا من كثير الكلام ، وخير لنا من إلقاء اللوم على الآخرين .

- إن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يقع فيه، وكذلك المجتمع إن تواطأ الناس على معصية وجاهروا بها: حُرِّمُوا جَمِيعاً الرزق ، وأتاهم من شدة المؤونة ما يقلقهم .

- ومن ظنَّ من الناس أنه لا علاقة للمعصية بالأزمات الاقتصادية، فقد جانب الصواب، وضلَّ الطريق .

- اللهم إنا نستغفرك ونتوب إليك، ونتبرأ من حولنا وقوتنا، فأنت الرزاق ذو القوة المتين .

- اللهم وسِّعْ أرزاقنا، ورخصْ أسعارنا، وبارك لنا فيما رزقتنا يا رب العالمين .



## ٤ - الرشوة وخطرها على المجتمع

- أيها الإخوة : من حكمة الله أن ركَّب في الإنسان جمعاً من الميول والدوافع والرغبات، كحب المال والنساء والذرية.
- كما قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ .
- فهذه الشهوات لم تُركَّب في الإنسان لإزعاجه وإيذائه، وإنما رُكِّبت لتكون دوافع محفزة لعمارة الأرض وازدهار الحياة.
- فلولا دافع الشهوة؛ فمن هذا الذي يتبرع بوضع مائه في ذلك الموضع من المرأة، ويعاني ما يعاني من أخلاق النساء؟!!
- ولولا حبُّ الذرية؛ فمن هذا الذي يكابد نهاره ليرعى عياله، ويقوم على مصالحهم حتى يشبوا، ويقوموا بأنفسهم؟!!
- ولولا حبُّ المال؛ فمن هذا الذي يشيّد عمارة ، أو يشقُّ طريقاً ، أو يفتح متجرّاً ، أو يقدم خدمة لأحد.
- لقد ركَّب الله هذه الشهوات والمحجوبات لتكون سبباً في بقاء الإنسان على هذه الأرض، يخلف بعضهم بعضاً.
- إلا أن الإنسان - في بعض أحواله - ينجرّف بهذه الشهوات بعيداً عن مسارها الشرعي، الذي رسمه الله لها ، وركبها من أجله.
- فتراه ينساق بشهوته الجنسية نحو الزنا واللواط والسُّحاق، وينساق بجبهه للمال نحو الحرام، وأكل أموال الناس بالباطل.
- فإذا بالشهوة التي ركبها الله لعمارة الأرض تنقلب أداة تدمير للبشرية،

وإفساد للحياة والمجتمع.

- وها هو التاريخ في القديم والحديث : يحدثنا كيف كانت هذه الشهوات سبباً في هلاك أمم بأكملها، وضياع أمجادها وحضاراتها.
- وها هي معالم آثارهم بقيت أطلالاً خاوية خالية، حين فرطوا، وطمعوا، وبغوا، وظنُّوا أنهم إلى الله لا يُرجعون.
- أيها الإخوة : لقد بقي حبُّ المال وما يزال دافعاً قوياً نحو الاستكثار منه، والحرص عليه، وجمعه من كلِّ وجه.
- حتى إن بعضهم ليستزید من الأموال حتى يكون ثروة يصعب عليه حصرها وإدارتها، ومع ذلك لا يتسامح مع الناس في شيء من حقوقه.
- بل تراه نهماً جشعاً حريصاً على حقوقه مهما كانت يسيرة، في حين لا يبالي بإعطاء الناس حقوقهم مهما كانت تافهة.
- احتفظ أحد الأثرياء برواتب أحد عمَّاله ، فلما أراد العامل السفر جاءه لأخذ حقه، فأبى أن يعطيه حقه، وقال له: أنت رجل مقطوع، ليس لك زوجة ولا ذرية، فلا تحتاج إلى هذا المال، فمضى الرجل دون أخذ حقوقه!!
- وقسْ على ذلك من يبخسون العمال والمستخدمين، فلا يعطونهم حقوقهم، وربما أجبروهم على الإقرار باستلامها دون أن يكونوا قد استلموها.
- فكم هم الذين ظلموا الخدم والسائقين والأجراء حقوقهم، أخذوا منهم جهدهم، وشقى أعمارهم ثم جحدوهم حقوقهم!؟
- فلم تتمكن الأنظمة والقوانين - في كثير من الحالات - من الوقوف في وجوه هؤلاء الجشعين المغتصبين.
- وكم هم قطاع الطرق ، الذين يحولون بين الناس وحقوقهم، في الإدارات

- الحكومية، والمؤسسات والشركات.
- لا يأخذ أحدهم حقه إلا بشيء من المال يدفعه ليخلص معاملته من براثن الموظف الجشع الغليظ.
- لقد لعب المرتشون وأعوانهم بحقوق الناس، وبدلوا الحقائق، وتمادوا في ذلك حين أمنوا العقوبة والقصاص.
- كم من حق أبطلوه، وكم من باطل أثبتوه، مقابل رشوة، تُشترى بها الذمم الرخيصة، وتُستعبد بها النفوس المريضة.
- أيها المسلمون: لقد عبثت الرشوة بحقوق الناس، وقلبت الموازين، وأفسدت المعايير.
- ينال أحد البسطاء من الناس منصباً إدارياً، فما يلبث طويلاً في هذا المنصب، حتى يتحوّل إلى ثري صاحب جاه.
- ثم لا يجرؤ أحد أن يسأله: «من أين لك هذا؟» لأنه غدا الآن من كبار القوم، فلا تصحّ مساءلته.
- كم هم الذين كوّنوا ثروات طائلة لا يُعرف لها مصادر معلومة، وإنما حصلت لهم بعد نيلهم المناصب.
- لقد وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع من عماله يسألهم ويحاسبهم، ويشتدّ عليهم: «من أين لكم هذا؟».
- يستنّ في ذلك برسول الله ﷺ حين وقف على المنبر يقول: «ما بال العامل نبعثه، فيأتي يقول: هذا لك، وهذا لي، فهلاًّ جلس في بيت أبيه وأمه، فينظر أيهدى له أم لا؟! والذي نفسي بيده، لا يأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبتة، إن كان بغيراً له رُغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر، ألا هل بلغت؟»، قالها ثلاثاً.

- وقال ﷺ أيضاً في الرشوة وأهلها : « لعن الله الراشي والمرتشي والرائش، الذي يمشي بينهما ».

\* \* \*

- أيها المسلمون : كم هو جميل أن يقوم الموظف بما أوجبه الله عليه من العمل، فينال أجره في الدنيا، مع ما يدخره الله له في الآخرة، فقد قال رسول الله ﷺ : «الخازن الأمين، الذي يؤدي ما أمر به طيبةً به نفسه: أحد المتصدقين»، فانظروا - رحمكم الله - كيف رفعه الرسول ﷺ إلى درجة المتصدق لمجرد أمانته، وقيامه بالعمل المناط به.

- ولئن كان من بين الموظفين في الأعمال أناس لا دين لهم ولا خلق، فإن من بينهم صالحين، يحترق أحدهم ليقدم خدمة للناس، يكره أن يرى معاملة معطلة، أو حقاً مغتصباً، إلا أنهم قليل.

- أيها الإخوة : إن خطر الرشوة عظيم ، وضررها كبير ، ولكم أن تتخيلوا حال صاحب الحق حين ضاع حقه، كيف يهنأ له بال وحقه ضائع؟

- وليس كل الناس يصبر على الظلم ، فقد يندفع أحدهم - تحت وطأة الشعور بالظلم - نحو من ظلمه فيقتله، فتكون الرشوة قد أدت إلى جريمة.

- وأما ما تخلفه الرشوة في النفوس من الأحقاد والضغائن فهو كثير لا يُحصى.

- أيها الإخوة : إن العدل هو روح المجتمع ، به يحيا ، وبزواله يموت ، فليتمس عقلاء المجتمع أسباب حياة مجتمعاتهم، وليحذروا أسباب هلاكها وزوالها، فإن في كل مجتمع سفهاء، إن تمكّنوا : هلكوا وأهلكوا الناس معهم، وإن أخذ العقلاء على أيديهم، نجوا ونجا الناس معهم.

## عاشراً : التربية السياسية:

- ١ - غربة الدين في آخر الزمان .
- ٢ - الأمة العاجزة .
- ٣ - حق المسلمين في الحياة الكريمة .
- ٤ - مبشرات النصر والتمكين .
- ٥ - حبُّ الوطن .
- ٦ - حبُّ الرئاسة والقيادة .



## ١ - غربة الدين في آخر الزمان

- أيها المسلمون : لقد بدأ الإسلام غريباً في مكة في أول الدعوة ، مرفوضاً مستنكراً بين الناس .
- ولقد كان المسلمون الأوائل غرباء بين قومهم ، مضطهدين من أقربائهم ، مرفوضين من المجتمع .
- لقد كان أحدهم يؤذى ، وتنتهك حرمة ويعدّب ، ولا يجد من المجتمع من يدفع عنه ، أو ينصره .
- حتى اضطر المسلمون - تحت هذا الضغط الشديد - إلى أن يهاجروا إلى الحبشة ثم إلى المدينة .
- وما لبث المجتمع المسلم الجديد في المدينة أن يقوم حتى اتفق العرب واليهود على حربه وإبادته .
- واستمر الصراع بين الحق والباطل منذ فجر الدعوة حتى فتح مكة ، حين دخل الناس في دين الله أفواجاً .
- ودانت الجزيرة العربية بالإسلام ، وزالت غربة الدين الأولى ، وأصبح الشرك غريباً مرفوضاً مستنكراً .
- وما هي إلا سنوات قليلة حتى دانت الدنيا للمسلمين ، فكانوا هم المعسكر الأول في العالم كلّه .
- وكان الإسلام عزيزاً في أهله ، مهيباً عند الأمم الأخرى ، يخافونه ، ويحترمون أهله .
- حتى إذا دبّ في المسلمين داء الأمم من قبلهم : الحسد والبغضاء والتنازع ، فإذا بهم يفترقون ويفشلون .

- ثم يتحوّلون إلى طوائف وفرق ، كلٌ يدعي الحق لنفسه ، ويحتكر الصواب لشخصه .
- ولم يعد القرآن والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة في السابق هو المرجع عند التنازع، وإنما هي الأهواء، وشهوات النفوس ورغباتها.
- فافترق المسلمون ، وتسلّط عليهم أعداؤهم ، حتى بلغ بهم أن يحكموهم في ديارهم تحت ستار الاستعمار.
- وزال حكم الشريعة من غالب ديار المسلمين، ولم يعد الحكم لله وحده إلا في حدود ضيقة محدودة.
- وعمّ التخلف ديار المسلمين ، فلم يعد لهم دور في سير عجلة التقدم الحضاري، أو التطور العلمي.
- يعيشون على هامش الحضارة المعاصرة ، يحيون عالةً على المجتمع الدولي، يأكلون ويلبسون ويركبون مما يصنع غيرهم.
- ليس لهم كلمة تذكر في المحافل الدولية ، أعداد بلا معنى ، وجموع بلا وزن، وأفواه بلا أصوات.
- إذا اجتمعوا لا يتفقون ، وإذا اتفقوا لا يعملون ، وإذا عملوا لا يُنجزون ، أشباح بلا حقيقة.
- يعيشون سنة الله التي قضاهها في أمثالهم من المفرطين ، حين بدّلوا وغيروا، ولم يأخذوا دينهم بقوة.
- وإذا بالإسلام يعود غريباً كما بدأ ، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ عن آخر الزمان، حين يزهد المسلمون في دينهم.
- يقول الرسول ﷺ : «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ».
- وها هي غربة الدين الثانية تعمُّ الأرض كلّها بنسب متفاوتة ، حتى إن



- الإسلام ليغيب بالكلية عن بعض ديار المسلمين.
- لقد عمّت الغربة بظلالها السوداء القائمة كلَّ جوانب هذا الدين، ابتداءً من العقيدة ، وانتهاءً بأبسط مفاهيم الإسلام.
- لم يعد شيء من معالم الإسلام العظيم إلا وأظلمته الغربة الثانية بظلامها حتى طمست هيئته أو كادت تفعل ذلك.
- فالناظر في أصل الاعتقاد ليهوله حجم الانحرافات العقدية التي يقع فيها كثير من المسلمين، والأهواء المنتشرة بينهم.
- والناظر في الواقع الأخلاقي للمجتمعات الإسلامية : يجد أن مبادئنا وأخلاقنا وقيمنا في ناحية ، وسلوكنا الواقعي والعملي في ناحية أخرى، نقيضان لا يلتقيان.
- وأما الناحية الفكرية فهذه المنشورات الثقافية من الكتب والصحف والمحاضرات والندوات : كم هو حظ الإسلام الصحيح منها؟
- كم هو حجم الذين يعيشون في بلاد المسلمين ، ويتسمون بأسماء المسلمين، ويعتقدون ويصرّحون أنه لا دخل للدين في الفكر؟
- يزعمون أنهم أحرار فيما يكتبون وفيما يتكلمون وفيما يعتقدون ، لا يُقيّدُهم شيء من دين أو أخلاق أو عرف اجتماعي.
- وأما الجانب الاقتصادي فهذا هي البنوك والمصارف الإسلامية تتعثر منذ أربعين عاماً في أحوال الربا والبيوع المشبوهة ، ومستنقع التجارة المحرمة.
- لقد عاقت نجاحها المؤسسات الاقتصادية الكبرى في بلاد المسلمين ، التي لا ترغب أن تتطهر من رجس المحرمات.
- وأما وسائل الإعلام التي كان من المفروض أن تعبّر عن عقيدة الأمة

وأخلاقها ومبادئها ، فإذا بها معاول هدم للدين والأخلاق في غالب أحوالها.

- لقد سلك الإعلام العربي مسلك النفاق ، ينادي بكلمة الحق ، في الوقت الذي ينشر فيه الفساد والضلال.

- أعود بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ يَمَّا كَسَبْتُ أَيَدِي النَّاسِ لِيُذَيِّقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

\* \* \*

- أيها الإخوة : إن هذا الواقع الإنساني المؤلم لا يسوّغ لأحد منا أن يسايره ، بل يرتفع بنفسه إلى مرتبة الغرباء الذين دعا لهم رسول الله ﷺ بالجنة.

- فقال ﷺ : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء » ، يعني : الجنة للغرباء ، « قيل : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : الذين يصلحون إذا فسد الناس » ، وفي رواية : « الذين يفرون بدينهم من الفتن » ، وفي رواية أخرى : « قوم قليل في ناسٍ سوءٍ كثير ، من يعصيهم أكثر ممن يُطيعهم » .

- اللهم أصلح أحوالنا ، واغفر ذنوبنا ، وارحم ضعفنا يا أرحم الراحمين .

## ٢ - الأمة العاجزة

- أيها المسلمون : لقد اختار الله أمة مُحَمَّد ﷺ من بين الأمم ، وخصّها بالفضل من بين الناس، ورفعها على العالمين.
- واختار لها أفضل الرسل ، وأكرمها بأحسن الكتب ؛ لتكون منارة للناس، وقدوةً للسالكين، وحنةً على العالمين.
- يرحم قويهم ضعيفهم ، ويعطف كبيرهم على صغيرهم ، ويرعى غنيهم فقيرهم، لا يرضون بالظلم يقع ولو على الحيوان.
- إذا كانت الأزمات : تعاونوا وتكاتفوا حتى يدفعوها ، وإذا كانت المغامم : اشتركوا فيها جميعاً واقتسموها.
- لا يستأثر الأغنياء بالأموال ، ولا ينفرد الرؤساء بالسلطان ، تراهم كأنهم شخص واحد، لا يتميز بعضهم عن بعض.
- حتى إذا دارت الدوائر على المسلمين ، حين قست قلوبهم ، ونسوا حظاً مما ذكروا به : تشتت شملهم ، وتمزقت أوصالهم، وافترقوا شيعاً وأحزاباً.
- وعادوا كما كانوا عليه زمن الجاهلية من التشتت والضياع، والفرقة والاختلاف، حتى ذهب ريحهم، وضاع سلطانهم.
- فتحولوا من أمة إلى أمم ، ومن جماعة إلى جماعات ، ومن فرقة إلى فرق، كلُّ حزب بما لديهم فرحون.
- حتى إذا تم شتاتهم ، وتقطعت أوصالهم ، وانفرط عقدهم : انفرد بهم أعداؤهم، واحداً تلو الآخر، يسومونهم سوء العذاب.
- لقد انفرد الكفار ببعض ديار المسلمين ، يسومون أهلها أشد العذاب ، يقتلون ، وينتهكون، ويسرقون.

- ثم يبقى المسلمون - في ظل الفرقة والشتات - عاجزين عن أن ينصر بعضهم بعضاً، أو أن يدفع بعضهم عن بعض.
- إن المسلم الصادق ليتقطع ألماً لما يلقاه إخوانه من الأذى والضيق والحرب، ثم لا نستطيع أن يقدم لهم شيئاً.
- يعتصره الألم ، وتؤلمه الحرقه ، وهو قابع في موقعه بلا حراك ، عاجز عن أن يصنع شيئاً لإخوانه.
- لقد نجح أعداؤنا في تقطيع أوصالنا ، وتكبييلنا بالمواثيق والعهود الدولية، التي تمنعنا من نصره إخواننا في الدين.
- حتى إذا تحرك أحدنا لينصر إخوانه : اتهموه بالإرهاب والإجرام ، وربما استصدروا في حقه قراراً من مجلس الأمن لحربه وإبادته .
- وأما هم فإن أرادوا أن يخالفوا ميثاقاً من المواثيق الدولية : ألحوا بذلك على مجلس الأمن، فإن طأوعهم المجلس ، وإلا صنعوا ما شاءوا ، فلغة القوة لا يحكمها شيء.
- لقد خالف أعداؤنا كثيراً من المواثيق المتفق عليها في التعامل مع المسلمين : في مبدأ شن الحروب ، ورعاية المدنيين، والمحافظة على المنشآت، وحماية الآثار التاريخية، وحسن التعامل مع الأسرى، لا يرون أنهم ملزمون بشيء من ذلك في حقنا.
- إن أعداءنا لا يمكن أن يلتزموا تجاهنا بشيء من حقوقنا حتى يكون لنا قوة يهابونها ويخشونها.
- وإن أعظم قوة يهابونها هي قوة الوحدة والاجتماع، حين تكون الأمة يداً واحدة على من سواها.
- أيها الإخوة : أي عجز أصاب الأمة الإسلامية وهي تسمع وتشاهد ما

يجري على أرض فلسطين؟!!

- إن المسلمين في فلسطين منذ سنوات يُسامون سوء العذاب، من القتل، والتدمير، والتجويع، والاعتقال، والتشريد.
- وها هم الصهاينة يتوَّجون جرائمهم بحصار قاتل على المسلمين في غزة، مع قصف مستمر بالطائرات والدبابات.
- إنهم يموتون كل لحظة موتاً جماعياً ، على يد شرذمة من شذاذ الأرض ، جُمعوا في فلسطين؛ ليكونوا شوكة في حلوقنا.
- أما من دولة من دول المواجهة مع الكيان الصهيوني تشغلهم عن المساكين والمستضعفين في غزة؟!!
- لمن يجمع العرب أسلحتهم ، إذا لم يستخدموها في مثل هذه الأيام؟! فمتى تراهم يستخدمونها؟!!
- أما من شريف يُشعلها حرباً مقدّسة على هذا الكيان البغيض الحقير، ليرى اليهودُ ومن وراءهم قوة المسلمين الحقيقية.
- لقد صمد الفلسطينيون في وجه الاحتلال ، وقدموا الكثير من أموالهم ومهجهم في سبيل الله تعالى.
- لقد صبر الرجل على هدم بيته ، وصبرت المرأة على قتل ولدها ، وصبر الشاب على الجراح والسجن والإبعاد .
- ولكن إلى متى يمكن أن يصمد هؤلاء وحدهم ، دون دعم مالي ولا سياسي ولا عسكري، ودول الكفر كلها تتعاون مع الكيان الصهيوني؟
- إن الشعوب الإسلامية تتطلع إلى عقد ميثاق شرف بين الدول الإسلامية ، يُلزمها بنصرة بعضها بعضاً، والدفاع عن بعضها البعض.
- وما لم يتخذ المسلمون التدابير اللازمة فإن عدوان المعتدين سوف يصلهم

في ديارهم وأوطانهم، وعندها لا يجدون من ينصرهم.  
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ  
يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ .

\* \* \*

- أيها الإخوة : يقول الرسول ﷺ : « ما من مسلم يخذل امرأ مسلماً في موضع  
تنتهك فيه حرمة، ويُنْتَقَص فيه من عرضه : إلا خذله الله في موطن يحبُّ  
فيه نصرته » .  
- وقال ﷺ أيضاً : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يُسلمه » ؛ يعني :  
لا يتركه لأعدائه يفتكون به .  
- اللهم إنا نجعلك في نحور أعدائنا اليهود ، ومن خلفهم من الكفار المعاندين ؛  
اللهم نجِّ المستضعفين والمساكين في فلسطين .  
- اللهم ثبت أقدامهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم يا رب العالمين .  
- اللهم اغفر لنا تقصيرنا في نصرتهم يا أرحم الراحمين .

### ٣ - حق المسلمين في الحياة الكريمة

- أيها المسلمون : تتلاحق الأحداث ، وتكثر المواقف ، وتجتمع الفتن ، ويعظم الخطب على أمة الإسلام المستضعفة .
- فأينما اتجه نظر المسلم المعاصر في هذا العالم البائس يجد المأساة في أبلغ صورها قد خيَّمت بظلالها القاتمة على جنباته .
- وتعظم المأساة وتشتدُّ وطأتها على المسلمين ، فهم أعداد بلا معنى ، ودول بلا قوة ، وشعوب بلا حرية .
- لقد تواطأ العالم الكافر على إذلالنا ، وسلب إرادتنا ، وانتهاك حرّماتنا ، ونهب خيراتنا .
- لقد اختلف أعداؤنا في كلِّ شيء ، في : عقائدهم ، وأنظمتهم السياسية ، ومبادئهم الاقتصادية، إلا أنهم اتفقوا على حربنا والسيطرة علينا .
- يتداعون من كلِّ ناحية للنيل منا ، في ديننا وأخلاقنا ، وفي معاشنا وأرزاقنا ، ليس لهم همٌّ إلا أن نبقى مستضعفين متخلفين .
- لقد كسر الوثنيون حاجز التخلف والتبعية كالصين وكوريا واليابان ، وبقينا نحن في تخلفنا قابعين في مؤخّرة الركب .
- لقد خدعنا العالم بالوعود الكاذبة ، والدعايات الفارغة ، لقد خدعنا المستشارون السياسيون ، والخبراء الاقتصاديون، فما زادونا إلا خبالاً وضياعاً .
- لقد صكّت آذاننا من الكذب الدولي ، والخداع العالمي ، فقد استمرّ العالم الكذب والغش والخداع، في عالم لا يعترف إلا بقوة البطش .
- أما يستحيي هؤلاء الزعماء الديموقراطيون من الكذب في المحافل الدولية ،

- وعبر وسائل الإعلام ؟ يكذبون ويكذبون حتى غدا الكذب ديناً لهم؟! -  
 - يتبجحون بالديموقراطية والحرية ، والحضارة والتقدمية ، وهم في الحقيقة همج تافه ، في ثوب مزخرف لامع .  
 - لقد ملأ الحقد قلوبهم ، حتى ضاقت نفوسهم بنا ، يتمنون لو تخلصوا من المسلمين فلا يبقى منهم أحد .  
 - لقد هال أعداء هذا الدين ، أن تبقى للمسلمين قائمة بعد كل هذه المحاولات من : الإبادة والحصار والاستعمار، منذ أكثر من مائة عام .  
 - إنهم لا يرون للمسلمين حقاً في الحياة ، وقد نسوا أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده .  
 - لقد جهل أعداء هذا الدين أن أمة الإسلام أمة لا تفنى ولا تزول ، وسوف تبقى غيظاً وشوكة في صدور وحلوق أعدائها .  
 - ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ .  
 - إن المسلم المعاصر ليتعجب في هذه الأيام من المناداة إلى السماع من الآخر ، والإفساح للآخر ، والتلطف بالآخر، وكأن المسلمين ما عرفوا ذلك الآخر إلا اليوم .  
 - لقد عاش الآخرون هؤلاء من اليهود والنصارى والمجوس والصابئة وغيرهم معززين مكرمين في بلاد المسلمين .  
 - لقد نال هؤلاء حقوقهم كاملة في بلاد المسلمين دهوراً متعاقبة ، حين كان الإسلام هو الذي يحكم بين الناس .  
 - لم يكن أحد يجروء على ظلم أحد من أهل الملل الأخرى في ظل الحكم



الشرعي الإسلامي.

- بل وحتى بعد أن نُحيت الشريعة - في كثير من بلاد المسلمين - لم نجد من المسلمين من يضطهد يهودياً أو نصرانياً ، أو يستبيح ماله أو عرضه.
- لقد استقرَّ في قلوب المسلمين جميعاً أنه لا يجوز ظلم أحد من الناس لأنه غير مسلم، بل إن دين المسلم يأمره بالعدل مع الحيوان، فكيف بالإنسان ؟
- ولئن كانت شرذمة من أبنائنا الضالين تعدوا على بعض الأجانب، فإنها أحداث شاذة، لا تغيّر من الحقائق الواقعية شيئاً ، فقد استنكره عموم المسلمين.

- كيف يجروُ المسلم على ظلم غير المسلم وهو يقرأ : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ﴾ ؟
- ثم كيف يجروُ على ذلك وهو يسمع قول الرسول ﷺ : « من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة ».
- وقال أيضاً : « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ».
- وقال : « ألا من ظلم معاهداً ، أو انتقصه، أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسٍ : فأنا حجيجه يوم القيامة ».
- إن المشكلة ليست من المسلمين ، ولكن المشكلة في غير المسلمين حين لا يرون لنا حقاً في الحياة الكريمة، فاسألوا التاريخ، واسألوا الواقع : ماذا فعل النصارى في إسبانيا والبوسنة والمهرسك والعراق وأفغانستان؟ وماذا فعل اليهود في فلسطين؟ وماذا فعل الشيوعيون في الاتحاد السوفياتي؟ وماذا فعل الهندوس في الهند؟ هل تركوا للمسلمين فرصة للحياة الكريمة؟ أم بغوا وتسلطوا عليهم؟

- لقد اعترف المسلمون بالآخر ، ولكن هذا الآخر لم يعترف بهم .

\* \* \*

- أيها المسلمون : لقد قضى الله لهذه الأمة المسلمة أنها لا تنهض ولا تتمكّن إلا بدينها ، حين تأخذه بقوة : عقيدة وسلوكاً .

- إن المخرج الوحيد من أزمات الأمة المتلاحقة هو في اعتصامها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

- قال الرسول ﷺ : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي » .

- وقال ﷺ أيضاً : « إنها ستكون فتنة ، قيل : فما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله » .

- فاعتصموا أيها المسلمون بكتاب ربكم ، وخذوا بسنة نبيكم ﷺ ، تفلحوا وتسعدوا .

- اللهم أحينا سعداء ، وأممتنا شهداء ، ولا تسلط علينا الأعداء ، بفضلك يا أرحم الراحمين .

## ٤ - مبشرات النصر والتمكين

- أيها المسلمون : أينما نظر المتأمل في واقع المسلمين اليوم: دخله الألم والحزن ، على أمةٍ جمعت : الفقراء والمساكين والمضطهدين والمظلومين والمحرومين.
- أينما نظر وجد المسلمين لا يكادون يُحسنون شيئاً ، لا من أمور دينهم ولا من أمور دنياهم، قد أخفقوا في كلِّ جانب، وكأنهم ما كانوا شيئاً في السابق، وكأنهم ما ازدهرت بهم الحياة يوماً، وكأنهم ما عرفوا المجد ولا التمكين ولا النصر في حياتهم قط.
- جموعهم مشتتة ، ودولهم مفككة ، وثرواتهم مبددة ، وقواهم خائرة ، وقراراتهم ضائعة، ما أفلحوا في دين ولا دنيا.
- إن هذا الواقع المؤلم ليدعو المسلم المعاصر إلى اليأس والقنوط والتشاؤم ، أيكون بعد هذا الذلِّ عِزٌّ؟ أيكون بعد هذا الضياع رشداً، أيكون بعد هذه الفرقة وحدة؟ أيكون بعد هذا الظلام فجر؟
- لقد أدبنا ديننا أن لا نياس ولا نتشاءم ، ولا نقنط ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَيَاسُوهَا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْئُتُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .
- وقال على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنُطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ .
- ولما سُئل الرسول ﷺ عن الكبائر قال: « الشرك بالله والإياس من روح الله، والقنوط من رحمة الله ».
- وكان الرسول ﷺ يحبُّ الفأل الحسن ، ويكره التطيُّر والتشاؤم في جميع

- أحواله مهما كانت صعبة وقاسية، وهذا كان واضحاً في نهجه وسيرته.
- كيف ييأس المسلم والله تعالى يقول : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ .
- ويقول أيضاً : ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .
- ويقول أيضاً : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .
- ويقول أيضاً : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِبُونَ ﴾ .
- ويقول أيضاً : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلِينَ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلِينَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .
- ويقول أيضاً : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَهْمِلُهُمْ رُويدًا ﴾ .
- ويقول الرسول ﷺ : « بشر هذه الأمة بالتيسير والسناء والرفعة بالدين والتمكين في البلاد والنصر » .
- ويقول ﷺ أيضاً : « إن أمتي مثل المطر ، لا يُدرى أولُهُ خير أم آخره » .
- ويقول ﷺ أيضاً : « لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة » .
- ويقول ﷺ : « إن الله زوى لي الأرض - يعني جمعها - فرأيت مشارقتها

- ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما رُوي لي منها» .
- ويقول ﷺ : « ليلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، لا يترك الله بيت مدر - يعني حجر - ولا وبر - يعني بيوت الشعر - إلا أدخله هذا الدين ، بعزٌ عزيز أو بذل ذليل ، عزاً يُعزُّ الله به الإسلام ، وذلاً يُذل به الكفر » .
- أيها المسلمون : هذا هو الوعد الحق ، هذا وعد الله ووعد رسوله ﷺ للمؤمنين من أهل الحق ، من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .
- وهذا تاريخ البشرية شاهد على صدق وعد الله ووعد رسوله ﷺ ؛ ألم ينتصر لنوح ، وصالح ، وإبراهيم عليهم السلام ؟ ألم يهلك ثمود وعاداً والفراعنة ؟
- ألم ينصر رسوله محمداً ﷺ ومن معه ؟ ألم ينصر المسلمين على التتار ، والصليبيين ، والمستعمرين ، والشيعيين من الاتحاد السوفياتي في أفغانستان ؟
- من كان يظن أن الاتحاد السوفيتي يزول ، ويصبح ذكرى في مزبلة التاريخ؟! وهو مصير دول الكفر المعاندة ، التي تنتظر دورها إلى مزبلة التاريخ ، ولن يبقى إلا ما كان لله تعالى وحده .
- ولكن هذا الوعد من الله تعالى مرهون بالصدق مع الله والثبات على الدين : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ .

\*\*\*

- أيها الإخوة : إن اليأس والتشاؤم والقنوط ليس من خلق المسلم، مهما كانت ظروف الحياة قاسية ومؤلمة .
- إن الأمل والفأل الحسن ووعود الله تعالى وبشرى رسوله ﷺ هي سلوى المسلمين اليوم، وراحة بالهم في زمن كثر فيه اليائسون والمتشائمون.
- لقد وعدنا بالفتوح العظيمة في أوروبا في مستقبل الحياة، ووعدنا بالمهدي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ووعدنا بعيسى عليه السلام، يكسر الصليب، ويضع الجزية، ويهلك الله جميع الملل في زمنه إلا الإسلام، وتكثر الخيرات والبركات، وتخرج الأرض كنوزها.
- كل ذلك آتٍ في وقته بإذن الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .
- وقال الرسول ﷺ: « والله لِيُتَمَنَّ الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون» .

## ٥ - حب الوطن

- أيها المسلمون : لقد فُطِرَ الإنسان على التعلُّق بالأرض ، والخلود إليها ، ولا سيما الأرض التي وُلد ونشأ وتربى فيها.
- فللإنسان ارتباط خاص بالموطن الذي عاش فيه ، يأنس بجوّه ، ومائه ، وشجره ، وترابه .
- وللإنسان في موطنه ارتباطاته الاجتماعية من : القرابات والأرحام والجيران والأصدقاء .
- إضافة إلى ما يربط الإنسان بموطنه من : الأموال والمساكن والمزارع والتجارات .
- فكل هذه الروابط تجذب الإنسان إلى موطنه ، وتربطه ببلاده ، وتحقق له حاجته إلى الشعور بالانتماء الاجتماعي .
- ولهذا يشتد على الإنسان ابتعاده عن وطنه ، ويصعب عليه انتزاعه من أرضه ، أو ترحيله من موطنه الذي نشأ فيه .
- بل وحتى السفر الذي يقوم به الإنسان باختياره ؛ فإنه يشعر معه بألم الفراق ، وقسوة الغربة حتى يعود إلى وطنه .
- ولهذا وصف الرسول ﷺ السفر بأنه قطعة من العذاب ، وأمر المسافر أن يبادر بالعودة إلى وطنه ولا يتأخر .
- وكان النبي ﷺ إذا خرج إلى سفر لا يطيل البقاء ، فإذا عاد إلى المدينة ورأى معالمها أسرع بدابته شوقاً إليها .
- أيها الإخوة : إن حبَّ الأوطان أمر فطري في النفس الإنسانية ، يعرفه كلُّ من عاش فطرته الطبيعية .

- ولا يكره وطنه إلا الشاذ من الناس ، ممن تنكَّب الفطرة السوية ، ولم يعرف الحبُّ إلى قلبه سبيلاً.
- لقد هاجر الرسول ﷺ وأصحابه من مكة وهي أحب أرض الله إليهم ، ثم جاءوا بعد ذلك غازين لها ، ومحاربين للمعاندین من أهلها ، وهي مع ذلك من أحب البلاد إليهم.
- لقد كانت مكة بعد الهجرة وقبل الفتح دار كفر لا يجوز المقام فيها، فخرج المهاجرون منها طاعةً لله تعالى وهم يحبونها.
- فلم يقف حبُّ الوطن دون قيام الصحابة بالهجرة من مكة إلى المدينة، تنفيذاً لأمر الله ورسوله ﷺ.
- فحب الوطن قضية فطرية لا ينفك عنها الإنسان، وتنفيذ أمر الله قضية لا بد منها طاعة لله تعالى.
- أيها المسلمون : إن الاستقرار في الأوطان ، والتمتع بخيرات البلاد من أعظم النعم التي تستحق الشكر لله.
- ولكم أن تتخيلوا المبعدين عن أوطانهم ، المطرودين عن بلادهم ، المشرَّدين عن ديارهم: كيف تكون أحوالهم؟
- إن من أشد ما يلقاه الإنسان : الحرمان من الوطن ، وانقطاع انتمائه إلى بلده الأصلي ، فلا يعرف له موطناً ينتمي إليه.
- ولقد عانى المسلمون في هذا العصر أشد ما عانته الشعوب الأخرى من: الطرد والتشريد والتهجير من الأوطان.
- فمنذ مائة عام وأعمال التهجير والطرد تمارس على فئات المسلمين في: روسيا والصين والهند وبورما وأوروبا الشرقية وأفريقيا.
- ولعل من أشدها ما يلقاه الفلسطينيون من مصادرة المزارع والدور ، والطرد



من القرى والمدن.

- كم هو شديد على النفس أن يُنزع الرجل من بيته ومزرعته ويُلقى في الشارع في خيمة ، ثم يُؤتى بيهودي مشرّد يزرع في بيته، ويملك مزرعته.
- إن بيع الأوطان صعب على أهل الذمم والشرف ، إنه يستهين بروحه تخرج ولا يُنزع من بيته وأرضه.
- إن أزمة الحرمان من الأوطان والتشرد في البلاد لا يعرفها على حقيقتها إلا من عاش آلامها ، وقاسى أحزانها.
- اللهم ألهمنا شكر نعمتك التي أنعمت علينا بها ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا ، يا أرحم الراحمين.

\* \* \*

- أيها الإخوة : لما كانت الأوطان غاليةً على أهلها : وجب السعي في المحافظة عليها ورعايتها وتثبيت أركانها.
- ولا يشك مسلم أياً كانت ثقافته : أن صلاح الأوطان وسلامتها لا تتحقق إلا في طاعة الله تعالى ومرضاته.
- ومن ظنّ أن سعادة الأوطان واستقرارها وازدهارها تتحقق في غير رضا الله فهو إما جاهل أو منافق.
- إن أعظم مظاهر سعادة البلاد في صلاح أهلها واستقامتهم واتفاقهم، وإن تعاسة البلاد في فساد أهلها وتفرقهم وتشردمهم.
- إن الإنسان الصالح في نفسه المصلح لغيره هو أعظم ثروة للوطن ، أغلى من مناجم الذهب ، وآبار البترول ، ومناجم الماء.
- لقد ربط الله بين نعمه التي ينزلها على عباده وبين صلاح الناس

- واستقامتهم، فبقدر صلاحهم يفتح عليهم ويعطيهم.
- كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ .
- إن النعمة كلُّ النعمة في فساد الناس ، ومجاهرتهم بالفسق في شوارعهم وأنديتهم ووسائل إعلامهم.
- أيها الإخوة : إن المسلم الصالح هو المستقيم في نفسه ، الساعي في صلاح أهله وولده ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.
- يعطي الحقوق إلى أهلها ، ويجب الخير للناس ، وينصح لولاة أمره ، يصدقهم ولا يكذبهم ، ويتلطف بهم ولا يداهنهم.
- هذا هو الإنسان والمواطن الصالح الذي تنعم البلاد به ، وتزدهر الحياة بأمثاله .
- اللهم أسعدنا بطاعتك ، وبارك لنا في أرزاقنا، وحقق أمننا وأماننا يا رب العالمين.

## ٦ - حبُّ الرئاسة والقيادة

- أيها المسلمون : تمتلئ النفسُ البشرية بالشوائب الموحشة ، والشهوات المهلكة ، والنواقص المخجلة ، ولا ينجو من ذلك إلا القليل .
- أمراض فتاكة ، وضلالات مظلمة ، وشبهات محيرة : تملأ النفس البشرية ، حتى تفسدها ، وتردّها وترديها .
- ولهذا جاءت الشريعة الإسلامية بأحكامها وآدابها لتهدّب النفس الإنسانية ، وتخلّصها من أمراضها وشوائبها .
- فكم هم المرضى الذين أصلحهم هذا الدين وهدّبهم ، وارتقى بهم من دركات الانحطاط، إلى درجات العلو والسمو؟!
- وكم هم الهلكى الذين أنقذهم هذا الدين ، ورفع مقامهم بعد سقوط ، وأعلى من شأنهم بعد هبوط؟!
- ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا... ﴾ .
- أيها الإخوة : إن من أعظم الشهوات التي تفسد النفس ، وتطفئ نور العقل، وتُضللُ السلوك : حبُّ الرئاسة والتعلق بها .
- حتى إنك لترى الرجل السوي في سلوكه وخلقه : ما أن ينال رئاسة ، أو يجوزَ منصباً حتى يتحوّل إلى شخص آخر .
- فقد يتحوّل من صالح إلى فاسد ، ومن تقيٍّ إلى شقيٍّ ، ومن صديق إلى عدو ، لقد فعل فيه المنصب فعله .
- إن للرئاسة بريقها الفاتن، وحلاوتها السامة، ولذتها المهلكة، يُفتن بها السفهاء من ضعفاء القلوب .

- حتى إن أحدهم ليشعر بنشوة الرئاسة ولدَّتتها ، كما يشعر المخمور بلذة الخمر ونشوتها.
- وقد قيل : « إن للرئاسة سكرةً كسكرة الخمر » ، يعني : أن المنصبَ يفعل فعله في المتعلِّق به كفعل الخمر بشاربها.
- وما من أحد نالَ منصباً ، وترأس على الناس : إلا دخل عليه النقص في دينه وخلقه ، بقدر تعلُّقه بهذا المنصب ، وحبِّه إيَّاه.
- فتراه في إدارته منصبه لا يبصر من المصالح إلا ما يُؤيِّد بقاءه في منصبه ، ويعزز موقعه في إدارته، ويدعم نجاحه في عمله.
- حتى وإن رافق ذلك كذب وغش وتزوير ، وربما ظلمَ الموظفين عنده والعمال ، فهو لا يرى لأحد حقاً إلا لولي نعمته ، الذي بيده قرار بقاءه أو ذهابه.
- فتراه مع رئيسه الذي أتى به إلى هذا المنصب : في غاية الدُّل والسكون والخشوع ، لا يرفض له طلباً ، ولا يخالفه في رأي.
- لا يُبالي بالأمر في حلال أو في حرام ، في حق أو في باطل ، ما دام أنه صادر عن ولي نعمته، الذي كان سبباً في ترؤُّسه وبقائه في منصبه.
- وهذه صورة عامة غالبية في إدارات العمل ، لم ينجُ منها إلا شخصان : شخص تقي صالح يخاف الله تعالى، يمنعه دينه عن النفاق والظلم، وشخص آخر مستغنٍ عن العمل ، لا يبالي برضا رؤسائه ، وغير ذلك قليل نادر، لا يكاد يُوجد.
- أيها الإخوة : إن الناس لا يمكن أن يعملوا في المجتمع بغير قيادات تقودهم ، وإدارات تجمعهم.
- فأمر الله تعالى القادة الإداريين بالعدل والرفق والجد ، وأمر العمال بالطاعة

- في المعروف، والقيام بواجب العمل.
- فهذا هو عقد الشراكة الذي أمر الله به بين الرئيس والمرؤوس ، الكل يؤدي ما أوجهه الله تعالى عليه، فالكل تحت سلطان الله تعالى.
- وما أذن الله لرئيس - أياً كان - أن ينفرد برأيه فيفعل ما يشاء، حتى الأنبياء عليهم السلام ؛ إنما ينطلقون من أمر الله تعالى.
- فهذا نبي الله داود عليه السلام يقول الله تعالى له : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ .
- ويقول الرسول ﷺ : « إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه ، أحفظ ذلك أم ضيعه، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » .
- ويقول ﷺ : « ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك ، إلا أتى الله مغلولاً يده إلى عنقه، فكفه بره، أو أوثقه إثمه » .
- ويقول الرسول ﷺ في تولية غير الأكفاء: « من استعمل رجلاً من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه : فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » .
- وكان الرسول ﷺ حريصاً أن لا يولي شيئاً من شؤون المسلمين للحريصين على الولاية وكان يقول: « إنا والله لا نوّلي هذا العمل أحداً سألته، ولا أحداً حرص عليه؛ لأن الحريص على الولاية إنما جاء ليحقق مصلحة نفسه، وليُشبع شهوته من الرئاسة والقيادة.
- اللهم ولّ علينا خيارنا ، واكفنا - يا ربنا - شر أشرارنا.

\* \* \*

- أيها الإخوة : إن الرئاسات - الصغيرة والكبيرة - نوع من البلاء والفتنة ،  
يختبر الله بها الناس ، ينظر إلى أحدهم : أيعدل أم يظلم؟
- وإن الظالم حين يظلم في سلطانه ، إنما هي غفلة - غفلها عن الله تعالى ،  
ومكرٌ مكر الله به ، حتى ينتقم منه .
- ولهذا كان غالب السلف يتجنبون الرئاسات بأنواعها ، وإن كان غالبهم  
أهلاً لها ، وما ذلك إلا لخوف التقصير والخطأ والفتنة .
- حتى إن بعضهم ضُرب وسُجن على أن يتولى القضاء فأبى واختار السجن  
والضرب على الولاية .
- فأين هؤلاء الأتقياء النجباء من الحريصين على الرئاسات من أهل زماننا ؟
- ما يكاد أحدهم يتولى منصباً حتى تنهال عليه برقيات وخطابات التهئة  
بالمنصب ، ولو صدقوا في حبهم له لكانت تعزيتة بالمنصب أولى من تهنته  
به .
- والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

## حادى عشر : التربة الدعوىة:

- ١ - لماذا ىنصرف الحائرون عن الإسلام ؟
- ٢ - حقوق الإنسان فى الإسلام .
- ٣ - حاجة الحضارة الغربية إلى الدعوة الإسلامية .
- ٤ - الحرب الخاسرة على القرآن الكرىم .
- ٥ - أين عقلاء الغرب من سفهائهم ؟
- ٦ - الردُّ على سفهاء الغرب فى طعنهم على خىر الخلق .
- ٧ - فرىضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعقوبة تركها .
- ٨ - قصة أصحاب الكهف وما فىها من عبَر .





## ١ - لماذا ينصرف الحائرون عن الإسلام؟

- أيها المسلمون : إن الناظر المتأمل في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ يجد أن الأخلاق تأتي مباشرة بعد العقيدة في المكانة والمنزلة.
- بل إن الأخلاق لتمتزج بالعقيدة حتى وكأنها جزء منها ، لا تنفك عنها، وكأنهما وجهان لعملة واحدة.
- كم دلَّ حُسْنُ الخُلُقِ ، واستقامة السلوك : على سلامة الطوية ، وحسن المعتقد؟!!
- وكم استدل الحائرون على صحة دين الإسلام بحسن خلق أهله، وكريم معشر دعائه، فأسلموا وآمنوا؟!!
- وكم صدَّ سوء الخلق من الحائرين ، فلم يجدوا في سلوك المسلمين - للأسف - ما يدفعهم للإسلام والإيمان؟!!
- ماذا يريد الحائر من دين ينادي أهله بالحق والعدل والخير، ثم هم بعد ذلك يأكل بعضهم بعضاً، ويقتل بعضهم بعضاً؟!!
- كيف يهتدي الحائر إلى دين ينادي أهله بالتوحيد الخالص ، ثم هم بعد ذلك يعكفون على القبور والأضرحة، يدعون أهلها من دون الله؟!!
- كيف يقبل الحائر ديناً يزعم أهله وجوب العمل بالكتاب والسنة، ثم هم بعد ذلك قد أعرضوا عنهما إلى قوانين الحائرين وأنظمتهم؟!!
- كيف يقبل الحائر ديناً يتقرب أهله إلى الله في أعيادهم بخمش وجوههم، وضرب صدورهم، وإسالة دمائهم؟!!
- إن الحائرين من كفار هذا الزمان في حاجة إلى دين يشعرون في كنفه بسلامة ضمائرهم، وراحة قلوبهم.

- إنهم في حاجة مُلِحَّةٍ إلى دين ينزّه الخالق العظيم عن نواقص المخلوقين وسقطاتهم وعيوبهم.
- إن التوحيد الخالص ، المنزّه عن الشرك ، هو أعظم باب يلج منه الحائرون إلى دين الإسلام، يشعرون فيه بسكون النفس ، وراحة القلب.
- ثم يأتي بعده باب الأخلاق الفاضلة ، يفتح للحائرين منافذ جديدةً، وساحاتٍ رحبةً، من السلم والسلام المحلي والعالمي.
- لقد ملّ الكفار أديانهم ، وأخذوا يتطلعون إلى الدين الحق، أين يجدونه ؟ لقد ملّوا ما هم فيه من الباطل والزيف.
- لقد ملّ النصارى أجراس كنائسهم ، وملّ الوثنيون أصنامهم ، وملّ المجوس نيرانهم ، وملّ الهندوس أبقارهم فأين يذهبون؟
- إنهم إن لم يجدوا الدين الحق في الإسلام ، فإنهم كثيراً ما يتوجّهون إلى الإلحاد، وإنكار الأديان كلّها.
- فماذا عند المسلمين المعاصرين يقدمونه لهؤلاء الحائرين؟ ما الذي نُحْسِنُهُ فنُقَدِّمُهُ إليهم؟
- إنهم يتطلّعون إلى جديد عندنا ، يختلف تماماً عمّا عندهم ، يتطلّعون إلى خلاصهم من حيرة العقول، وضيق النفوس، وعذاب القلوب.
- إنهم لا تستهويهم مدننا الحضارية ، ولا منشآتنا الشاهقة ، ولا جسورنا الممدودة، ولا شوارعنا العريضة.
- إنهم لا يهتمون بإنجازاتنا العلمية، ولا بأبحاثنا الميدانية ، ولا يُلقون اهتماماً لأرائنا الشخصية.
- إنهم لا يثيرهم مُلِحُّنا البارِع ، ولا مطرَبُّنا المتفوق ، ولا ممثَلُّنا الفاتنة، ولا حتى لاعِبُّنا الماهر.

- لقد تجاوزنا هؤلاء الحائرون في كل هذا ، فلن نجاريهم في ميادين تفوقهم ،  
فإننا لن نُقدِّم لهم فيها جديداً.
- وإنما الجديد الذي يمكن أن نقدِّمه للحائرين، ونتفوقَ عليهم فيه، إنما هما  
العقيدة والأخلاق ، اللتان يفتقدانهما.
- إنهما الجيش الذي لا يُقهر ، والجند الذي لا يُهزم ، كم فتحنا بهما  
الحصون، وتجاوزنا بهما الخطوب؟!!
- لقد دخل الناس في دين الله أفواجاً ، حينما رأوا العقيدة ترتفع بالنفوس،  
ورأوا الأخلاق تسمو بالسلوك.
- لقد استهوتهم إشراقه الإيمان على وجوه المسلمين ، وأسرههم كريمُ الخلق  
في سلوكهم وتعاملهم.
- لقد أثارهم الصدق والأمانة والإخلاصُ في تعامل المسلمين ، فلا غش ولا  
خداع ولا انتهازية.
- لقد أعجبهم في سلوك المسلمين العفة، وارتفاعهم عن الدنيا، وبعدهم عن  
سفاسيف الأخلاق.
- لقد أذهلهم ثباتُ أخلاق المسلمين ، في السراء والضراء ، وفي المنشط  
والمكره، لا يحدون ولا ينكثون.
- لما أسرت قريش خُبَيْبَ بنَ عَدِي الأنصاري رضي الله عنه ، سجنته في بيت  
أبناء الحارث بن عامر ، فلما عزموا على قتله طلب من إحدى بنات  
الحارث شفرة يستحذُّ بها ؛ ليستعدَّ للقاء ربه ، فأرسلت إليه بها، فإذا بـغلام  
صغير لها يتسلَّل إلى خُبَيْب وهي غافلة عنه ، فما هي إلا ثوان حتى رأت  
المرأة الطفل على فخذ خبيب ، فدُهشت وذهلت، وقالت في نفسها : لقد  
أدرك الرجل ثأره ، فلمَّا أحسَّ خبيبٌ بفزعها وذهولها، قال لها بكل

اطمئنان: « أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك».

- فما هي إلا فترة قصيرة حتى أسلمت هذه المرأة وقالت: « والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل قِطْفاً من عنبٍ في يده، وإنه لموثقٌ بالحديد، وما بمكة من ثمرة، إنه لرزق رزقه الله خبيباً».
- أيها الإخوة: إنها أخلاق الإسلام ، حين امتزجت بالعقيدة والإيمان فأثمرت سلوكاً أشبه بالخيال .

\* \* \*

- أيها الإخوة : لا يشك عاقلٌ أن المسلمين اليوم يعيشون في ذهول عن شخصيتهم الحقيقية، ويلبسون ثوباً لا يليق بهم.
- إنهم يحيون تيهاً حضارياً ، لم يُتقنوا فيه شيئاً ذا بال، وإنما هو التقليد السلبي الذي لا يبني شيئاً.
- إنهم يتعرّضون في واقعهم المعاصر إلى ثورة عارمة عنيفة على عقيدتهم وأخلاقهم، لا يعرفون كيف يصدونها ، ويحافظون على أنفسهم.
- فمنهم من انهزم أمام هذه الثورة الأخلاقية الباطلة فغرق فيها ، ولم يبق معه من دينه إلا الأسماء.
- ومنهم من صمد أمامها ، واعتصم بدينه ، يقبض عليه قبضه على الجمر، ينتظر الفرج من ربه ، والخلاص منه سبحانه.
- ومنهم بين بين ، يسقط تارة ، ويُفيق تارة ، تتنازعه الشهوات والشبهات من جهة، وواعظ الإيمان والضمير من جهة أخرى.
- إن المسلمين اليوم في حاجة إلى ثورة أخلاقية مضادة ، تقابل الثورة الأخلاقية الفاسدة وتصادمها.

- إنها ثورة تنبع من داخل النفس ، فتغير ما فيها ، حتى ترى الحق حقاً فتعمل به ، وترى الباطل باطلاً فتجتنبه.
- إنها سنة الله في التغيير ، من الشر إلى الخير ، من الذل إلى العز ، ومن الغفلة إلى اليقظة.
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا نُّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَّالٍ ﴾.

## ٢ - حقوق الإنسان في الإسلام

- أيها المسلمون : تتنادى كثير من المؤسسات الغربية بما يُسمى : حقوق الإنسان ، وتتخذ منها وسائل للضغط على الدول .
- ومنذ أكثر من خمسين عاماً والغرب يضع وثائق في حقوق الإنسان ، يطورها وينقحها ويفعلها .
- وقد سبقهم رسول الله ﷺ بوضع أول وثيقة للحقوق ، مكونة من سبعة وأربعين بنداً ، تنظم حياة المسلمين فيما بينهم ومع غيرهم .
- إن نظام توزيع الحقوق في التصور الإسلامي يتضمن أربعة حقوق :
- الأول : حق الله تعالى : بضرورة عبادته والأخذ بشريعته ، وهذا الحق الرباني تنكرت له وثائق حقوق الإنسان الغربية .
- الثاني : حق للإنسان تجاه نفسه : بحفظها والتمتع بالطيبات ونحوها ، وهذا الحق توسع فيه الغرب إلى أبعد حدٍّ ممكن .
- الثالث : حق الإنسان تجاه أخيه الإنسان : بحفظ حقوقه وحسن معاملته ، وهذا توسع فيه الغرب إلى حدٍّ ما .
- الرابع : حق البيئة : بحفظها وتنميتها وتسخيرها ، وهذا قد فرط فيه الغرب كأشع ما يكون ، رغم كذبهم في المحافظة عليها .
- أيها المسلمون : إن نظام الحقوق في الإسلام له مميزات يتفرد بها عن نظم الحقوق في المواثيق الغربية وهي :
- الربانية : بمعنى أنها حقوق منزلة من عند الله تعالى ، ملزمة للناس جميعاً .
- الثبات : فلا يطرأ عليها التغيير ولا التبديل ، تستمد ثباتها من علم الله تعالى بالمستقبل ، وما يُصلح الإنسان في دينه ودنياه .

- العدالة : فهي تستمد عدالتها من العدل الإلهي ، الذي حرم الظلم على نفسه ، وجعله محرماً بين الناس .
- الكمال : أي لا نقص فيها ، قد شملت كلياتها كل الجزئيات والمستجدات إلى قيام الساعة .
- أيها المسلمون : لعل في استعراض بعض هذه الحقوق التي أقرها نظام الإسلام : إظهاراً للصورة الحقيقية التي عليها هذا الدين في نظام حقوق الإنسان .
- في حق الإنسان في الكرامة : يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ .
- في حقه في العدل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ .
- يقول الرسول ﷺ : « لتؤدَّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء » .
- في حقه في الحياة : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ .
- ويقول الرسول ﷺ : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام » .
- في حقه في حرية الاعتقاد : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ .
- ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ .
- في حقه في المساواة : « لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى » .
- « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .
- « كلكم لآدم وآدم من تراب » .

- في حقه في الملكية : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ .
- ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ .
- في حق العامل على الدولة : « من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجة ، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادماً، فإن لم يكن له سكن فليكتسب مسكناً » .
- في حق الفقير على الدولة : « أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك ديناً أو ضيعة فعلياً » .
- في حق الإنسان في السفر والتنقل : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ .
- في حقه في اللجوء السياسي : ﴿ وَإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ .
- « أَجْرْنَا مِن أَجْرَتِ يَا أُمَّ هَانِيءَ » .
- في حق الإنسان في الخطأ : « إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكروها عليه » .
- في حق المرأة : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ .
- ويقول الرسول ﷺ : « لا تزوج اليكر حتى تستأذن، ولا تزوج الشيب حتى تستأمر » .
- ويقول : « أُمَّكَ ، ثم أُمَّكَ ، ثم أُمَّكَ ، ثم أُمَّكَ ، ثم أباك » .
- في حق الطفل : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ .



- في حق الذمي : « ألا من ظلم معاهداً ، أو انتقصه ، أو كلّفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس : فأنا حجيجهُ يوم القيامة » .
- أيها المسلمون : ماذا يريد دعاة حقوق الإنسان في الغرب بعد هذه النصوص الشرعية الملزمة للمسلمين اعتقاداً وعملاً ؟ .
- إنها الدستور الحق للحياة الكريمة العزيزة، ولكن أين المجتمع الإسلامي الذي يعبر عن هذه الحقوق بصورة صحيحة ، ويطبقها في واقع الحياة لتكون أنموذجاً لطلاب الحق في هذا العالم التائه الحائر ؟



- أيها المسلمون : لقد حقّق الغربيون شوطاً كبيراً في تطبيق كثير من الحقوق التي نادوا بها ، وسبقوا المسلمين المعاصرين في هذا الميدان .
- لكنهم مع هذا أغفلوا حقوقاً كثيرة : حق الوالدين ، حق الرحم والقربان ، حقوق الشعوب الأخرى في الحياة ، لاسيما الشعوب التي تعيش في العالم الثالث .
- وأعظم شيء أغفلوه هو حق الله تعالى في التوحيد والعبادة والشريعة، فلا يصلح أن يكون الغربيون أنموذجاً لتطبيق حقوق الإنسان .
- إن نظام الإسلام في مسألة الحقوق لا ينطلق في تحقيقها من خلال دفع الناس للمطالبة بها ، بل إنه يدفع الناس ويُلزمهم بالقيام بواجباتهم تجاه بعضهم بعضاً، فإذا قام كل فرد في المجتمع بواجباته : تحقق للآخرين حقوقهم ، وهذا الأسلوب أنجح في تحقيق المقصود من أن يطالب الكل بحقه، و ينتظر من الآخرين أن يقوم بحقوقه ، قبل أن يقوم هو تجاههم بواجباته .

### ٣ - حاجة الحضارة الغربية إلى الدعوة الإسلامية

- أيها المسلمون : لا ينكر أحدٌ من المعاصرين الإنجازات الحضارية المادية التي أحرزها عالم الغرب من خلال تطبيقات العلوم الطبيعية.
- فإنجازاته شاهدة في عالم : الاتصالات ، والمواصلات ، والطب ، والهندسة ، وأنواع الصناعات، وغزو الفضاء ونحوها من الإنجازات الحضارية المادية.
- ولكنه مقابل هذه الإنجازات الحضارية قدّم للإنسانية المعاصرة: الضلال العقائدي، والفساد الخلقي، والتفكك الأسري ونحوها من المآسي الإنسانية الكثيرة.
- وقدّم بجانب ذلك أسباب الهلاك والدمار ، من أسلحة الدمار والهلاك الشامل ، مما يندر بخطر عظيم وهلاك عام.
- ومنذ أكثر من مائة عام تقريباً وعالم الغرب يترأس الحياة الإنسانية، ويزعم أنه يسوقها نحو الخير والسلام والسعادة، والواقع يشهد أنه لم يتحقق من ذلك شيء.
- ولما بدأ العالم المستضعف يتململ من نفوذ الغرب وتسلُّطه، ويسعى نحو حريته وسعادته بعد إخفاق الغرب في تحقيق وعوده بالسعادة والرفي والهناء : كَشَّرَ الغرب عن أنيابه، وأخذ يؤدّب مخالفه الخارجين عن سلطته بالقوة العسكرية، فقد شهد العالم في السنوات الأخيرة حروباً تأديبية لمخالفه سياسة الغرب.
- ولا شك أن استخدام القوة العسكرية مع المخالفين دليل الضعف والإفلاس من منطق الحجّة العلمية والبيانية ، وإخفاق الدبلوماسية الدولية.

- إن التفوق العسكري عند الغربيين لا يؤهلهم للقيادة الروحية والأخلاقية للعالم، فهم أحقرُ بكثير من أن يقودوا الناس إلى فضيلة.
- كيف يمكن للغربيين أن يقودوا الناس إلى فضيلة عقائدية أو أخلاقية وهم أفقر الناس في الفضائل والأخلاق؟
- لقد أثبت الواقع أن الغرب لا يملك أن يقدم للبشرية إلا ما تنتجه مصانعه من : الآلات والملابس والأطعمة والأسلحة، أما الإيمان وأما الأخلاق : فإن أعظم شخصية في الغرب تفتقر في معرفة العقيدة الصحيحة إلى أبسط شخصية في الشرق الإسلامي.
- إن الأميَّ المسلم الذي يحمل في قلبه لا إله إلا الله محمد رسول الله : يحتاج إليه عالم الغرب كله بشعوبه وجيوشه وقياداته؛ ليخرج من الظلمات إلى النور.
- إن الطمأنينة والسعادة والإيمان لا يمكن أن تكون نتاج آلة في مصنع ، أو أرقام في بنك، أو تسلُّط عسكري، وإنما السعادة والاستقرار وراحة البال هي نتاج هذا الدين، وهذا الدين فقط دون غيره من الأديان الأخرى الباطلة : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ .
- لقد حجب الله السعادة والاستقرار عن البشرية إلا عن طريق هذا الدين وحده : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ .
- وها هو عالم الغرب اليوم يعيش هذا الضنك في صور من الشقاء والضيق، الذي يدفع كثيراً منهم إلى الانتحار ، رغم مجبوحه العيش التي يجيئونها.
- أيها المسلمون : إن المشكلة لا تكمن في افتقار هؤلاء إلى الإيمان ، وإنما تكمن في واقع المسلمين المؤلم ، وفي تقاعسهم عن الدعوة إلى الله تعالى.
- لا توجد اليوم أمة من الأمم تحمل الحق إلا أمة الإسلام، إلا أن واقعهم

- يصدُّ الناس عن الإسلام، فيذهب طلاب الهدى، الباحثون عن النور إلى الهند ونحوها ، يبحثون عن الخلاص.
- أيها المسلمون : إن الاستقامة على هذا الدين ، والدعوة إليه : ليست اختياراً تختاره لأنفسنا ؛ وإنما هو تكليف رباني : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ .
- ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ .
- ثم إن النبوة ختمت ببعثة محمد ﷺ ، فليس بعده نبي، فانتقلت مهمة الدعوة إلى أمته من بعده.
- وهذه الأمة الإسلامية لم تُخرج لتعيش لنفسها وإنما أُخرجت للناس ؛ لتكون أنموذجاً لهم ، وقدوة للسالكين ، وشاهدة على الجميع : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ .
- فكيف تصح شهادة الأمة وهي غائبة عن معترك الحياة المعاصرة والدعوة إلى الله؛ فإن الشهادة لا تكون إلا من حاضر شاهد.
- أيها الإخوة المسلمون : لقد تحدّث القرآن الكريم حديثاً طويلاً عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وقد تضمن هذا الحديث رسائل ونداءات من المولى عز وجل لأهل الكتاب في اثني عشر موضعاً بصيغة : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ ، فهل بلغت الأمة هذه الرسائل لأهل الكتاب؟

\* \* \*

- أيها المسلمون : ولئن كانت الدعوة إلى الله فرضاً على المسلمين : فقد رثب عليها المولى عز وجل الأجر العظيم، فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

- وقال رسول الله ﷺ : « لأن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ » ، يعني : أفضل وأحسن الأموال.
- وقال ﷺ أيضاً : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثلُ أجور من تبعه : لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ».
- وقال ﷺ أيضاً : « من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله ».
- أيها المسلمون : لقد انطلق السلف يدعون إلى الله ، يبتغون بذلك الأجر من الله ، فقد مات غالب الصحابة خارج المدينة.
- ولئن كانت الدعوة إلى الله تتطلَّب العلم ، فإن كلَّ علم صحيح مهما كان قليلاً فإنه يُؤهل صاحبه إلى تبليغه ، «بلغوا عني ولو آية».
- فهذه أم سليم رضي الله عنها ليس لها من العلم الكثير: تجادل أبا طلحة رضي الله عنه قبل إسلامه في أصنامه ، فدعته إلى الإسلام ليكون مهرها فاهتدى بها ، فكان مهرها أعظم مهر في الإسلام.
- وهذا المهندس محمد توفيق المصري ذهب إلى أوروبا في بعثة قبل سبعين عاماً ، فأخذ يدعو الناس إلى الإسلام ، وراسل مائة ألف شخصية ، فاهتدى على يديه أربعون ألفاً.
- وهذا الداعية أحمد ديدات كان مساعد بائع بجوار معهد بجنوب أفريقيا يخرج المنصرين ، وكانوا كلما مروا به استهزؤوا بالإسلام ، فدفعه ذلك للتعرف على دينه بعمق ، ثم انطلق في الدعوة بعد ذلك ، حتى ناظر أكثر من ثلاثين قسيساً فأفحمهم.

## ٤ - الحرب الخاسرة على القرآن الكريم

- أيها المسلمون : مازال الله تعالى يكلاً البشرية المستخلفة في الأرض بوحيه المبارك ، الذي أنزله على رسله الكرام، يهدي إليه من يشاء، ويضل عنه من يشاء.
- وما زالت البشرية تقابل هذه النعمة الربانية : إما بالتكذيب ، أو بالتحريف والتبديل ، إلا بقايا قليلة من أهل الحق لم يكذبوا ولم يبدّلوا.
- وبقيَ الناس خمسة قرون من الزمان بعد رفع عيسى ابن مريم عليهما السلام ، لا يهتدون إلى شيء، فالكتب محرّفة، والوحي منقطع، والضلال عام.
- فمن أراد الهدى من الناس تحبّب واحترار بين الأحرار والقساوسة والرهبان، يكفّر بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً.
- حتى إذا ضاقت الأرض بأهلها ، وبلغ الضلال منتهاه ، ويئست البشرية بما في يدها : أذن الله بالفرج من جديد.
- إنه الوحي المبارك من جديد ، إنه الروح الذي تحيا بها الأبدان، إنه النور الذي تستضيء به العقول، وتشرح به الصدور.
- إنه القرآن الكريم، ولكن هذه المرة ينزل الوحي المبارك على رجل من العرب، وليس على رجل من بني إسرائيل، إنه محمد سيد الناس، وأفضل البرية ﷺ.
- لم يكن هذا الاختيار الرباني ليروق لليهود والنصارى، الذين لم يعودوا أهلاً لحمل رسالات الله تعالى، بعد أن حرّفوا وبدّلوا.
- فبدلاً من أن يؤمنوا ، ويدعنوا لأمر الله : إذا بهم يكفرون ويعاندون، ولم

- يؤمن منهم إلا القليل ، ممن أراد الله بهم خيراً.
- بل إن جماعات من اليهود والنصارى في القديم والحديث انبرت محاولة العبث في القرآن، والرد عليه، ومحاولة تحريفه وتبديله.
- فإذا بهم يواجهون وحياً غير الوحي السابق ، وكتاباً غير الكتب السابقة، إنه كتاب يستعصي على العبث والتحريف والتغيير.
- إنه كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، إنه تنزيل من حكيم حميد، إنه المعجزة المحمدية الخالدة، إنه التحدي للبشرية كلها إلى قيام الساعة.
- لقد عجز البلغاء في زمن التفوق اللغوي أن يعارضوه ، ولو بسورة من مثله، فما بال الأعاجم ماذا تراهم يصنعون معه؟!
- حتى إذا يسس أعداء القرآن من العبث به، وتحريفه، وتبديله : عمدوا إلى محاربة المصحف في ذاته : بمنعه وتغييبه عن الناس.
- فكانت الحرب شرسة في هذا العالم على كل ما له علاقة بالقرآن : حرب على حفظته ، وعلمائه، ولغته، والسنة الشارحة له.
- حتى مرَّ زمن على بعض البلاد المعاصرة أن تضع قانوناً يعاقب من يحوز أوراقاً من المصحف بالإعدام، أو السجن المؤبد.
- فقد مرت على بعض المسلمين أوقات عصيبة ، تخفوا فيها بالقرآن ، حتى عن الزوجات والأولاد، يخافون العقاب.
- لقد عمل أعداء القرآن على إبعاده عن القوانين والتشريع ، فلا مكان له بين التشريعات والقوانين.
- وعملوا على التعمية عليه بالغناء والموسيقى والطرب، حتى لا يجد المسلم سلوته في قراءته، والتغني به.

- وعملوا على محاربة مدارسه ومعاهده ، والسعي في إغلاقها والتضييق عليها.
- لقد عمل أعداء القرآن كل ما يستطيعون لمحاربته ، ومع ذلك بقي القرآن رغماً عنهم شامخاً عالياً مقدساً ، قد استعصى على كل ذلك .
- ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .
- إن عشر معشار هذه الحروب المستمرة منذ البعثة المحمدية لو وقعت على كتاب غير القرآن لما بقي منه حرف يُحفظ فضلاً عن أن يُقرأ أو يُعلم .
- إن الأعداء بمحاربتهم القرآن إنما يحاربون الله جل جلاله ، ومن هذا الذي يطيق محاربة الله تعالى .
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ .



- أيها الإخوة : لقد استقر في نفوس المسلمين حرمة المصحف الشريف ، وضرورة تعظيمه وتقديسه ، واحترامه وإجلاله .
- فلا يمسُّ المصحف إلا مسلم طاهر ، ولا يمكِّن منه الطفل فيعبث به ، ولا يوضع في مكان منخفض بحيث يمتهن أو يوطأ .
- وحتى التلاوة فلا يتلوه الجُنُبُ ، ولا يتلفظ بآياته في المكان القذر ، بل يقرؤه على أكمل وأجمل حال .
- إن أفسق رجل من المسلمين لا يجرؤ أن ينال المصحف الشريف بسوء ، مهما بلغ فسقه وفجوره ، فتعظيم المصحف قد استقر في النفوس .



- أبعدَ هذا التعظيم لهذا الكتاب المقدّس عند أكثر من مليار مسلم يجرؤ  
ملاعين الديموقراطية الأمريكية على تدينسه وإهانته، حين يئسوا من  
مساجين مسلمين قد اعتزوا بإسلامهم، فأخذوا يعدّبونهم بإهانة المصحف  
أمامهم ؛ لما علموا من تعظيمهم له .
- إن المسلم التقي لا يجرؤ أن يُهين التوراة ولا الإنجيل رغم ما وقع فيهما من  
التحريف؛ لما يعلم من نسبتها إلى الله تعالى، فكيف بالقرآن العظيم؟!
- إن ما يتفلّت من أخبار السجون الأمريكية في « جوانتنامو » ، وما يجري  
فيها هو أمر مقصود ، إنما يُراد به إهانة المسلمين عموماً ، والعرب على  
وجه الخصوص .
- إنه الحقد الدفين ، والعداء القديم المتجدّد ، الذي ملاً القلوب المظلمة ،  
المتزينة بشعارات الديموقراطية والحرية ، ووثائق حقوق الإنسان .
- ألا لعنة الله على هذه الديموقراطية الباطلة ، ولعنة الله على الكافرين  
المعاندين المحاربين من الأمريكان والبريطانيين والمعتدين .
- اللهم سلّط عليهم ما يشغلهم في بلادهم عن بلاد المسلمين ، اللهم فرق  
جمعهم، وشتت شملهم، ورد كيدهم إلى نحورهم يا رب العالمين .
- اللهم احفظ كتابك شاخراً عالياً ، وطهّره من مسّ الكافرين والمعتدين .

## ٥ - أين عقلاء الغرب من سفهائهم ؟

- أيها المسلمون : في خضم الصراعات العنيفة والدامية في هذا العالم ، والحروب الطاحنة ، والمكائد الدولية، والنزاعات السياسية.
- فأينما اتجهت في هذا العالم البائس وجدت الصراعات ، والأزمات ، والحروب، والمجاعات، لا شيء يُسعد في هذا العالم.
- كلُّ شيء في هذا العالم يسير في غير الاتجاه الصحيح، ظلم واضطهاد وحرمان وبؤس، وطالب الحق لا يكاد يجده اليوم.
- وإن العاقل ليتساءل : أين عقلاء العالم ؟ أليس في هذا العالم عقلاء ، يقفون في وجه هذا الباطل المستحکم المستشري؟
- أليس في هذا العالم أشرف يقولون كلمة الحق في وجه الباطل المسيطر على العالم ؟
- إن أصوات الشرفاء العقلاء في هذا العالم ضعيفة ، لقد أغلقت دونهم المنابر الإعلامية، فليس لهم سوى مذكرات يُسجلونها ، ثم تبقى بعد ذلك حبيسة مكاتبهم.
- لقد ضمَّ هذا العالم المعاصر جمعاً من النبلاء العقلاء الذين يعرفون الحق ، ويقولون به، ولكن قد ضيَّق عليهم أهل الباطل، فلا تُسمع أصواتهم الخافتة.
- لقد عمل اليهود منذ زمن بعيد للسيطرة على النصارى رغم ما كان بينهم من التنافر والعداء ، حتى تمكَّنوا - في نهاية المطاف - من رقابهم ، ولاسيما في هذا العصر.
- واستطاع اليهود إقناع النصارى بعبادة الإسلام والمسلمين ، وأنه العدو

- المشترك الذي لا بد من حربه وإبادته.
- وانبرى أغبياء النصارى منذ زمن وحتى اليوم يعادون الإسلام والمسلمين ، ولا يستوعبون أنهم أدوات لخدمة اليهود.
  - وها هي الصهيونية العالمية تجنّد قواها السياسية والعسكرية لشن هجماتها على بلاد المسلمين لخدمة شرذمة من اليهود.
  - وقد تنوعت هجماتهم فمنها ما هو سياسي ، ومنها ما هو عسكري ، ومنها ما هو اقتصادي، ومنها ما هو فكري ثقافي.
  - ثم تتوّجت آخر هجماتهم بتدنيس القرآن الكريم وإهانته ، وثبوت ذلك رسمياً، مع الإصرار على عدم الاعتذار للمسلمين.
  - إن جمعاً كبيراً من المفكرين الغربيين ، ومن عقلائهم النبلاء: لا يرضون بمثل هذا من سفهائهم، ولكن من يسمع أصواتهم ، ومن يلتفت إلى أقوالهم ؟
  - لقد درس جمع كبير من الباحثين والمستشرقين الغربيين القرآن الكريم، ووقفوا على كثير من حقائقه وعجائبه.
  - ولئن كان بعض الباحثين الغربيين قد كتم الحق ، فإن جمعاً منهم قد صرّح بالحق ، وأعلن علو القرآن وسلامته وكماله.
  - فهذا العالم الفرنسي المعاصر الطبيب موريس بوكاي ، الذي درس التوراة والإنجيل والقرآن ، في ضوء معطيات العلم الحديث.
  - وخلص من بحثه الطويل ليقول : «القرآن لا يحوي أيّة مقولةٍ قابلةٍ للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث».
  - ويقول العسكري الفرنسي الباحث دي كاستري : « لو لم يكن في القرآن غير بهاء معانيه، وجمال مبانيه: لكفى بذلك أن يستولي على الأفكار، ويأخذ بمجامع القلوب ».

- ويقول المستشرق الفرنسي بلاشير بعد دراسة طويلة للعربية والقرآن : « إن القرآن ليس معجزةً بمحتواه وتعاليمه فقط، إنه أيضاً وقبل كل شيء تحفة أدبية رائعة ، تسمو على جميع ما قرأته الإنسانية ، وبجلته من التحف ».
- وتقول لورا فاغليري الباحثة الإيطالية المعاصرة : « لا يزال لدينا برهان على مصدر القرآن الإلهي، وهو أن نصّه ظلّ صافياً غير محرّف طوال القرون، ما بين تنزيله حتى اليوم، وأن نصّه سوف يظل على حاله في الصفاء وعدم التحريف بإذن الله ما دام الكون ».
- ويقول المؤرخ ول ديورانت : « القرآن يبعث في النفوس أسهل العقائد، وأقلها غموضاً، وأبعدها عن التعقيد ، وأكثرها تحملاً من الوثنية والكهنوتية، وقد كان له أكبر الفضل في رفع مستوى المسلمين الأخلاقي والثقافي، وأوجد بينهم درجة من الاعتدال والبعد عن الشهوات ، لم يوجد لها نظير في أية بقعة من بقاع العالم يسكنها الرجل الأبيض ».
- ويقول المفكر والقانوني الفرنسي المعاصر مارسيل بوازار : « إن القرآن لم يُوضع لإصلاح أخلاق عرب الجاهلية، إنه على العكس يحمل الشريعة الخالدة والكاملة والمطابقة للحقائق البشرية ، والحاجات الاجتماعية في كل الأزمنة ».
- أيها المسلمون : أين هؤلاء العقلاء النبلاء من سفهاء السياسة الغربية اليوم؟
- أما كان لأمثال هؤلاء مكان بين أوباش النصارى المتنفذين في السياسة الأوروبية والأمريكية؟
- اللهم اكفنا شر الأشرار وكيد الفجار يا رب العالمين.

\* \* \*

- أيها الإخوة : ولئن كان هؤلاء العقلاء قد أسرهم القرآن بجماله وكماله، ومع ذلك لم يسلموا، فإن من الباحثين الغربيين من أسلم متأثراً بالقرآن.
- فهذا الكاتب الإنجليزي وليم بيكارد ، الذي أعلن إسلامه عام ١٩٢٢م يقول: «ابتعت نسختي من ترجمة معاني القرآن بالفرنسية ، وهي أعلى ما أملك، فلقيت من مطالعتها أعظم متعة ، حتى غدت وكأنها شعاع الحقيقة الخالد قد أشرق عليّ بنوره المبارك».
- وهذا الطبيب الفرنسي علي سليمان بنوا ، الذي أسلم عام ١٩٥٣م يقول: « إنني الآن سعيد جداً بديني الجديد، وإنني أعلن مرة أخرى : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله».
- وهذا المنصرّ العربي إبراهيم خليل أحمد ، الذي عمل في إحدى الدول العربية لحساب الإرسالية الألمانية لتنصير المسلمين.
- وبعد اطلاع ودراسة أعلن إسلامه عام ١٩٥٩م ، وقال عن القرآن: «للمسلم أن يعتزّ بقرآنه ، فهو كالماء لكل من نهل منه».
- وهذه الصحفية الأمريكية ديورا بوتر ، التي اعتنقت الإسلام عام ١٩٨٠م، بعد دراسة واطلاع تقول عن القرآن: « عندما أكملت قراءة القرآن الكريم: غمرني شعور بأن هذا هو الحق، الذي يشتمل على الإجابات الشافية حول مسائل الخلق وغيرها، إنه يقدم لنا الأحداث بطريقة منطقية، نجدها متناقضة مع بعضها في غيره من الكتب الدينية، أما القرآن فيتحدث عنها في نسق رائع، وأسلوب قاطع لا يدع مجالاً للشك بأن هذه هي الحقيقة، وأن هذا الكلام هو من عند الله لا محالة ».
- وهذه عائشة برجت هوني البريطانية، تقول عن سبب إسلامها وتأثرها بالقرآن : « لن أستطيع مهما حاولت أن أصف الأثر الذي تركه القرآن في

- قلبي، فلم أكد أنتهي من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى وجدتني ساجدةً لخالق هذا الكون، فكانت هذه أول صلاة لي في الإسلام».
- وهذا فنساي مونتاي الباحث والرحالة الفرنسي، الذي أسره القرآن فأسلم عام ١٩٧٧م يقول : «إني لا أشك لحظة في رسالة محمد ﷺ، وأعتقد أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه بُعث للناس كافة، وأن رسالته جاءت لختم الوحي الذي نزل في التوراة والإنجيل، وأحسن دليل على ذلك هو القرآن المعجزة».
- أيها المسلمون : أين هؤلاء العقلاء النبلاء من أوباش ساسة الغرب اليوم، الذين ضللهم اليهود بمكرهم وخداعهم.
- يقول الأديب الألماني غوته بعد أن درس الإسلام وأعجب به : «إذا كان هذا هو الإسلام، أفلا نكون جميعاً مسلمين؟!»
- نعم لماذا لا يكونون جميعاً مسلمين؟! لأن واقع المسلمين يصدُّ عن سبيل الله، ويزيد الضالين ضلالاً.
- إن المشكلة لا تكمن في هؤلاء الغربيين الضالين ، بقدر ما تكمن فينا نحن المسلمين ، حين لم نتمثل الإسلام بصورة صحيحة.
- اللهم لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ، ونجنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

## ٦ - الرد على سفهاء الغرب في طعنهم على خير الخلق

- أيها المسلمون : لقد عاش نصارى أوروبا دهرًا طويلاً من الزمان في ظلام حالك ، لا يفقهون شيئاً ، ظلمات بعضها فوق بعض.
- لقد عاشوا قرونًا متعاقبة في ذيل الحضارة الإنسانية ، فيما يسمونه هم بعصور الظلام ، أو العصور الوسطى.
- لقد ضلَّ النصارى في عقيدتهم ، فخلطوا بين التوحيد والشرك ، لقد أمضوا أكثر من ألفي عام يختلفون في الإله الذي يعبدونه ، فما اتفقوا على شيء.
- وما زالوا منذ مئات السنين يتجمعون وحتى الآن : يبحثون صفة الإله الذي يعبدونه، فيختلفون ويتلاعنون ، ويكفر بعضهم بعضاً.
- ولقد ضلَّ النصارى أيضاً في منهج العبادة ، فلا يعرفون كيف يعبدون ربهم، حتى كان منهم الرهبان والقساوسة ، والعاكفون في الصوامع.
- لقد ضلوا أيضاً في معاملاتهم ، فلم يعرفوا كيف تُدار الحياة فيما بينهم ، حتى عمَّت المظالم بينهم ، لاسيما على الأطفال والمساكين والنساء.
- لقد ضلَّ النصارى في كلِّ شيء ، وصدق الله العظيم حين وصفهم بالضالين ، وما زال المسلمون يتلون هذا الوصف في كل ركعة من صلاتهم، في سورة الفاتحة : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾.
- ولقد استغلت الكنائس الأوروبية هذا الوضع فسيطرت على حياة الناس الدينية والدينية، وأذاقتهم سوء العذاب.
- فلم يكن لأحد من النصارى أن يعتقد أو يفكر أو يسلك فيما يخالف توجهات الكنيسة ورجالها من القساوسة والرهبان.
- ثم بقيَ النصارى على هذا الحال حتى سطع النور مشعشعاً من جهة المشرق

- بعثة سيد ولد آدم محمد ﷺ.
- بعثه الله تعالى على فترة من الرسل ، عمَّ فيها الضلال والفساد والظلم ، بعثه الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، بعثه الله رحمة للعالمين.
- لقد بعثه الله لإصلاح العقائد الفاسدة ، وتسديد نهج العبادة ، وإقامة العدل بين الناس في معاملاتهم وعلاقاتهم.
- فلم تمضِ ثلاثون عاماً من نزول الملك عليه ﷺ على جبل حراء حتى كان دعاة الحق من المجاهدين يحملون أنوار الهداية إلى شرق أوروبا وجنوبها.
- لقد ركبوا ظهور الخيل ومتون السفن ، يقطعون الفيافي وغمار الماء ، يحملون إلى أهل أوروبا الهداية التي جاء بها محمد ﷺ.
- يبلغونهم رسالة الله إليهم، والنداءات التي خاطبهم الله بها :
- ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ .
- ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ... ﴾ .
- ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ .
- ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .
- ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ .
- ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُؤْهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءٌ... ﴾ .
- ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ... ﴾ .



- ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

- ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

- ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

- ولقد انطلق المسلمون في القرن الأول يجوبون الدنيا ، يحملون هذه الرسالة وهذه النداءات إلى أهل الكتاب في أوروبا.

- ثم استمر الاحتكاك بين المسلمين ونصارى أوروبا قرونًا متطاولة ، بين: دعوة وحرب وتجارة وفتح.

- وكان من نتائج هذا الاحتكاك تأثر النصارى بشيء من ثقافة المسلمين وآدابهم وعلومهم، إضافة إلى إسلام كثير منهم ، وتحوُّل بعض بلادهم إلى بلاد إسلامية.

- ومن هنا بدأ الفتح على أهل أوروبا من خلال علوم المسلمين ، فأخذوا يواجهون أهل السلطة في بلادهم من الملوك الإقطاعيين والرهبان المتنفذين.

- وكان من نتائج هذا الصراع أن ظهرت العلمانية التي تفصل الدين عن الحياة، وتزيل معنى التقديس عن كل شيء مهما كان عظيمًا.

- فكانت الجراءة على الدين في عصر النهضة والتنوير في أوروبا، حتى لم يعد

للنصارى شيء يقدسونه إلا العقل ونتائجه المادية.

- ثم كانت الثورة الصناعية ، عندما فتح الله عليهم كنوز الأرض ، حين نبذوا البقية الباقية من دينهم ، ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ .

- إنها سنة الله فيمن يتنكر لدينه أن يفتح عليه من الدنيا ، ولكن تنتظره أخذة قوية عنيفة ، هي بقية هذه السنة : ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً... ﴾ .

- إن النصارى ينتظرون باقي السنّة في أخذهم بغتة ، ولكن لن يسعد الله أمة الإسلام بهذا حتى تأخذ الأمة دينها بقوة، ويمثلوا الإسلام بحق في واقع الحياة.



- أيها الإخوة : تناقلت وسائل الإعلام أخبار تطاول بعض الصحف الأوروبية على شخص رسول الله ﷺ في صور وعبارات لا تليق بإنسان من عامة الناس فضلاً عن سيد الخلق، ولكن هذا حال السفهاء في جميع المجتمعات حينما يغيب سلطان الحكماء والعقلاء.

- إن مقام رسول الله ﷺ أعظم بكثير وأجل من أن تناله هذه الإساءات بشيء، ولكن المسلم يحزن ويتألم لمثل هذه القبائح الخلقية.

- ثم إن مثل هذه الإساءات ليست الأولى من نوعها في القديم أو الحديث، فما زالت شخصية محمد ﷺ محطّ إثارة بين المعجبين به، والمناوئين له.

- فكم من كاتب غربي منصف تكلم عن رسول الله ﷺ بأحلى وأجمل الكلام؟! وكم من سفيه حاقد مريض تكلم عنه بأقبح الكلام!؟

- فلن تنفع رسول الله ﷺ كلمات المادحين ، ولن تضره عبارات السفهاء الساقطين ، بعد أن اختاره الله واصطفاه سيداً لولد آدم.
- ماذا ينال الحاقد من رسول الله ﷺ؟ وماذا يضيف المادح إليه بعد أن خاطبه ربه قائلاً: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾.
- وبعد أن قال له: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾.
- وقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.
- أيها المسلمون : إن مما ينبغي أن نعرفه : أنه لم يعد للغربيين ما يقدسونه من أمور الدين، فليس بغريب أن يتناولوا على مقدسات غيرهم.
- ولكن الغريب على الحقيقة أن يوجد من أبناء المسلمين ، ممن يعيشون في بلاد المسلمين ومع ذلك يتناولون ليس فقط على شخص رسول الله ﷺ بل حتى على الذات الإلهية، بكلام وعبارات يستحيي الكفار أن يتلفظوا بمثلها ، أو يكتبوها في كتبهم.
- يفعلون ذلك تحت ستار الأدب اللغوي ، والإبداع الفني ، والرواية القصصية، ثم ينالون على قبيح صنيعهم هذا الجوائز المحلية والعالمية.
- أليس هؤلاء أولى بالزجر والتأديب من سفهاء الدانمارك والنرويج؟ فأين عصا التأديب من ظهور هؤلاء؟ وأين سيف الحق من رؤوسهم؟
- إن هذه الحملة الإعلامية على شخص رسول الله ﷺ تدل بوضوح على ضعف المسلمين وذلهم، وهوانهم على الناس.
- لم يكن أحد من أهل الملل الأخرى يتجرأ على مثل هذا زمن عافية الأمة وقوتها ، فقد أقام المسلمون حروباً كاملة على أقل من هذا.

- أيها المسلمون : ولئن كان في هذا الحدث إزعاجٌ للمسلمين، فإنه مع ذلك يحمل شيئاً من الإيجابيات، ومنها:
- إقامة الحجة على الكافرين ببعثة محمد ﷺ ، فقد بلغ خبره الجميع، وهذه حجة الله عليهم.
- ومن الإيجابيات في هذا الحدث أيضاً : إثارة الغريين للقراءة عن الإسلام، فكثيراً ما تثيرهم هذه الأحداث للاطلاع على دين الإسلام.
- ومن الإيجابيات أيضاً حصول مزيد من الأدلة على أن النصارى أعداءٌ لنا، يحملون الحقد والحسد حتى على خير الناس.
- من الإيجابيات هذا التفاعل الواسع ، الذي حصل من المسلمين ضد من تناول على أعظم مقدساتهم ، وسعيهم الإيجابي في مقاطعة منتجاتهم التجارية.
- يذكرنا هذا الموقف بموقف معاذ ومعوذ رضي الله عنهما يوم بدر ، حينما التفت أحدهما سراً إلى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فقال: « يا عم، أرني أبا جهل، فقلت : يا ابن أخي فما تصنع به ؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، قال: والذي نفسي بيده لئن رأيتَه لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجلُ منا، قال: فتعجبت لذلك، قال: وغمزني الآخر، فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألانني عنه، قال: فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه.»
- اللهم احفظ للمسلمين حرّماتهم، واحفظ عليهم مقدساتهم، ولا تُغرِّبهم السفهاء ولا الحاقدين.

- اللهم احفظ مقام رسول الله ﷺ من عبث السفهاء والحاquدين، واجعل اسمه على رؤوس الكافرين.
- اللهم كما تناولوا على مقامه العظيم بالشتيم : فسخرهم رغماً عنهم لمدحه والثناء عليه.

## ٧ - فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقوبة تركها

- أيها المسلمون : لقد ثبت يقيناً أنه لا وحي بعد وفاة مُحَمَّد ﷺ ، فهو خاتم الأنبياء، ورسالته خاتمة الرسائل الربانية.
- فلم يعد تجديد الدين من خلال الوحي وبعث الرسل، وإنما من خلال دأب الأمة وجهدها في إحياء تراثها ، وسنن رسولها ﷺ.
- ومن هنا كان لا بد أن تبقى معالم هذا الدين وشعائره وسننه قائمة في حياة الأمة، وظاهرة في واقعها وممارساتها.
- ولهذا شرع المولى مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليكون أداة الأمة الدائمة لليقظة والتجديد ، وإحياء ما اندرس من معالم الدين.
- ومن خلال الاستقراء لنصوص الشريعة في الكتاب والسنة : اتفق العلماء على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأنه فريضة لازمة على الأمة.
- فهو فريضة على الأمة في الجملة ، إلا أن درجته تختلف حسب موقع الشخص وعلمه وقدرته.
- فما يجب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الحاكم وأعدائه والعلماء وأهل الحسبة : أكبر مما يجب على غيرهم من العوام، ومن لا علم عندهم.
- إلا أن الجميع مطالب حسب استطاعته وعلمه ومكانه بأن يقوم بمرتبة من مراتب الإنكار: باليد أو اللسان أو القلب.
- فمن كان له سلطان وقوة أنكر بيده، ومن كان دون ذلك أنكر بلسانه، ولا يُعذر أحد في ترك الإنكار بالقلب ، فهو أقل الإيمان.

- وعلامة الإنكار بالقلب الشعور بالألم والحزن والغضب حين تُنتهك حرمة من حرّمات الله، وهذا كافٍ لمن لا سلطان له، ولا جاه عنده.
- وقد كان بعض السلف حين يعجز عن إنكار المنكر بيده أو بلسانه : يجد من الحرقة والألم في نفسه ما يجعله يبول دماً.
- وإنما الهلاك والخسران على من يرى المنكر ويرضى به ، أو يحضره بنفسه، أو يشتريه بماله ، فهذا هالك آثم.
- وأقبح منه وأخبث من ينشرح صدره بالمنكر ، ويبتهج برؤيته ولا يرجو زواله، فهذا يُخشى عليه في أصل إيمانه ودينه.
- فأياً إيمان عند من لم يتمرَّ وجهه لمظاهر : الشرك ، والبدع ، وسبّ الدين، والاستهزاء بالأحكام الشرعية ، وتنحية الشريعة الإسلامية عن واقع الحياة؟!!
- وأياً إيمان عند من لا يغضب من انتشار الفواحش والدعارة وبيوت اللهو في بلاد المسلمين؟!!
- وأياً إيمان عند من لا يتألم لانتشار الربا والعقوق وقطيعة الأرحام في المجتمعات الإسلامية؟!!
- وأياً إيمان عند من لا يحزن لمظاهر التبرج في النساء في الطرق وعلى المجلات وفي الشاشات التليفزيونية؟!!
- لقد شهد على هؤلاء وأمثالهم رسول الله ﷺ حين قال: « وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ».
- فكيف يرضى المسلم لنفسه أن يصل إلى هذه الدرجة من اضمحلال الإيمان في قلبه من أجل شهوة أو لذة يراها ولا ينكرها؟!!
- أيها المسلمون : إن وقوع بعض الناس في الخطأ والانحراف ليس بغريب

- على المجتمع المسلم ، ولكن الغريب أن يجاهر العصاة بمعاصيهم ثم لا يجدون من الصالحين وأهل الحسبة من ينكر عليهم ويؤدبهم.
- وقد جاءت التحذيرات الشديدة للصالحين حين يتركون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد قال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم، وقبل أن تستغفروا فلا يغفر لكم ».
- وقال رسول الله ﷺ : « إذا تركت أمي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي ».
- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قيل يا رسول الله : أتَهْلِكُ قَرْيَةً وفيها الصالحون ؟ قال: نعم، قيل: بِمَ يا رسول الله ؟ قال: بتهاونهم وسكوتهم على معاصي الله عز وجل ».
- وقال رسول الله ﷺ : « إن الناس إذا رأوا ظالمًا فلم يأخذوا على يديه: أوشك أن يعمَّهُمُ اللهُ بعقاب ».
- وقال حذيفة رضي الله عنه : « والله لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر، أو لئسلطنَّ اللهُ عز وجل شراركم على خياركم ».
- وسأل عبد الله بن الزبير كعب الأحبار رضي الله عنهم : « هل لله من علامة في العباد إذا سخط عليهم ؟ قال: نعم، يُذَلُّهم فلا يأمرنَّ بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ».
- أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ .





- أيها الإخوة : لقد أخبر الرسول ﷺ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يضعف في آخر الزمان ، حتى يتركه الناس ، بل يأمرون بضده ، وكلُّ هذا لا يسوغ للمسلم تركه ، أو التهاون به.
- وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «يذهب الصالحون أسلافاً ويبقى أصحاب الريب ، قالوا : يا أبا عبد الرحمن: من أصحاب الريب؟ قال : قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر» ، يعني : كأن الأمر لا يعنيه في شيء.
- فاتق الله أيها المسلم ، ولا تكن من أهل الريب، واعلم أنك إن قمت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعلم وحكمة فإنك منصور بإذن الله تعالى، والله يقول: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ﴾.
- والرسول ﷺ يقول: « ألا لا يمنع رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه».
- وليتق الله الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر بأن يتبعوا القول بالعمل، فإن المؤمن الحق يتكلم قليلاً ويعمل كثيراً، والمنافق يتكلم كثيراً ويعمل قليلاً.
- وليعلم القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن أعداءه كثيرٌ وأصدقاءه قليل، فليتق الله وليصبر، والله المستعان.

## ٨ - قصة أصحاب الكهف وما فيها من عبر

- أيها المسلمون : سورة في كتاب الله تعالى من حفظ عشر آيات من أولها:  
عصمه الله من فتنة المسيح الدجال.
- قرأها أسيد بن حضير رضي الله عنه فنزلت السكينة لقراءته، كأنها سحابة فوق رأسه ، فيها من الأنوار والبهجة ما يشرح الصدور.
- من قرأها يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعة الأخرى، إنها سورة الكهف.
- وهي من السور المكية التي شملت الحديث عن العقيدة ومشاهد يوم القيامة، وشملت بعض القصص مثل: قصة آدم عليه السلام ، وموسى مع الخضر عليهما السلام ، وصاحب الجنتين ، وقصة ذي القرنين.
- ولعل من أهم القصص التي وردت في هذه السورة قصة أصحاب الكهف، فقد سُميت السورة بكهفهم.
- ويرجع خبر هذه القصة إلى جمع من الشباب تعلموا التوحيد والدين الحق عن طريق بعض الحواريين بعد عيسى عليه السلام.
- فما وسعهم إلا الإيمان ، والمجاهرة بالحق ، والإنكار على قومهم .
- وقد كانوا في زمن ملكٍ طاغٍ مستبد، ولم تكن لهم قوة يواجهون بها القوم، ولا منعة يدفعون بها عن أنفسهم : فقرروا الاعتزال.
- فألهمهم الله تعالى أن يأووا إلى كهفٍ يعبدون فيه ربهم حتى يقضي الله بينهم وبين قومهم، وصحبهم في هذا الاعتزال راعي غنم بكلبه.
- فضرب الله على آذانهم في هذا الكهف ، فلا يسمعون شيئاً، وقضى عليهم بالنوم العميق.

- وأنزل عليهم هيبة فلا يراهم أحدًا إلا خافهم وهرب منهم .
- وكان من رحمة الله بهم أن الشمس لا تباشرهم فتبلى ثيابهم وأبدانهم، إضافة إلى أنهم يتقلبون في نومهم ؛ حتى لا تأكل الأرض أجسادهم.
- فبعد أن مضى على حالهم هذا أكثر من ثلاثمائة سنة : بعثهم الله من سباتهم الطويل : فلم ينكروا من حالهم شيئاً كثيراً.
- ولما بعثوا أحدهم ليأتيهم بالطعام : اكتشف أهل ذلك الزمان أمرهم ، فكان آية ودليلاً لهم على قدرة الله في إحياء الموتى بالأبدان والأرواح.
- فاختلف الناس في ذلك الزمان حول الأسلوب الأفضل في تعظيم هؤلاء ، منهم من رأى أن يقام عليهم بنيان ، ومنهم من رأى أن يُقام عليهم مسجداً.
- وفي ختام خبرهم في هذه السورة وجّه الله تعالى إلى عدم الالتفات إلى تفصيلات القصة كالسؤال عن عددهم ، وإنما الالتفات إلى العبرة منها.
- وأمر المولى عز وجل نبيه ﷺ أن لا يجادل في خبرهم من جهة العدد والأسماء إلا بالأسلوب اللين السهل، فلا داعي للجدال.
- فإن الأصل في القصص القرآني هو العبرة والموعظة والاقتداء ، وليس الجدل، ونقاش التفصيلات.

\* \* \*

- أيها المسلمون : لهذه القصة عبر ومواعظ لا بد من الوقوف عندها ومنها :
- أهمية مرحلة الشباب لما فيها من القوة والاندفاع إذا وجهوا إلى الخير، فهم أقرب إلى الحق من الشيوخ وأهل السلطان.
- ومنها : وجوب القيام بالحق ؛ فقد قام هؤلاء الشباب بالحق ، وأنكروا على قومهم عبادة غير الله تعالى ، ثم اعتزلوهم ، وانحازوا إلى الكهف.

- ومنها : جواز الاعتزال بالدين إذا خاف الإنسان على نفسه الضلال، وإلا فإن الصبر على الناس في دعوتهم أفضل، وهو حال الأنبياء عليهم السلام.
- ومنها : أنه لا يجوز للمسلم أن يقيم في مكان لا يستطيع أن يمارس فيه دينه إلا عند العجز ، فالهجرة واجبة على المؤمن من ديار الكفر والضيق، إلى ديار الإيمان والسعة.
- ومنها : حفظ الله تعالى أوليائه المؤمنين ، حين ألهمهم الفرار إلى الكهف ، وأنزل عليهم النوم، وحفظهم من المؤثرات الطبيعية.
- ومنها أيضاً : حفظ الله إياهم بالهيبة التي أنزلها عليها في الكهف، فبعد أن كانوا في اليقظة خائفين من الناس أصبحوا بعد النوم مُرهين للناس ، لا يقربهم أحد.
- ومنها : فضل مصاحبة الأخيار، فقد نال الكلب الفضل والذكر بصحبته هؤلاء، فكيف بالمؤمن يصحب العلماء والفضلاء!؟
- ومنها : قدرة الله تعالى على الإماتة والإحياء وحفظ الأبدان، وأن البعث سوف يكون بالروح والبدن ، لا كما يظن بعض الفلاسفة أنه بالأرواح دون الأبدان.
- ومنها : أنه لا حرج على المسلم أن يتخير من الطعام أطيبه وأحسنه ما دام مباحاً ، على أن لا يتجاوز الاعتدال.
- ومنها : خطر الغلو في الصالحين ، فعندما ظهرت كرامة هؤلاء اندفع الغلاة من الناس يتبركون بهم باتخاذ المعابد عندهم.
- أيها المسلمون : في هذه القصة تسلية للصحابة رضي الله عنهم حين كانوا مستضعفين بمكة بأن الله ناصرهم، فقد نصر الله أصحاب الكهف بالنوم ، والنوم في حد ذاته هزيمة وكسل ، فإذا به نصر من الله لعباده ، فالله قادر على كل شيء.

## ثاني عشر : السيرة النبوية:

- ١ - بدء الدعوة الإسلامية ومعاناتها .
- ٢ - السنة العاشرة من البعثة النبوية .
- ٣ - وقفات تربوية مع الهجرة النبوية .
- ٤ - خبر قصة الإفك وما فيها من العبر .
- ٥ - مقام الزهد في حياة النبي ﷺ .
- ٦ - أحداث ما بعد حجّة الوداع .
- ٧ - محبة الرسول ﷺ للأطفال .



## ١ - بدء الدعوة الإسلامية ومعاناتها

- أيها المسلمون : أول ما بدأ الوحي برسول الله ﷺ : الرؤيا الصالحة في المنام ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح في صدقها وتحققها .
- ثم حُبب إليه الخلاء ، فكان يخلّي بنفسه يتعبد على ملة إبراهيم عليه السلام في غار حراء ، يمكث فيه الأيام والليالي .
- وفي أسعد يوم من أيام الدنيا ينزل عليه الملك : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ، وذلك بعد انقطاع طويل للوحي المبارك دام خمسة قرون .
- فإذا بالملك يغطه ويضمه إليه ثلاث مرات ، ليعرف أنه في يقظة وليس في منام، ويقرأ عليه آيات من سورة العلق .
- فتستقر الآيات في قلبه عليه الصلاة والسلام ، وتُنقش في فؤاده ، فيعود بها إلى مكة خائفاً من هول الموقف، وقد خشيَ على نفسه .
- حتى إذا دخل على أهله ﷺ قال : « زملوني ، زملوني » ، ثم أخبر زوجته خديجة رضي الله عنها الخبر، فإذا بسيدة النساء: تستشرف المستقبل الزاهر، وتستدل بكريم خلقه على سلامته، وعدم خذلانه وتقول : « كلا، أبشر، فوالله لا يُخزيك الله أبداً » .
- نعم، كيف يخزي الله من يصدق الحديث، ويُعين الفقير، ويصل الرحم، ويكرم الضيف ؟ فهذه لا تجتمع إلا لأهل الخير .
- ثم تذهب خديجة بالرسول ﷺ إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان على النصرانية الحقة، فأخبره أنها النبوة، إنها لحظة عظيمة وغريبة، حين يشعر محمد ﷺ أنه قد وقع عليه الاختيار لأن يكون نبياً، إنها مشاعر لا يمكن أن يعبرَ عنها أحدٌ إلا صاحبها .

- ثم فتر الوحي زمنياً ، حتى إذا كان الرسول ﷺ في بعض الطريق سمع صوتاً من فوقه فنظر ، فإذا بالملك على كرسي بين السماء والأرض قد سدَّ الأفق ، فرجع إلى بيته خائفاً ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ .
- إنها إعلان لمرحلة جديدة ، ينتقل فيها الصادق الأمين إلى مرتبة النبوة والرسالة .
- ولما أيقن الرسول ﷺ بالرسالة ، وأنه النبي المنتظر ، كان عليه أمام هذا الفضل من الله أن يقوم بواجبه تجاه ربه ، وأن يبدأ بالدعوة .
- فكان الرسول ﷺ يدعو من الناس من يثق بهم مثل : أبي بكر ، وعلي ، وبناته ، رضي الله عنهم ، وكل من فيه خير من الناس ، وعنده مبدأ قبول الدعوة الجديدة .
- واستمر في دعوته سرّاً ثلاث سنوات ، حتى إن بعض المسلمين لا يعرف بعضاً ؛ بسبب السرية والكتمان .
- حتى إذا قوي عود الدعوة : أنزل الله : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .
- وقوله : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ .
- فعلا الرسول ﷺ الصفا ، وأخذ ينادي في بطون قريش ، يخبرهم بالدعوة الجديدة ، ويحذّر من العصيان : « أنقذوا أنفسكم من النار » .
- وعند ذلك بدأ العداء للدعوة في شخص الرسول ﷺ ، وفي أتباعه ، ولاسيما من العبيد والمساكين والضعفاء .
- فنال الأذى الرسول ﷺ في نفسه ، ونال أبا بكر رضي الله عنه حتى ضرب ، وعُدّب بلال رضي الله عنه أشدّ العذاب ، وغيرهم كثير ، كل نال نصيبه من



- الأذى ، واستمر الحال عشر سنوات ، عنوانها : صبر ودعوة .
- حتى إذا وصلت الدعوة في مكة إلى طريق مسدود : أذن الله تعالى لنبيه ﷺ بالهجرة إلى المدينة، فتسابق الناس يخرجون إليها.
- ثم خرج الرسول ﷺ مهاجراً إلى المدينة في ظلّ أخطر مؤامرة وحشية منكرة؛ حين قرر المشركون قتل الرسول ﷺ ، وتوزيع دمه بين القبائل.
- ومع ذلك خرج الرسول ﷺ من بيته سالماً بالمعجزة، ثم اتّجه مع أبي بكر رضي الله عنه إلى غار ثور ليكمن فيه ثلاثة أيام، ثم يكمل مسيره إلى المدينة.
- حتى إذا استقر الرسول ﷺ في المدينة، وتجمّع معه المسلمون بدأت الدعوة الإسلامية طوراً جديداً : فيه الجهاد، وفيه النظام الاجتماعي والاقتصادي، لم يعد في هذا الطور للسرية مكان، فأخذت سور القرآن المدني تنزل لرعاية المجتمع الجديد، وبناء الأمة المسلمة.
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ .



- أيها الإخوة : لم تنته معاناة الرسول ﷺ بهجرته إلى المدينة حتى بدأ الجهاد المسلح ضد المشركين والمتربصين بالمدينة، فكانت الغزوات والسرايا.
- ثم واجه الرسول ﷺ المنافقين المتربصين بالدعوة من داخلها ، وواجه الأزمات الاقتصادية الخانقة التي أصابت المسلمين.
- ثم واجه الرسول ﷺ اليهود ، ألد أعداء الدعوة الإسلامية ، فكان الجدل معهم، والحرب ، والطرده.

- ثم واجه الرسول ﷺ أصحابه ، وحاجتهم إلى شخصه في الدعوة والتربية والتهذيب ، حتى إنه ما كان يجد وقتاً لنفسه.
- وواجه أيضاً حاجات أهل بيته له ، وتنافس زوجاته عليه ، وحاجة النساء عموماً إلى رعايته وحمايته.
- لقد واجه الوفود القادمة من كل مكان ، فهم في حاجة إلى تعليم ، ورعاية، وإكرام، وأحياناً إلى شيء من الجدل.
- لقد واجه عليه الصلاة والسلام التنزل القرآني ، فقد كان يعاني منه شدة ، مع ما يحمله من الشرف والفضل.
- لقد عانى الرسول ﷺ الالتزامات الشرعية في أن يقتدي بأولي العزم من الرسل عليهم السلام ، ويكفيه قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾.
- لقد قضى رسول الله ﷺ دعوته من أولها إلى آخرها في معاناة شرفه الله بها، حتى ختمها الله بموته، وما لاقاه من سكراته، فلا كرب عليه بعد ذلك.
- أيها المسلمون : لقد ارتبط هذا الدين بالمعاناة والمجاهدات والصعوبات، فكل من التزم بدينه، وعمل بشريعته فلا بد أن يعاني ويقاسي.
- ولهذا نجد الهجمة الشرسة من أعداء الإسلام على هذا الدين، ولاسيما على هذه الجزيرة ، على بلاد الحرمين الشريفين ؛ ليزيلوا ما بقي فيها من نور الوحي المبارك.
- ولا شك أن هذه الهجمة تُواجه بالصبر والتقوى، والارتباط بالله، ولا تواجه بالتنازل عن شيء من معالم الدين، فقد وعد الله الصابرين المتمسكين بدينهم أن كيد الكفار لا يضرهم: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

## ٢ - السنة العاشرة من البعثة النبوية

- أيها المسلمون : في السنة العاشرة من البعثة النبوية اجتمعت على الرسول ﷺ الأحزان من كل جانب : وفاة عمه أبي طالب، ووفاة زوجته خديجة رضي الله عنها.
- فاشتد الأذى بالصحابة رضي الله عنهم، حتى هم أبو بكر رضي الله عنه بالهجرة إلى الحبشة لولا أن ابن الدغنة أدخله في جواره.
- ووصل الأذى برسول الله ﷺ أن وضع سفيه من المشركين التراب على رأسه، فدخل على فاطمة رضي الله عنها فبكت، ثم غسلت عنه الأذى.
- وقال لها رسول الله ﷺ يخفف عنها : « لا تبكي فإن الله مانع أباك » .
- وقال ﷺ : « ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب ».
- أيها الإخوة : لما أغلقت أبواب الدعوة بمكة توجه الرسول ﷺ إلى الطائف، ومكث فيها عشرة أيام يدعو ثقيفاً إلى الإسلام.
- ولما أكثر على ثقيف أمره بالخروج وأغروا به السفهاء ، فرموه بالحجارة وشتموه ، وكان معه زيد بن حارثة رضي الله عنه، يدفع عنه وقع الحجارة .
- حتى لجأ الرسول ﷺ إلى حائط خارج الطائف لعتبة وشيبة ابني ربيعة .
- جلس يدعو ربه محزوناً مكسور الجانب ، فرَّق له القوم ، وأرسلوا له عنباً مع غلام نصراني اسمه عدّاس.
- ولما كلمه الرسول ﷺ أسلم الشاب ، ورجع إلى سيّديه وقال : « ليس أحداً في الأرض خيراً من هذا ».
- ولما عاد الرسول ﷺ في طريقه إلى مكة أسلم بعض الجن، وجاءه ملك

- الجبال ليخسِف بأهل مكة فأبى الرسول ﷺ رحمة بهم .
- ولما وصل إلى مكة أرسل إلى ثلاثة نفر ليجيروه حتى يدخل مكة ، فلم يجبه إلا المُطعم بن عدي، فلم ينسها له رسول الله ﷺ .
- واستمر الرسول ﷺ في دعوته يدعو الناس فرادى وجماعات، ويعرض نفسه على القبائل : « من يُجرني حتى أبلغ دعوة ربي ؟ » .
- واستمر المشركون في أذى المسلمين ، والدعاية الكاذبة ضد رسول الله ﷺ، ووصفه بالقبائح عند زوار مكة .
- ومع هذا فقد أسلم بعضهم مثل : أبي ذر الغفاري ، والطفيل بن عمرو الدوسي، وضمام الأزدى رضي الله عنهم، رغم الضيق ، وأسباب التضليل .
- وفي موسم سنة إحدى عشرة للبعثة لقي الرسول ﷺ ستة نفر من الخزرج عند العقبة ، فحدثهم فأسلموا ، وكانت بداية الانفراج للدعوة الإسلامية .
- وكانت حادثة الإسراء والمعراج التي رأى فيها الرسول ﷺ من آيات ربه الكبرى: نقله ربه ليلاً إلى المسجد الأقصى، فصلى بالأنبياء، وعرج به إلى السماء، حتى وصل إلى سدرة المنتهى، وكلمه ربه، وفرض عليه الصلاة، ثم رأى الجنة والنار، ورأى أهل الكبائر والكفار، وأكلة الربا، وأهل الخمر، والزنا، والكذابين، والنمامين ، وكانت رحلة عظيمة لا مثيل لها، خففت شيئاً من مصاب الرسول ﷺ .
- لقد كانت السنة العاشرة من البعثة سنة شديدة على رسول الله ﷺ، وعام حزن، ومع هذا كان الفرج في نهايتها ، وبداية طور جديد تدخله الدعوة الإسلامية .

\* \* \*

- أيها الإخوة : إن الحكمة من سرد أخبار السيرة النبوية هو حصول العبرة والافتداء بخير الخلق ﷺ.
- ففي نقل الدعوة من مكة إلى الطائف دليل على أن الدعوة ليست خاصة بأهل مكة وإنما هي عالمية لا مكان لها.
- ومن الحكم : صبر الرسول ﷺ على السفهاء ، وعظيم مكانته وحبه الخير للناس، بعدم الاستجابة لملك الجبال ، حين استأذنه في إطباق الجبال على أهل مكة.
- ومن الحكم : بشرية الرسول ﷺ وأنه يجري عليه ما يجري على الناس من الفزع والحزن والألم.
- عدم منع الدعوة عن أحد، فقد عرضها الرسول ﷺ على عدّاس وعلى الجن، وامرأة من أهل الطائف فأسلموا جميعاً.
- الاستفادة من الفرص المتاحة ولو كانت من الكفار ، فأبو طالب نصر الدعوة زمناً ، وجوار المطعم بن عدي كان حمىً للرسول ﷺ.
- عدم ملل الرسول ﷺ من الدعوة بعد دخوله مكة ، فقد استمر في الدعوة.
- دعوة الإسلام دعوة منطقية واضحة يجبها كلُّ من يحب الخير، لهذا أسلم أبو ذر، والطفيل بن عمرو رضي الله عنهما وغيرهما كثير حينما عرضت عليهم.
- أيها الإخوة : ومما يستفاد من حادثة الإسراء والمعراج :
- قدرة الله تعالى المطلقة في تحقيق الإسراء والمعراج وهي المعجزة ، وأن الله قادرٌ على نصره رسوله ﷺ ولكنه أراد الابتلاء ، والافتداء بالرسول ﷺ في نهج الدعوة .
- ارتباط مكة والمدينة وبيت المقدس برباط العقيدة ، فلا انفصال بينهما.

- ارتباط جميع الأنبياء والرسول ﷺ بالمصدر الإلهي الواحد ، فالمسلمون أولى بكل الأنبياء عليهم السلام من أمهم المكذبة.
- فضل الرسول ﷺ عليهم جميعاً حين صلى بهم ، وارتفع عنهم إلى أعلى المنازل.
- عِظْمُ قدر الصلاة حين شرعها الله ، ولقنتها رسول الله ﷺ مباشرة دون واسطة .
- تحذير أهل الكبائر من المعاصي ، وأن عذابهم حق .
- فاتقوا الله أيها المسلمون ، وأعدوا لما أمامكم فما بقي أشدُّ مما ذهب .

### ٣ - وقفات تربوية مع الهجرة النبوية

- أيها المسلمون : لقد بعث الله محمداً ﷺ على فترة من الرسل ، عمّ فيها الجهل ، وظهر فيها الشرك ، وكثرت فيها المظالم بين الناس .
- فدعا الرسول ﷺ إلى الله تعالى ، فانقسم عليه الناس إلى قسمين : مؤمن وكافر .
- وقد كان عدد الكفار بالدعوة أكثر من المؤمنين ، فتسلط الكفار على المؤمنين ، يفتنونهم عن دينهم ، ويردونهم عن الحق .
- ولما وصلت الدعوة بمكة إلى طريق مسدود : أذن الله بالهجرة إلى المدينة ، التي بدأت تتوجه نحو الإيمان .
- كانت المدينة بحاجة إلى قيادة الرسول ﷺ بعد كثرة المؤمنين فيها من المهاجرين والأنصار .
- كما أن الهجرة إلى المدينة كانت ضرورية لاكتمال الرسالة الخاتمة ، ونزول باقي القرآن .
- كما أن في الهجرة رحمة بالمساكين والمستضعفين بمكة من فتنك وأذى الكافرين .
- كما أن في الهجرة إظهاراً لفضل المدينة في قدر الله تعالى ، وما كان لفضلها أن يظهر لولا الهجرة .
- أيها المسلمون : لقد سبق الهجرة إرهابات وإشارات أعدت المدينة داراً للهجرة منها : حرب بُعثت التي دامت مائة وعشرين سنة ، أهلكت خيار الأوس والخزرج .
- وكذلك البيعتان الأولى والثانية؛ اللتان أعدتا وهيئتا للهجرة .

- ثم رؤيا الرسول ﷺ : « رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين » .
- أيها الإخوة : لم يكن خروج الرسول ﷺ من مكة للهجرة إلا بإذن من الله ، فلما أذن له جل وعلا : ذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه في نحر الظهر فأخبره ، ووضع الخطة للهجرة .
- ثم عاد الرسول ﷺ إلى بيته ، فحاصره المشركون عازمين على قتله ، ورسدوا له أربعين شاباً يضربونه ضربة رجل واحد .
- خرج الرسول ﷺ من بيته بالمعجزة حين انقطعت الأسباب المادية ، وحشا على رؤوسهم التراب ، ثم ذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه ، وخرجا نحو غار ثور .
- ذهب الرسول ﷺ جنوباً وكمن في الغار ثلاثة أيام ، وكلف أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بالطعام ، وعبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما بالأخبار ، وعامر بن فهيرة رضي الله عنه بالغنم ، يمر بها على آثار أقدامهما .
- خرج الرسول ﷺ وصاحبه من الغار بعد ثلاث ليالٍ ، وذهبا بدلالة عبد الله بن أريقط جنوباً ثم غرباً ثم شمالاً نحو المدينة .
- أيها الإخوة : مع كل هذه الاحتياطات لسلامة الهجرة فقد وصل المشركون إلى الغار ، ولحق سراقه بن مالك بالرسول ﷺ .
- لقد استهلكت الهجرة من مكة إلى المدينة أحد عشر يوماً حتى وصل الرسول ﷺ إلى قباء ، فقد خرج في السابع والعشرين من صفر ، ووصل قباء في الثامن من ربيع الأول .
- لقد استغل الرسول ﷺ كلَّ طاقة يمكن الاستفادة منها لنجاح الهجرة ونصرة الدعوة .
- فقد استفاد من بني هاشم في تأييد الدعوة ، رغم أن أكثرهم كانوا على غير الإسلام .



- لقد استفاد من شجاعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لينام على فراش الموت ليلة الهجرة.
- استفاد من جلد أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما في جلب الطعام ، رغم أنها كانت حاملاً.
- استفاد من ذكاء عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما في تقصي الأخبار ، والتعرف على تحركات قريش.
- استفاد من راعي الغنم عامر بن فهيرة رضي الله عنه في السقيا ، وتعمية آثار عبد الله وأسماء رضي الله عنهما.
- استفاد من عبد الله بن أريقط في معرفة الطريق ، رغم أنه كان على الشرك.
- استفاد من طاقة سراقه بن مالك العكسية في تثبيط المشركين عن البحث عن الرسول ﷺ وصاحبه ، فقد عاد يقول للناس : « لقد كُفيتم ما ههنا ».
- أيها المسلمون : لقد سنَّ لنا الرسول ﷺ الأخذ بالأسباب ، وإلا فقد كان يمكنه طلب البراق للسفر عليه كما رحل عليه ليلة الإسراء.
- إن المعجزات والكرامات تأتي عند الاضطرار لها ، حين تنقطع الأسباب المادية ، مثل خروج الرسول ﷺ من بيته ، ونسج العنكبوت على الغار.
- لقد رد الله كيد المشركين بأوهن البيوت : ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ... ﴾ .

\* \* \*

- أيها المسلمون : لقد ظهر في الهجرة مواقف عظيمة للسمو الإيماني والأخلاقي، منها :
- الرسول ﷺ يأخذ الراحلة من أبي بكر رضي الله عنه بالثمن .
- الرسول ﷺ يعد سراقه بن مالك بسواري كسرى، رغم شدة الموقف، وقد تحقق ذلك في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- ويسير ولا يلتفت ، نعم لماذا يلتفت وقد أخذ الأسباب كلها كما أمره ربه .
- يدخل الرسول ﷺ المدينة فلا يتحدث عن معاناته وإنما يقول في أول كلامه مع الناس : « أيها الناس : أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام ».
- الرسول ﷺ يُبقي علياً رضي الله عنه بمكة ليرد الودائع إلى أهلها ، ففي الوقت الذي يهاجم فيه قوافل قريش يرد الودائع ؛ وذلك لأنه أخذها بأمان على أن يحفظها ويردها.
- كان الفأل الحسن مصاحباً للرسول ﷺ في سفره؛ فقد مرَّ بابل لبني سلمة، فقال: «سلمت يا أبا بكر» ، ومرَّ برجل اسمه مسعود، فقال: «سُعدت يا أبا بكر» .
- ولما رأى أبو بكر رضي الله عنه أقدام المشركين على فم الغار خاف على الرسول ﷺ فقال الرسول: « ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما »؟
- ولقد ظهر في الهجرة من التضحية العظيمة ما هو عظيم جليل: فقد ضحَّى الرسول ﷺ بنفسه، وترك بمكة فاطمة وأم كلثوم وعلياً وأسامة بن زيد رضي الله عنهم.
- وعرض أبو بكر رضي الله عنه عائلته كلها للأذى والتحقيق، وأخذ ماله كله ولم يُبق منه شيئاً.

- ودخل الغار قبل الرسول ﷺ لإصلاحه حتى لدغ، وكان يحوط الرسول ﷺ في الرحلة من جهاته الأربع يخشى عليه الأذى.
- فليس من أحد إلا وفي رقبتة منة لأبي بكر رضي الله عنه وأسرته المباركة.
- هذه هجرة رسول الله ﷺ مورد من موارد هدايتنا، فلنهاجر نحن من الشر إلى الخير، ومن المعصية إلى الطاعة.

## ٤ - خبر قصة الإفك وما فيها من العبر

- أيها المسلمون : في السنة الخامسة من الهجرة النبوية غزا الرسول ﷺ بني المصطلق عند ماء لهم يُسمى المريسيع، وذلك حين بلغه أنهم يجمعون لحرب المسلمين.
- باغتهم الرسول ﷺ في ديارهم ، وأوقع بهم الهزيمة ، وسبى وقتل وغنم مغنم كثيرة .
- ولما رأى المنافقون النصر للمسلمين لم يعجبهم هذا، فأراد عبد الله بن أبيّ أن يوقع الخلاف بين المهاجرين والأنصار، حتى تنادى الفريقان: يا للمهاجرين، ويا للأنصار.
- وقال عبد الله بن أبي قولته الغليظة ، التي سجّلها القرآن: « أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرض منها الأذل».
- وقال: « ما نحن وهؤلاء إلا كما قال الأول : سمّن كلبك يأكلك ».
- وقال : « لا تنفقوا على من عند رسول الله ».
- فبلغ الرسول ﷺ هذا الخبر ، فسار بالجيش مسيراً طويلاً متعباً حتى يشغلهم عن هذا الحديث في هذا الموضوع.
- وكان من عادة الرسول ﷺ عند الغزو أن يختار إحدى نسائه، وكان من عدله أنه يختارها بالقرعة لكمال عدله.
- فوَقعت القرعة على عائشة رضي الله عنها ، فخرج بها في هذه الغزوة.
- وبعد انتهاء الغزوة عند العودة ، وبعد إخفاق عبد الله بن أبيّ في إثارة الخلاف بين المهاجرين والأنصار، أثار قضية الإفك.
- وملخص هذه القضية أن الجيش حين نزل للراحة وقضاء الحاجة، خرجت

- عائشة رضي الله عنها لقضاء حاجتها ، ثم عادت إلى هودجها .
- وأحسَّت بعد العودة بفقد عقد لها ، فخرجت من الهودج ، ولم تخبر أحداً ، وذهبت إلى الموقع الذي قضت فيه الحاجة تبحث عنه .
- في هذه الأثناء أذن الرسول ﷺ بالرحيل ، فحمل الرجال هودج عائشة ظناً منهم أنها فيه ، وكانت صغيرة خفيفة الوزن ، فوضعوه على البعير ، وساروا .
- فلما رجعت إلى الموقع لم تجد أحداً ، فقررت البقاء في المكان ؛ لأنهم إذا تفتَّنوا لفقدها : عادوا إلى الموقع ، وهذا من رجحان عقلها ، وكمال ذكائها ، رغم صغر سنها في ذلك الوقت .
- وكان صفوان بن المعطل رضي الله عنه من وراء الجيش يجمع ما يسقط ويراقب ، فرآها وهي نائمة فعرفها ، فقال : « إنا لله وإنا إليه راجعون » ، فاستيقظت على استرجاعه .
- ثم قرب إليها البعير واستأخر عنها حتى ركبت ، وساقه ولحق بالجيش ، ولم يكلمها ولم تكلمه طوال الطريق .
- فلما أقبل بها على الجيش ورأى الناس هذا المنظر الغريب المدهش ، استغل المنافقون هذه الفرصة للخوض في القضية .
- فقالوا : « والله ما نجا منها ولا نجت منه » ، وخاض الناس في القضية ، وعصم الله من عصم إلا ثلاثة من المؤمنين ، وأما المنافقون فقد تولوا كبر الموضوع .
- وصل الجيش إلى المدينة وقد ذهبت فرحة الانتصار بتعكير المنافقين ، وقد مرضت عائشة رضي الله عنها بعد عودتها ، وأخذت تُعالج عند أمها ، ولم يبلغها خبر الإفك .
- وكان الخبر قد استشرى بالمدينة والرسول ﷺ لا يدري ما يعمل ، إلا أنه لم

- يكن يتلطف بعائشة كعادته حين تمرض .
- فبلغ عائشة رضي الله عنها الخبر فزاد مرضها ، وأتصل بكاؤها ليلاً ونهاراً ، ودام الأمر شهراً كاملاً ، والرسول ﷺ يستشير أصحابه : ماذا يفعل ؟
- وتأخر الوحي لحكمة أَرادها الله في اختبار الناس : ما يصنعون ؟
- وكادت تقع مقتلة بالمدينة بين الأوس والخزرج حين صعد الرسول ﷺ المنبر وقال : « يا معشر المسلمين ، من يعذرني في رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي ؟ » ، يقصد عبد الله بن أبي ، فتكلم الأوس في الانتقام منه ، ودافع الخزرج عن عبدالله لكونه منهم ، وكادت تكون فتنة .
- ثم دخل الرسول ﷺ على عائشة رضي الله عنها وعندها أبوها وأمها ، يوضح لها ما حصل من حديث الناس ، وعرض عليها التوبة ؛ فإن كانت وقعت في ذنب تستغفر ، وإن كانت بريئة فالله سوف يبرئها ، فالتفت لأبويها ليدافعا عنها ، فصمتا ، لا يدريان ما يقولان ، فقالت : « فصبر جميل والله المستعان على ما تقولون » .
- وما لبث الرسول ﷺ قليلاً حتى نزل الوحي عليه ، وتلا آيات من سورة النور فيها براءة عائشة رضي الله عنها ، فقالت أمها : « قومي إلى الرسول ، قالت : والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله » .
- ثم تلا الرسول ﷺ الآيات العشر التي نزلت في هذا الخبر ، وأقام الحد على الذين تكلموا : حسان بن ثابت ، مسطح بن أثاثة ، حمنة بنت جحش رضي الله عنهم .
- وانتهت الأزمة ، وكشف الله الغمة ، والحمد لله رب العالمين .

\* \* \*

- أيها الإخوة : إن لهذه القصة عبراً لا بد من الوقوف عليها :
- خطر المنافقين وكيدهم ، فهم الطابور الخامس في وسط المؤمنين، يترقبون الفرص للإيقاع بين المؤمنين.
- ليس بغريب أن يقع الشخص الصالح في خطأ مثل : حسان بن ثابت وحمنة، وإنما الغريب على المسلم هو الإصرار على المعصية، ورفض التوبة.
- وجوب الظن الحسن بالمؤمنين وعدم إساءة الظن : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ .
- صبر الرسول ﷺ على الأذى من المنافقين ، وسعة صدره عليهم .
- كون الرسول ﷺ لا يعلم الغيب، وإنما هو الوحي من عند الله، فإذا نزل الوحي علم الرسول ﷺ الخبر ، وفيه دليل على أن القرآن من عند الله ، وليس من صناعة محمد ﷺ .
- أيها المسلمون : كم هو حجم الإفك في حياتنا اليومية : يتهم الرجل في دينه، وفي ماله، وفي أهله، ثم لا يجد في المجتمع من يدافع عنه.
- لو أن المجتمع المسلم وقف للأفاكين كما وقف المجتمع زمن الرسول ﷺ : لقلَّ خطرهم ، ولتقلَّص شرهم.

## ٥ - مقام الزهد في حياة النبي ﷺ

- أيها المسلمون : تتشعب حاجات الإنسان في الدنيا ، وتنوع وتكثر، حتى إنه لا يكاد يرتوي من شيء.
- فكلما ازداد من ملذات الحياة الدنيا تعطّش إلى غيرها، فلا يشبع من شيء، حتى ينتقل بالتدريج من حلال إلى حرام.
- فبعد أن استهلك الحلال ، وتوسّع في المباح : بدأ يقع في الشبهات، وفي شيء من المكروهات.
- حتى إذا استوعبها ، واعتادت نفسه عليها، فلم يعد يجد في نفسه ألماً للوقوع في الشبهات والمكروهات.
- بدأ بعد ذلك في اقتراف المحرمات الصريحة الواضحة ، فما يلبث كثيراً حتى يستيحبها والعياذ بالله .
- ومن هنا شرع الإسلام الزهد ليقف في وجه هذا الإغراق في الدنيا وملذّاتها، المفضي - في كثير من الأحيان - إلى الهلاك والضلال.
- يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ .
- ويقول أيضاً : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ .
- ويقول الرسول ﷺ : « كن في الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل » .
- ويقول : « خيركم أزهلكم في الدنيا ، وأرغبكم في الآخرة » .
- ويقول ﷺ : « ما عبّد الله بشيء أفضل من الزهد في الدنيا » .
- قرأ الرسول ﷺ : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ ، ثم قال : « يقول ابن آدم : مالي مالي، قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست



- فأبليت، أو تصدّقت فأمضيت؟! «
- ويقول الرسول ﷺ: « طوبى لمن هُدي إلى الإسلام ، وكان عيشه كفافاً ،  
وقنع به . »
- أيها الإخوة : لقد ضرب الرسول ﷺ للأمة من بعده المثل الأعلى في الزهد  
في الدنيا ، فكان عليه الصلاة والسلام أزهد الناس على الإطلاق .
- كان - عليه الصلاة والسلام - تمر به الأيام والليالي يبيت طاوياً هو وأهله ،  
لا يجد من رديء التمر ما يملأ به بطنه .
- كانت تمر الأهلّة الثلاثة لا يوقد في بيته نار ، إنما هو الماء والتمر .
- ما شبع من طعام برّ ثلاث ليالي تباعاً حتى قبض ، وما رأى النقي من الخبز  
حتى قبض ، ولا رأى مُنخلاً ، إنما كانوا يأكلون الشعير بغير نخل .
- خرج مرّةً عليه الصلاة والسلام فرأى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقال :  
« ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟ قالوا: الجوع يا رسول الله، قال:  
وأنا والذي نفسي بيده، لأخرجني الذي أخرجكما . »
- وربما شكوا إليه الجوع، وكشفوا عن بطونهم، كلٌّ منهم قد ربط حجراً على  
بطنه ، فيكشف هو ﷺ عن حجرين على بطنه من شدة ما يجده من الجوع .
- ثم مات عليه الصلاة والسلام وما ترك شيئاً خلفه إلا أرضاً صدقة ،  
وبغلته ، وشيئاً من شعير ، قد رهن درعه عند يهودي في طعام أخذه  
لأهله .
- دخل عليه بعض أصحابه وهو نائم على حصير قد أثر في جنبه الشريف،  
فقالوا : « لو اتخذت وطاءً، فقال: ما لي وللدنيا ، ما أنا في الدنيا إلا  
كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها . »
- وكثيراً ما كان يدعو يقول : « اللهم أحيني مسكيناً ، وأمّتي مسكيناً،

واحشرنى في زمرة المساكين» .

- ويقول : « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة » .
- أيها المسلمون : هذا موقف نبينا محمد ﷺ من الدنيا ، وهذا مقام زهده فيها، فما هو مقامنا نحن ، وما موقفنا منها؟

\* \* \*

- أيها الإخوة : إن مما يُعين على الزهد في الدنيا : تذكر الآخرة ، فهي دار البقاء ، وإليها المنتهى ، والدنيا مهما طالَّت فهي دار الفناء، فالعاقل يقدم الباقية على الفانية، والقادمة على الراحلة، فكل آتٍ قريب.
- وإن مما يعين على الزهد زيارة القبور ، يقول الرسول ﷺ : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها؛ فإنها تُزهد في الدنيا ، وتذكر الآخرة » .
- ثم إن الدنيا - بكل ما تحويه - لا تعدل عند الله جناح بعوضة، وإلا ما سقى كافراً منها شربة ماء، يُعطيها من يحب ، ومن لا يحب.
- ثم إن الزهد في الدنيا لا يمنع وصول خير قدره الله لك ، كما أن الحرص عليها لا يأتيك بشيء لم يكتبه الله لك.
- فليس الزهد في تحريم الحلال أو إضاعة المال، وإنما الزهد في ترك ما لا ينفع العبد في الآخرة.

## ٦ - أحداث ما بعد حجة الوداع

- أيها المسلمون : بعد أن قضى رسول الله ﷺ نُسكَهُ ، وأتمَّ حجَّه أمر أصحابه أن يودّعوا البيت، ثم سار بهم إلى المدينة.
- وبعد أن استقر في المدينة أعدَّ العدة للروم، فجهَّز جيشاً قوياً ، وأمر عليهم الشاب أسامة بن زيد رضي الله عنهما.
- وقد وجد بعض الناس من امرته شيئاً، فبلغ ذلك الرسول ﷺ فقال : « إنه لخليق بالإمارة »؛ يعني إنه أهل لها ، ثم أمره أن يسير على بركة الله.
- وبعد أن سار الجيش بدأ برسول الله ﷺ مرض شديد ، وذلك حين حضر جنازة بالقيع، وكان في ذلك اليوم عند زينب بنت جحش رضي الله عنها.
- ثم اشتدَّ مرضه عند ميمونة، فاستأذن زوجته أن يمرض عند عائشة رضي الله عنها ، وكان أول مرضه صداعاً شديداً، ثم أعقبته حمى.
- ولما بلغ أسامة بن زيد رضي الله عنهما مرض الرسول ﷺ أوقف الجيش، وظهر شيء من التمرد في بعض الأمصار ، وظهر بعض الكذابين، مثل: الأسود العنسي، ومسيلمة الكذاب، وطليحة الأسدي يدعون النبوة ، ويتمردون على الحق.
- وقد مرض الرسول ﷺ أربعة عشر يوماً ، كان يصلي بالناس عشرة أيام، أما باقي الأيام فلم يخرج لهم إلا قليلاً، وكان أبو بكر رضي الله عنه يصلي بهم نيابة عنه ﷺ.
- خرج مرة مُسنداً بين العباس وعلي رضي الله عنهما ، فصلى قاعداً ، وخرج مرة بعد أن صبوا عليه سبع قرب من ماء، فخطب الناس وصلى بهم الظهر.

- وأخذ الرسول ﷺ يستسمح الناس ويتحللهم، ويقول: « من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي ».
- وألحَّ عليهم في ذلك، وأخبرهم: « أن عبداً خيَّره الله بين أن يُؤتية من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده فاختر ما عنده »، فبكى أبو بكر رضي الله عنه، واستغرب الناس بكاءه، وكان أعلمهم بكلام الرسول ﷺ؛ إذ إن العبد المُخيَّر كان هو رسول الله ﷺ.
- وفي يوم الأحد الحادي عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من الهجرة أعتق الرسول ﷺ غلماناً، وتصدَّق بسبعة دنانير كانت عنده، ووهب أسلحته للمسلمين، ولم يترك شيئاً ذا بال.
- وفي صباح يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول فاجأ الرسول ﷺ المصلين خلف أبي بكر رضي الله عنه في صلاة الفجر فكشف الستر الذي بينه وبينهم، حتى كادوا يفتنون برؤيته، وقد أشرق وجهه كأحسن ما يكون، وظهرت عليه الصحة، فأشار إليهم أن يُتمُّوا صلاتهم، ثم أرخى الستر، فما رُوي بعدها حياً.
- ودعا أهله فأوصاهم، وأبلغ فاطمة رضي الله عنها أنها من خير نساء العالمين، وأنها أول أهله لحوقاً به، وأنه يموت في مرضه هذا.
- ولما اشتدَّ النهار من وقت الضحى نزل برسول الله ﷺ ما ينزل بالأموات، فأسندته عائشة رضي الله عنها إلى صدرها وهو يقول: « إن للموت لسكرات ».
- وعنده قدح من ماء يمسح بالماء وجهه كلما اشتد عليه كرب الموت، ودخل عليه عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما وفي يده سواك فنظر إليه،

- فأخذته عائشة رضي الله عنها وليتته له فاستاك به كأحسن ما يكون، وأخذ يوصي، فأوصى بكتاب الله وبسنته، ويقول : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »، وأمر بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، وأوصى بالوفد خيراً، وآخر ما أوصى به الصلاة والمملوكين.
- وفي آخر لحظاته من الدنيا ﷺ قال : « اللهم الرفيق الأعلى »، فعلمت عائشة رضي الله عنها أنه خيرٌ عليه الصلاة والسلام فاخترت الموت ولقاء الله تعالى، ثم مال رأسه تجاهها وخرجت من فمه الشريفة قطرة فعلمت أنه قد قضى إلى ربه، فوضعت رأسه على الوسادة وقامت تصيح وتبكي مع النساء، قد دخلها الذهول والمفاجأة.
- ولما وصل خبر وفاته ﷺ إلى الناس ذهلوا وماجوا وطاشت عقولهم، واختلفوا في موته، فقائلٌ بموته، وقائلٌ بحياته.
- ورغم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ممن قال بحياة الرسول ﷺ فقد نصر الله به ؛ إذ قمع به المنافقين الشامتين برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين حين نزلت بهم هذه المصيبة، فهدد من يقول بموته بالقتل.
- وفي هذه اللحظات العصبية المخرجة يصل رجل الساعة، رجل الموقف أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فقد كان خارج المدينة عند وفاة رسول الله ﷺ.
- دخل أبو بكر رضي الله عنه على الرسول ﷺ فأيقن بوفاته وقال: « طبت حياً وميتاً يا رسول الله »، وخرج على الناس ، فقرأ عليهم قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ .
- وقال: « من كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم

يعبد الله فإن الله حي لا يموت .»

- فرجع الناس إلى صوابهم وأيقنوا واحتسبوا هذه المصيبة عند الله تعالى.
- قال أنس بن مالك رضي الله عنه : « ما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ، وما رأيت يوماً كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ .»

\* \* \*

- أيها الإخوة : لقد أمضى الرسول ﷺ ثلاثة وعشرين عاماً من عمر الدنيا ختمها بالحج، غير فيها وجه التاريخ، وعدل فيها مجرى الحياة، ولم يكن هذا لأحد قبله ، ولن يكون لأحد بعده.
- لقد خرج الرسول ﷺ من الدنيا وقد أكمل الله به الدين ، وأتم به النعمة، فقد أنزل الله عليه يوم عرفة: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .
- أيها المسلمون : من كان محباً لرسول الله ﷺ فليأخذ بوصاياه ، فقد أوصى بكتاب الله وسنته، وحدّر من الغلو في شخصه باتخاذ قبره عيداً.
- وأمر عليه الصلاة والسلام بتطهير الجزيرة العربية من اليهود والنصارى والمشركين؛ لتكون خالصة لأهل التوحيد.
- وأمر بالصلاة ورحمة العبيد من المملوكين، والإحسان إليهم.
- أيها المسلمون : لننظر في أحوالنا : أين هي مواقع هذه النصائح والوصايا النبوية في حياتنا اليوم؟ إن الواقع مؤلم والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

## ٧ - محبة الرسول ﷺ للأطفال

- أيها المسلمون : تأتي شخصية رسول الله ﷺ لتعبّر عن الكمال البشري المطلق .
- فأينما جال البصر ، وتأمل العقل في هذه الشخصية العظيمة وجد الكمال والسمو في أبهى وأحسن صورة.
- إن كمال شخصية الرسول ﷺ يشمل جوانب عديدة، منها :
- الجانب الإيماني : فهو أكمل الخلق إيماناً ، وأعظمهم يقيناً ، وأقواهم صلة بالله .
- الجانب العبادي : فهو أعظم الناس عبادة : صلاة ، وصياماً ، وذكرأ ، وتسبيحاً ، واستغفاراً.
- الجانب الجهادي : فهو أشجع الخلق ، وأقربهم للعدو في المعركة ، لا يهاب أحداً إلا الله تعالى .
- الجانب السياسي : فقد نجح في إدارة الدولة ، وتوزيع الثروة ، وتنظيم شؤون الناس .
- الجانب الاجتماعي : فقد تفوّق في صحبته لأصحابه، ورعايته لأهله وأولاده، ومراعاته لأحفاده.
- أينما نظرت وجدت الكمال البشري المطلق في شخصيته عليه الصلاة والسلام .
- ولعلنا نتطرق لجانب من شخصيته ﷺ ، قد يكون مجهولاً عند البعض، وهو محبته للصغار .
- وجانب المحبة في شخصيته ﷺ إنما هو زاوية صغيرة جداً من هذه الشخصية

النبوية العظيمة .

- فهذه مجموعة من الأحاديث النبوية التي تشير إلى عظيم محبته للصغار ،  
ورحمته إياهم :

- روى أحمد وأبو داود من حديث بريدة رضي الله عنه قال: « كان النبي ﷺ يخطب، فأقبل الحسن والحسين، وعليهما قميصان يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما واحداً من ذا الشق وواحداً من ذا الشق، ثم صعد المنبر فقال: « صدق الله العظيم: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾، إني نظرت إلى هذين الغلامين يمشيان يعثران، لم أصبر أن قطعت كلامي ونزلت إليهما ».

- وروى البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: « أبصر النبي ﷺ صبيانا مقبلين من عرس، فقام ممتناً، فقال: اللهم أنتم من أحب الناس إليّ ».

- وروى البخاري أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يضع الحسن على فخذه وأسامه بن زيد - رضي الله عنهم أجمعين - على فخذه، ثم يقول: « اللهم إني أحبهما فأحبهما ».

- روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ أخذ الحسين فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه، فوضع فاه على فيه، فقبله وقال: « حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً ».

- وروى أحمد أيضاً من حديث يعلى العامري رضي الله عنه: « أنه جاء حسن وحسين رضي الله عنهما يستبقان إلى رسول الله ﷺ فضمهما إليه وقال: إن الولد مبخلة مجبنة ».

- روى أبو الشيخ في كتاب أخلاق النبي ﷺ بسند حسن عن أبي هريرة رضي



- الله عنه : « أن النبي ﷺ كان يدلُّعُ لسانه للحسين بن عليٍّ، فإذا رأى الصبي حمرة لسانه، بهشَ إليه (أي : أسرع إليه) وتناوله » .
- وهكذا يظهر الرسول ﷺ بشخصية سوية فطرية ، لا تكلف فيها ، يحب الطفل، ويداعبه، ويلطفه، ويستأنس به في غير جمود ولا قسوة.
  - لقد أسر بشخصيته عليه الصلاة والسلام الجميع ، الكبار والصغار، فكان يحق أحب الناس إلى المسلمين على الإطلاق.
  - إنها الشخصية الكاملة ، إنها الرحمة المهداة من رب العالمين .



- أيها الإخوة : إن شخصية رسول الله ﷺ ليست شخصية عادية، فهو المشغول بربه وعبادته، وهو القائد الذي شغلته سياسة دولته، وهو المربي الذي شغله أصحابه، وهو المعلم الذي شغله الجاهل، وهو الزوج الذي شغله نساؤه، ومع ذلك فقد وجد من نفسه الفرصة ليرعى الصغار، ويعطيهم من وقته وحبه ورحمته.
- كم نالت هذه الشخصية من واقع حياتنا، في عبادتنا، ومعاملاتنا، وأخلاقنا؟
- ما هو حجم اقتدائنا برسول الله ﷺ في سلوكه وخلقه ؟
- إنها أسئلة تحتاج منا إلى جواب، ومراجعة للنفس.



## ثالث عشر : التراجم والشخصيات:

- ١ - القائد سعد بن أبي وقاص .
- ٢ - أنس بن مالك .
- ٣ - جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري .



## ١ - القائد سعد بن أبي وقاص

- أيها الإخوة : لقد مرت على الحياة أجيال بشرية كثيرة ، تعاقبت على هذه الأرض، يخلف بعضهم بعضاً.
- فمنذ أن أهبط الله آدم وزوجه إلى الأرض والبشر يتناسلون ويتكاثرون، وتأتي الأجيال عقب الأجيال.
- ولقد تفاوتت هذه الأجيال المتعاقبة في الفضل والمكانة ، إلا أنه لم يأت جيلٌ، ولن يأتي جيلٌ أفضلٌ من الجيل الذين صحبوا رسول الله ﷺ، والذين خصَّهم الله بالصحبة النبوية دون غيرهم، فهم في الجملة أفضلٌ وأحسنُ الأجيال.
- والناظر في شخصيات ذلك الجيل الفريد الذي تشرفَّ بصحبة النبي ﷺ ، يجدهم كالنجوم في تألقهم وكمالهم.
- فلكل واحد منهم شخصيته المتميزة عن غيره، فهم يشتركون في صفات كثيرة، إلا أنه يتميز كلُّ واحد منهم بمميزات خاصة به.
- فأينما نظرت في شخصيات ذلك الجيل الفريد : تعجَّبت من تنوع تلك الشخصيات التي جمعها جميعاً الفضل والإحسان والتفوق.
- فهم بالفعل كالنجوم في السماء ، قد جمعها وصف الإضاءة والتألق والشموخ، مع تفاوت بينها في البروز وشدة الإضاءة.
- فمنهم العالم الحافظ ، ومنهم المجاهد البطل ، ومنهم التَّقِيُّ الورع ، ومنهم العابد المتنسِّك، ومنهم المنفق المتصدق، ومنهم القائد الفدِّ.
- لقد جمعوا في جملتهم - رضي الله عنهم - الخير والفضل الذي توزَّع في الآخرين، فما من فضيلة إلا وقد وُجدت فيهم.

- وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : « لا تسبوا أحداً من أصحابي ، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحدٍ ذهباً ، ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه ».
- وقال ﷺ أيضاً : « أصحابي أمانةٌ لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون ».
- أيها الإخوة : من بين العشرة المبشرين برضوان الله والجنة ، رجل من الأولين ، أسلم في السابعة عشرة من عمره .
- فكان حين أسلم ثلث الإسلام ، فعاتبته أمه على إسلامه عتاباً شديداً ، حتى امتنعت عن الطعام والشراب للضغط عليه ، فثبت ولم يطاوعها .
- وقال لها : « والله لو كانت لك ألف نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء » ، فلما يئست منه أكلت وشربت ، وعادت إلى حياتها الطبيعية .
- وأنزل الله فيه : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ ، وكان - رضي الله عنه - باراً بها .
- إنه أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري المكي رضي الله عنه ، شهد المواقع كلها مع الرسول ﷺ ، وكان من المرشحين للخلافة بعد عمر رضي الله عنه .
- وعلى الرغم من كمال شخصيته ، وتفوقه في جوانب كثيرة ، إلا أن الشخصية الجهادية القتالية ، والقيادة العسكرية قد غلبت عليه .
- فكان الرجلَ يوم أحد ، فقد نثر له رسول الله ﷺ كينأته ، وكان يناولهُ السهام ، ويقول : « ارم فداك أبي وأمي » .
- وما جمع رسول الله ﷺ أباه وأمه لأحد من أصحابه إلا لسعد رضي الله عنه ، فهي خاصة له ، يتميز بها على غيره من الصحابة .

- وكان رضي الله عنه لا يكاد يخطئ الرمي ، حتى إنه ليرمي بالسهم دون نصل ، فيصيب به العدو.
- وربما التقط بسهمه الرجل المحصن في دروعه وترسه ، فيُرديه قتيلاً .
- وربما رمى بالسهم الواحد المرتين والثلاث ، كلما عاد إليه السهم التقطه ورمى به فيصيب.
- وقيل : إنه رمى يوم أحد بألف سهم ، وقد نال شرف أول من رمى وأراق دمًا في سبيل الله تعالى.
- وكان بطل الإسلام ، وقائد الجيش الإسلامي المظفر يوم القادسية ، ويوم جَلولاء مع الفُرسِ.
- وفتح الله على يديه مدائن كسرى ، وكان من أشدّ وأقوى أصحاب الرسول ﷺ.
- ومع كلِّ هذا كان من ألطف الناس وأرحمهم بالمسلمين؛ فقد لوحظ ذلك حين تولى إمارة الكوفة بالعراق، بعد أن أسسها وبنها.
- كان يتلمّس حاجات الناس والمساكين ، ويعطف على المحتاجين والأرامل ، ومع ذلك لم يخلص من ألسنة المبطلين.
- حتى إن بعضهم طعن في أمانته ، وعلمه ، وأخلاقه ، بل إن بعضهم اتهمه بأنه لا يحسن الصلاة.
- وهكذا أهل الباطل في كلِّ زمان يتلمّسون للبرآء العنت، فكان لا يدعو على أحد من خصومه إلا أصابته الدعوة.
- فقد دعا له رسول الله ﷺ بأن يكون مُجاب الدعوة فقال: « اللهم استجب لسعد إذا دعاك »، فكان بعدها مجاب الدعوة.

\* \* \*

- أيها المسلمون : جلس الرسول ﷺ مرة مع بعض أصحابه وقال : « يطلعُ عليكم الآن رجل من أهل الجنة » ، فطلع سعد رضي الله عنه .
- وخرج مرة سعد رضي الله عنه ، فلما رآه رسول الله ﷺ ابتهج لرؤيته وقال : « هذا خالي ، فليُرني امرؤ خاله » ، يفتخر به رسول الله ﷺ .
- شعر مرة رسول الله ﷺ بمجافته إلى الحراسة حتى ينام ، فإذا بسعد رضي الله عنه على بابه ، فقال : « من هَذَا ؟ قال : سعد بن أبي وقاص ، جئتُك أحرسك » .
- يقول سعد رضي الله عنه : « لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ سابع سبعة ، ما لنا طعام إلا ورق السَّمُر ، حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة » .
- بكى ولده عند وفاته فقال : « ما يبكيك ؟ قال : لمكانك وما أرى بك - يعني من كرب الموت - فقال : لا تبك ، فإن الله لا يعدُّني أبداً ، وإنني من أهل الجنة » .
- يقول ذلك - رضي الله عنه - من عظيم ظنُّه بالله تعالى ، وحجم ثقته بفضله وإحسانه .



## ٢ - أنس بن مالك

- أيها المسلمون : في أعظم يوم من أيام المدينة المنورة حين قدم إليها رسول الله ﷺ مهاجراً ، فأضاء كل ما فيها ، وفرح الناس بمقدم رسول الله ﷺ .
- فأخذ الناس من الرجال والنساء يتوافدون إلى رسول الله ﷺ يسلمون عليه ، وينظرون إلى طلعتة البهية .
- وأخذ الناس يقدمون خدماتهم إلى رسول الله ﷺ ، كل منهم يريد أن يتحفه بشيء من مسكن أو طعام أو لباس .
- وكان من بين الوافدين على رسول الله ﷺ امرأة بيدها ولد صغير يتيم في العاشرة من عمره ، إنها الرميضاء أم سليم بنت ملحان رضي الله عنها .
- وأما الولد فهو أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري ، جاءت به أمه إلى النبي ﷺ فقالت : « يا رسول الله ، لم يبقَ رجل ولا امرأة من الأنصار إلا وقد أتخفك بتحفة ، وإني لا أقدر على ما أتخفك به إلا ابني هذا فخذ ، فليخدمك ما بدا لك » ، فقبل رسول الله ﷺ خدمة أنس له ، وكانت هذه اللحظة المباركة بداية ارتباط هذه الأسرة بالرسول ﷺ .
- فقد كان ﷺ يدخل عليهم فيجلس عندهم ويأكل ، وربما نام على فراش أم سليم ، حتى إنها لتجمع عرقه في قارورة تبرُّكاً بآثاره .
- وربما داعب الرسول ﷺ ولدها الآخر فيقول له : « يا أبا عمير ما فعل الثُعير » .
- وكثيراً ما كان الرسول ﷺ يدخل بستان أبي طلحة رضي الله عنه ، وهو زوج أم سليم رضي الله عنها ، ويشرب من ماءٍ بارد فيها ، ثم تبرع أبو طلحة بهذا البستان لله تعالى .

- بل ربما زار الرسول ﷺ جدّة أنس مُليكة رضي الله عنها ، فأكل عندها ، وصلى بها وبأنس جماعة ، صلاة النافلة ضحىً .
- لقد ارتبطت هذه الأسرة المباركة برسول الله ﷺ ، وامتزجت به في سفره وإقامته ، حتى إنها كانت تخرج بكاملها في غزوات الرسول ﷺ .
- فأنس في خدمته ، وأبو طلحة زوج أمه في المقاتلة ، وأم سليم في طهي الطعام ورعاية الجرحى .
- ولقد كان أنس رضي الله عنه ملتصقاً بشخص النبي ﷺ في داخل بيته وخارجه ، فقد كان صغيراً يدخل على نساء النبي ﷺ .
- وربما كان النبي ﷺ يخصه ببعض أخباره الخاصة ، التي تكون بينه وبين أزواجه ، فهو الذي نقل خبر طواف النبي ﷺ على نسائه بغسل واحد .
- ولقد كان من أشد الأيام عليه حين بلغ فاحتمل ، فحجبه الرسول ﷺ ، ومنعه من الدخول على نسائه ؛ لأنه قد أصبح رجلاً .
- كان يمضي يومه كله مع الرسول ﷺ وفي خدمته ، فإذا أوى الرسول ﷺ إلى بيته للنوم ، رجع أنس إلى أمه .
- وفي ذات يوم تأخر عن أمه على غير عادته ، فقالت له : « ما حبسك ؟ قال : بعثني النبي ﷺ في حاجة له ، قالت : وما هي ؟ قال : سرٌّ ، قالت : احفظ على رسول الله سرّه » ، وبقي هذا الأمر سرّاً حتى مات أنس رضي الله عنه .
- وكثيراً ما كان الرسول ﷺ يداعبه ويلطفه فيقول له : « يا ذا الأذنين » ، وربما عانى النبي ﷺ من بعض ما يصدر منه لكونه كان طفلاً .
- فيقول أنس رضي الله عنه ، يحكي هذه الحادثة : « كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً ، فأرسلني يوماً لحاجة ، فقلت : والله لا أذهب ، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني نبي الله ﷺ ، قال : فخرجت حتى أمرت على

- الصبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قابض بقفاي من ورائي، فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: يا أنيس اذهب حيث أمرتك، قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله».
- وعلى الرغم من أنه قابل النبي ﷺ بعبارة قاسية: « والله لا أذهب » ، وهذا مما يصدر كثيراً عن الأطفال، فإن الرسول ﷺ قابله بالحلم والصبر، ولهذا كان أنس رضي الله عنه يقول: «خدمته عشر سنين، فما ضربني ولا سبني، ولا عبس في وجهي».
- وكانت أم سليم رضي الله عنها تتحیی فرصة قدوم الرسول ﷺ عليها فتطلب منه الدعاء لأنس، فدعا له: « اللهم ارزقه مالاً وولداً وبارك له ».
- فكان أنس رضي الله عنه بعد ذلك من أوسع وأغنى الناس ، وقد زاد أولاده من صلبه على المائة، ودفن منهم خلقاً كثيراً.
- وكان له بستان يطرح الفاكهة مرتين في السنة، وربما دعا زمن القحط فتأتي السحابة فتسقي بستانه وتذهب.
- وقد عمّر حتى تجاوز المائة، ولم ينكر من عقله شيء، وكان رامياً لا يكاد يخطئ، فقد خرج مرة على أولاده وهم يرمون ولا يحسنون الرمي ، فقال لهم: «يا بنيّ بئس ما ترمون»، ثم أخذ القوس ورمى فما أخطأ الهدف.
- وكان أشبه الناس صلاة بالرسول ﷺ ، وكان كثير العبادة ، يقوم حتى تتفطر قدماه بالدم، وكان يحيي ما بين العشاءين بالصلاة.
- لم يتولّ من الولايات شيئاً إلا أنه كان مبعوث أبي بكر رضي الله عنه على زكاة أهل البحرين، وقد كان شاباً صغيراً إلا أنه لبيبٌ كاتب.
- من عظم حبه وطاعته للرسول ﷺ أنه سمع منه قوله: « البُصاقُ في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها »، فتنحّم مرة في المسجد، ونسي أن يدفنها حتى

كان الليل، ثم تذكر فأخذ شعلة من نار يستضيء بها، وبحث عن النخامة في المسجد حتى وجدها، فدفنها طاعة لأمر الرسول ﷺ.

\* \* \*

- أيها الإخوة : لم تكن حياة أنس سهلة رغم ما كان فيه من سعة الرزق وكثرة الولد والصحة .
- فقد عاش في وسط التابعين ، حين مضى أصحاب رسول الله ﷺ ولم يبق ممن صلى إلى القبلتين إلا هو .
- وكان يقول : « لم يبق أحد ممن صلى إلى القبلتين غيري » .
- ويقول : « لقد بقيت حتى سئمت الحياة » .
- وقد ابتلي في ولده فأصيب أكثرهم بالطاعون، ودفن منهم مائة .
- كما أصيب في نفسه بالأذى من الحجاج بن يوسف الذي كان والي العراق، وكان أنس بالبصرة .
- فكان يضيق عليه ويؤذيه، وربما تجرأ عليه بقبيح القول، لا يقدر مقامه وسابقته وكبر سنه .
- فلما اشتد به أذى الحجاج كتب إلى الخليفة عبد الملك بن مروان يشكوه إليه، فكتب يقول : « إنني خدمت رسول الله ﷺ تسع سنين، والله لو أن النصارى أدركوا رجلاً خدماً نبيهم لأكرموه » .
- فكتب عبد الملك للحجاج ليعتذر منه ، ويكف أذاه عنه .
- كان رضي الله عنه لا تفوته ليلة إلا ويرى فيها رسول الله ﷺ في المنام فيبكي لذلك ويشتاق .

- حتى إذا كانت الوفاة أوصى بشعرة من شعرات رسول الله ﷺ وعصا له تدفن معه، فمات بالبصرة بعد أن تجاوز المائة.
- وخلف جمعاً كبيراً من التلاميذ ينقلون عنه أكثر من ألفين ومائتي حديث عن رسول الله ﷺ.
- لقد عاش أنس رضي الله عنه مسالماً لا يؤذي أحداً ، يفعل الخير ، ويترك الشر ، ومع ذلك لم يتركه الأشرار حتى ضيقتوا عليه في آخر حياته.
- هذا أنس أيها الإخوة تلميذ من مدرسة محمد ﷺ ، فأحبوه فإن رسول الله ﷺ كان يحبه.

### ٣ - جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري

- أيها المسلمون : في يوم من أيام منى قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة بايع سبعون رجلاً وامرأتان رسولَ الله ﷺ على أن يمنعه مما يمنعون منه أنفسهم وأهليهم.
- ومن بين هؤلاء المبايعين صبيٌّ صغير يرافق أباه ، ويحضر هذا الموقف العظيم، إنه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري رضي الله عنه.
- نشأ مع تسع أخواتٍ له ، وقد ماتت أمُّه ، وكان هو وأبوه يقومان على البنات : رعاية وتربية .
- وكثيراً ما كان يتخلَّف عن الجهاد مع رسول الله ﷺ بسبب رعاية أخواته ، فقد كان أبوه يأمره بالتخلَّف معهن، والقيام برعايتهن.
- وقد كان مُتَشَوِّقاً مُتَحَرِّقاً للقتال مع رسول الله ﷺ ، إلا أنه لم يجد بداً من طاعة أبيه ، ورعاية أخواته.
- ولما استشهد أبوه عبد الله رضي الله عنه يوم أحد لم يتخلَّف بعد ذلك عن غزوة مع رسول الله ﷺ، حتى حضر ثماني عشرة غزوة ، وبيعة الرضوان.
- في إحدى غزواته مع الرسول ﷺ في طريق العودة مرض جملهُ فأبطأ المسير، فجاءه الرسول ﷺ فأخذ بالجمل فإذا هو أسرع ما يكون، فاشتراه الرسول ﷺ.
- واشترط جابر رضي الله عنه على الرسول ﷺ أن يسلمه الجمل في المدينة، فإذا بالرسول ﷺ حين وصل إلى المدينة يعطيه الثمن والجمل.
- وفي الطريق أخذ الرسول ﷺ يحدث جابراً ويسأله عن زواجه، فقد تزوج ثيباً لرعاية أخواته، فأخذ الرسول ﷺ يستغفر له خمساً وعشرين مرة.

- وفي أثناء حفر الخندق بلغ الناس جهد شديد وجوع، حتى كانوا يربطون الأحجار على بطونهم، وكان الرسول ﷺ يربط الحجريين على بطنه.
- فلما رأى جابر رضي الله عنه الجهد الذي أصاب الرسول ﷺ صنع طعاماً له ولبعض أصحابه ثم دعاه، فإذا بالرسول ﷺ يصيح في أهل الخندق كلهم يدعوهم إلى الطعام.
- فكانت المعجزة فإذا بكل هؤلاء يأكلون ويشبعون من طعام قليل ببركة دعاء الرسول ﷺ.
- أيها الإخوة : اشترى يهودي ثمار بستان جابر رضي الله عنه ، ولم يتمكن جابر من جدد الثمار وتسليمها لليهودي ، واليهودي مُصِرٌّ على التسليم في الوقت دون تأخير .
- فلما بلغ الخبر الرسول ﷺ جاء يتوسط بينهما ، فأخذ يُلح على اليهودي بالانتظار، واليهودي يأبى ذلك.
- فجلس الرسول ﷺ في عريش بالبستان وأكل من ثماره ، ثم نام قليلاً ، ودعا لجابر بالبركة ، ثم خرج.
- فإذا بجابر رضي الله عنه يُوفَّق لتوفية الرجل حقه بالكامل ، مع زيادة كبيرة ببركة دعاء الرسول ﷺ.
- وفي مرة بلغ الرسول ﷺ أن جابراً رضي الله عنه قد مرض فعاده الرسول ﷺ ، فوجده مغمى عليه لا يعقل ما حوله ، فتوضأ ثم صب عليه من وضوئه فأفاق.
- وقد كان جابر رضي الله عنه من أحرص الصحابة على العلم ، فقد كان من فقهاء الصحابة ورواة الحديث، فقد روى عن الرسول ﷺ ألفاً وخمسمائة حديث، وهو أوثق وأطول من روى حديث الحج المشهور.

- وبعد وفاة الرسول ﷺ كان من المفتين بالمدينة ، وكانت له حلقة يعلم فيها الناس، ويفتيهم.
- ومن أعجب ما يروى عن جابر في حرصه على العلم أنه سمع الناس في المدينة يتناقلون خبر القصاص يوم القيامة، وينسبون الخبر إلى الصحابي عبد الله بن أنيس رضي الله عنه الذي انتقل إلى الشام.
- فإذا بجابر رضي الله عنه يشتري راحلة ويشد عليها متاعه، ويسافر إلى الشام شهراً كاملاً حتى وصل إلى منزل عبد الله بن أنيس رضي الله عنه.
- فدق الباب فخرج له البواب فقال: « قل له جابر، فقال: جابر بن عبد الله؟ قال: نعم »، فأخبر عبد الله فخرج مُسرِعاً فاعتنقه.
- فقال له جابر رضي الله عنه: « حديث بلغني عنك سمعته من رسول الله ﷺ ولم أسمع في القصاص، فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمع، فقال عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الله العباد أو قال: الناس عراة غرلاً بهماً ، قال: قلت : ما بهماً ؟ قال: ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قُرب: أنا الملك أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة ، حتى أقصه منه حتى اللطمة، قال: قلنا: كيف ذا وإنما نأتي الله غرلاً بهماً ؟ قال : بالحسنات والسيئات ، قال: وتلا رسول الله ﷺ: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾ .»
- فما أن سمع جابر الخبر من عبد الله رضي الله عنهما حتى عاد أدراجه إلى المدينة ولم يمكث بالشام.

\* \* \*



- أيها الإخوة : لقد عمّر جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أربعاً وتسعين سنة، قضاها في الجهاد والعلم والتعليم ، حتى كُفَّ بصره في آخر عمره.
- مات رضي الله عنه سنة ٩٨ هـ ، وكان آخر من مات من شهد بيعة العقبة الثانية .
- لقد عاش حياته مسالماً لا يؤذي أحداً ، فقد مات في زمن الحجاج بن يوسف ، فصبر على ظلمه.
- حجّ في آخر عمره وقد كُفَّ بصره، فأخبره الناس عن توسع أهل السلطان في ملابسهم وزيتهم وظلمهم، فقال رضي الله عنه : « ليت سمعي قد ذهب كما ذهب بصري، حتى لا أسمع من حديثهم شيئاً ولا أبصره ».
- يقول ذلك خشية من مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن من سمع أو رأى فقد وجب عليه الإنكار والتغيير، فكره رضي الله عنه المسؤولية.



# المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة .....
١١	<b>أولاً : التربية الإيمانية:</b> .....
١٣	١ - ضرورة الإيمان برسول الله ﷺ والتأسي به .....
١٨	٢ - محبة الرسول ﷺ .....
٢٤	٣ - قصة الإنسان على الأرض من البداية إلى النهاية .....
٢٩	٤ - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون .....
٣٤	٥ - المشغولون عن الآخرة .....
٣٨	٦ - المصير المحتوم .....
٤٢	٧ - القبر أول منازل الآخرة .....
٤٧	٨ - قيمة الوقت عند أهل القبور .....
٥١	٩ - ضرورة التوبة .....
٥٥	١٠ - التعامل مع المصائب .....
٥٩	١١ - مقام التوكل على الله .....
٦٣	١٢ - عالم الجن والشياطين .....
٦٨	١٣ - السُّحر والشعوذة .....
٧٣	١٤ - ظاهرة النفاق في تاريخ الأمة المسلمة وخطرها .....
٧٧	١٥ - تعامل المنافقين مع التطرف الديني .....

٨١	.....	<b>ثانياً : التربية التعبديّة:</b>
٨٣	.....	١- صدق الخشوع في الصلاة - أهميته وفضله
٨٧	.....	٢- الهداية الربانية إلى عبادة الصيام
٩١	.....	٣- وجاء رمضان
٩٥	.....	٤- تجار رمضان
٩٩	.....	٥- الأخلاق في رمضان
١٠٣	.....	٦- درس الجوع في رمضان
١٠٧	.....	٧- فضائل ليلة القدر
١١١	.....	٨- فرحة الصائمين وخيبة المفرطين
١١٥	.....	٩- التشرف بالتكليف
١١٩	.....	١٠- خطبة الرسول ﷺ يوم الحج الأكبر
١٢٢	.....	١١- تعظيم حرمة جوار البيت
١٢٦	.....	١٢- باب الدعاء وفضله
١٣١	.....	<b>ثالثاً : التربية الأخلاقية:</b>
١٣٣	.....	١ - خصال أهل الخير
١٣٦	.....	٢ - صفات الإنسان الصالح
١٤٠	.....	٣ - سلوك المسلم بين الصغائر والكبائر
١٤٤	.....	٤ - خلق المسلم بين الحلم والغضب
١٤٩	.....	٥ - خلق الإيثار

- ٦ - ذم الغيبة وقبيح مسلكها ..... ١٥٣
- ٧ - مقام الصبر في الإسلام ..... ١٥٨
- ٨ - الوصايا العشر في سورة الأنعام ..... ١٦٢
- ٩ - الجريمة المعاصرة والحاجة إلى الأمن ..... ١٦٧
- ١٠ - منكرات الصيف ..... ١٧٢
- ١١ - مسؤولية الكلمة ..... ١٧٥
- ١٢ - ماذا يريد الإعلاميون من الناس؟ ..... ١٧٩
- رابعاً : التربية الاجتماعية :** ..... ١٨٣
- ١ - الحقوق الشرعية ..... ١٨٥
- ٢ - المظالم الاجتماعية ..... ١٨٩
- ٣ - الحياة الاجتماعية بين المغام والمغارم ..... ١٩٣
- ٤ - مداراة الناس ..... ١٩٧
- ٥ - صناعة المعروف ..... ٢٠١
- ٦ - صلة الأرحام ..... ٢٠٥
- ٧ - إصلاح ذات البين ..... ٢٠٩
- ٨ - خطر التناقض الاجتماعي على التربية ..... ٢١٣
- ٩ - حاجة الأمة إلى الشباب ..... ٢١٨
- ١٠ - حال المرأة في آخر الزمان ..... ٢٢٢
- ١١ - ضوابط تشغيل النساء ..... ٢٢٦

٢٣٠	..... ١٢ - المرأة والعمل السياسي
٢٣٦	..... ١٣ - غطاء وجه المرأة بين الواقع والفقہ
٢٤٠	..... ١٤ - المرأة والرياضة البدنية
٢٤٥	..... ١٥ - المرأة وقيادة السيارة
٢٥١	..... <b>خامساً : التربية الزوجية:</b>
٢٥٣	..... ١ - سنة الزواج في الإسلام
٢٥٨	..... ٢ - الزواج ووسائل نجاحه
٢٦١	..... ٣ - تيسير مؤونة الزواج
٢٦٥	..... ٤ - التأهيل للحياة الزوجية
٢٦٩	..... ٥ - صدمات الحياة الزوجية
٢٧٥	..... <b>سادساً : التربية العقلية:</b>
٢٧٧	..... ١ - مقام العلم بين العالم والمتعلم
٢٨١	..... ٢ - شروط التفوق العلمي
٢٨٦	..... ٣ - مؤسساتنا التعليمية وأزمة الإبداع
٢٩٠	..... ٤ - مسؤولية المؤسسات التعليمية والواقع المؤلم
٢٩٤	..... ٥ - الموقف من التعليم الديني
٢٩٨	..... ٦ - اللغة العربية وقضية تعليم اللغة الأجنبية
٣٠٣	..... <b>سابعاً : التربية الصحية:</b>
٣٠٥	..... ١ - المرض والتداوي في الإسلام

٣٠٩	٢ - الإسلام بين الروحية والجسدية.....
٣١٣	٣ - أزمة حوادث المرور.....
٣١٦	٤ - أزمة المخدرات.....
٣١٩	<b>ثامناً : التربية الجهادية:</b> .....
٣٢١	١ - الفدائية في الجهاد الإسلامي .....
٣٢٥	٢ - معركة مؤتة الفاصلة .....
٣٣٠	٣ - غزوة حنين - الموقف والعبرة .....
٣٣٤	٤ - الحرب اليهودية على لبنان ١٤٢٧هـ .....
٣٣٩	<b>تاسعاً : التربية الاقتصادية:</b> .....
٣٤١	١ - فتنة المال .....
٣٤٥	٢ - فضل الصدقة وثوابها .....
٣٤٩	٣ - الأسباب الحقيقية للأزمات الاقتصادية .....
٣٥٣	٤ - الرشوة وخطرها على المجتمع .....
٣٥٧	<b>عاشراً : التربية السياسية:</b> .....
٣٥٩	١ - غربة الدين في آخر الزمان .....
٣٦٣	٢ - الأمة العاجزة .....
٣٦٧	٣ - حق المسلمين في الحياة الكريمة .....
٣٧١	٤ - مبشرات النصر والتمكين .....
٣٧٥	٥ - حب الوطن .....

- ٦ - حبُّ الرئاسة والقيادة ..... ٣٧٩
- حادي عشر : التربية الدعوية:** ..... ٣٨٣
- ١ - لماذا ينصرف الحائرون عن الإسلام؟ ..... ٣٨٥
- ٢ - حقوق الإنسان في الإسلام ..... ٣٩٠
- ٣ - حاجة الحضارة الغربية إلى الدعوة الإسلامية ..... ٣٩٤
- ٤ - الحرب الخاسرة على القرآن الكريم ..... ٣٩٨
- ٥ - أين عقلاء الغرب من سفهائهم؟ ..... ٤٠٢
- ٦ - الردُّ على سفهاء الغرب في طعنهم على خير الخلق ..... ٤٠٧
- ٧ - فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقوبة تركها ..... ٤١٤
- ٨ - قصة أصحاب الكهف وما فيها من عبر ..... ٤١٨
- ثاني عشر : السيرة النبوية:** ..... ٤٢١
- ١ - بدء الدعوة الإسلامية ومعاناتها ..... ٤٢٣
- ٢ - السنة العاشرة من البعثة النبوية ..... ٤٢٧
- ٣ - وقفات تربوية مع الهجرة النبوية ..... ٤٣١
- ٤ - خبر قصة الإفك وما فيها من العبر ..... ٤٣٦
- ٥ - مقام الزهد في حياة النبي ﷺ ..... ٤٤٠
- ٦ - أحداث ما بعد حجَّة الوداع ..... ٤٤٣



---

٤٤٧	..... ٧ - محبة الرسول ﷺ للأطفال
٤٥١	..... <b>ثالث عشر : التراجم والشخصيات:</b>
٤٥٣	..... ١ - القائد سعد بن أبي وقاص
٤٥٧	..... ٢ - أنس بن مالك
٤٦٢	..... ٣ - جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري
٤٦٦	..... <b>المحتويات</b>



## صدر للمؤلف

- ١- مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة. (الطبعة العاشرة)، دار المجتمع، جدة.
- ٢- طرق تدريس مواد التربية الإسلامية. (الطبعة الثانية)، دار المجتمع، جدة.
- ٣- الفقر في العالم الإسلامي ودور التربية في التنمية. (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة.
- ٤- وسائل الزوج التربوية في إصلاح الحياة الزوجية. (مجلة رسالة التربية وعلم النفس، العدد (١٩)، ١٤٢٣هـ، الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية، الرياض).
- ٥- جوانب التعارض بين عنصر الأنوثة في المرأة والعمل السياسي من المنظور التربوي الإسلامي. (سلسلة دعوة الحق رقم (٢٠٠)، ١٤٢٣هـ، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة). (الطبعة الثانية)، دار المجتمع، جدة.
- ٦- الفتاة المسلمة والأزمة الأخلاقية في الإعلام المرئي المعاصر من وجهة التربية الإسلامية. (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة.
- ٧- المنطلقات الأساسية للتنمية الاقتصادية في نظام الإسلام التربوي-رؤية معاصرة. (حولية كلية المعلمين في أبها، العدد (٤)، ١٤٢٤هـ، وزارة التربية والتعليم). (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة.

- ٨- مبررات منع المرأة من قيادة المركبات من المنظور التربوي الإسلامي.  
(الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة.
- ٩- الأخلاق الزوجية وأهميتها للفتاة المسلمة في ضوء التربية الإسلامية.  
(مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، العدد (١)، ١٤٢٣هـ، مكة المكرمة).
- ١٠- معيار الأهداف الإسلامية العامة لأسس تربية الفتاة في الإسلام.  
(جزء من رسالة الدكتوراه)، (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة.
- ١١- ضوابط لباس المرأة وزينتها في ضوء التوجيه التربوي الإسلامي.  
(مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- العدد (٥٦) جامعة الكويت). (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة.
- ١٢- أخلاق الفتاة الزوجية- أهميتها ووسائلها التربوية (مجموعة بحوث علمية سبق نشر بعضها)، (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة.
- ١٣- مختصر أخلاق الفتاة الزوجية- أهميتها ووسائلها التربوية (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة.
- ١٤- وسائل المجتمع الاقتصادية لتأهيل الشباب المبكر للحياة الاجتماعية.  
(مجلة التربية، العدد (١٢٠)، كلية التربية، جامعة الأزهر، القاهرة ١٤٢٤هـ). (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة.
- ١٥- الضوابط الشرعية والفنية لمهارات الفتاة اليدوية في ضوء التربية الإسلامية. (مجلة التربية، العدد (١٢٣)، كلية التربية، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٤٢٤هـ)، (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة.

- ١٦- عوامل النوم الصحي المفيد في ضوء التربية الإسلامية. (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة، ١٤٢٥هـ.
- ١٧- ضوابط السلامة التربوية في ممارسة الفتيات للرياضة البدنية. (مستل من رسالة الدكتوراه مع بعض الإضافات العلمية). (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة، ١٤٢٥هـ.
- ١٨- التربية اللغوية العربية- بحث نظري في علاقة الإنسان باللغة وأثرها في تعلم اللغات الأجنبية من منظور إسلامي (مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، دمياط، ١٤٢٦هـ). (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة.
- ١٩- أسس التربية الإيمانية للفتاة المسلمة. (جزء من رسالة الدكتوراه)، (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة، ١٤٢٥هـ.
- ٢٠- أسس التربية الصحية للفتاة المسلمة. (جزء من رسالة الدكتوراه)، (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة، ١٤٢٦هـ.
- ٢١- أسس التربية العقلية للفتاة المسلمة. (جزء من رسالة الدكتوراه). (الطبعة الأولى)، دار الفكر، عمان، ١٤٢٨هـ.
- ٢٢- أسس التربية الاقتصادية للفتاة المسلمة. (جزء من رسالة الدكتوراه). (الطبعة الأولى)، دار الفكر، عمان، ١٤٢٨هـ.
- ٢٣- أسس التربية الأخلاقية للفتاة المسلمة. (جزء من رسالة الدكتوراه). (الطبعة الأولى)، دار الفكر، عمان، ١٤٢٨هـ.
- ٢٤- الموسوعة العامة في مصادر التربية الإسلامية، (الطبعة الأولى)، دار الفكر، عمان، ١٤٢٨هـ.